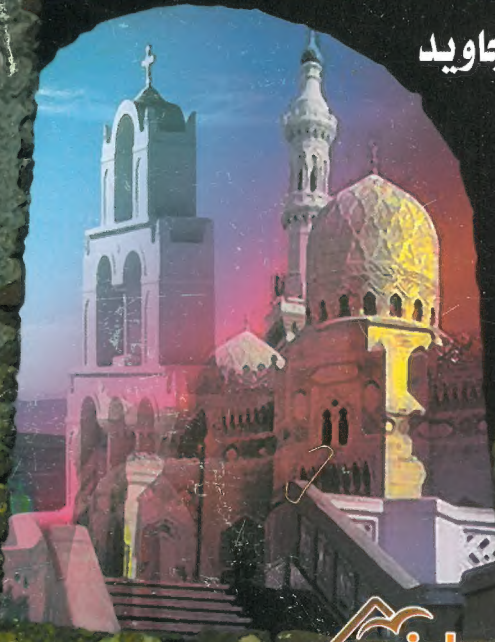


د/ عبد الوهاب محمد الزنتاني

قبرص

من معاوية إلى أجاويد

٦٤٨ م - ١٩٧٤ م



دار غريب
الطباعة والنشر والتوزيع
الرياض

قبرص

من معاوية إلى أجاويد

١٩٧٤ - ٦٤٨ هـ

هذا الكتاب

قبرص من معاوية إلى أجاويد ..

هذا هو موضوع كتابنا ، ولقد ارتبط اسم قبرص باسم معاوية بن أبي سفيان القائد العربي أمير جيوش الخليفة عمر بن الخطاب في سوريا ، ثم أمير هذه البلاد فخليفة المسلمين الخامس ، أو ملك العرب الأول كما يحلو لبعض المؤرخين أن يقولوا ، هذا الأمير الذي ارتبط اسمه بأول غزوة بحرية عندما كان أميراً على سوريا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وكانت غزوته تلك في سنة ٦٤٨ م ، وتردد اسم قبرص الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الهام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط كثيراً في التاريخ ، وكانت أهميتها بالنسبة للعرب تبرز من حيث أنها منفذاً إلى أراضيهم ومركزاً لأي قوة تستهدفهم ، فهي تقع على بعد ٦٠ ميلاً من اللاتينية بسوريا وقرابة ٢٣٨ ميلاً من بورسعيد في مصر و١٥٦ ميلاً من صيدا بلبنان وحوالي ٤٠ ميلاً من الأنابضول بتركيا ، ولقد تعاقب على احتلالها أو غزوها كل قادة الجيوش التي كانت تطمع في احتلال أراضي العرب شرقية وغربية ، غزاها الفينيقيون والمصريون واليونانيون والفرس والرومان والبيزنطيون والبنادقة والعرب والأتراك والإنجليز الخ ...

وهذا الكتاب يتناول ويفصل في تاريخ ما يزيد على ثلاثة عشرة قرناً من الزمان ، انه تاريخ معاوية أحد عباقرة العرب وأول من أسس الدولة بالمعنى الذي يعرف اليوم ، اذن هو تاريخ قبرص المتأخر والحاضر ، فاقرا عن (معاوية ، وعن قبرص ومكاريس ، عن العلاقات التاريخية التي ربطت قبرص بالعرب والشرق الأوسط قديماً وحديثاً ...

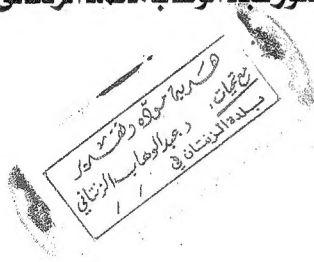
والى اللقاء في كتاب آخر ..

قبرص

من معاوية إلى أجويد (٦٤٨م - ١٩٧٤م)

تأليف

دكتور عبد الوهاب محمد الزنتاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الكتاب : قبرص من معاوية إلى أجاويد (٦٤٨-١٩٧٤م)

المؤلف : د/ عبد الوهاب محمد الزنتاني

رقم الإيداع : ١٥٧٠٤

تاريخ النشر : ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : 9 - 670 - 215 - I. S. B. N. 977

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للنشر ولا يسمح
بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه ، بأي
شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابي من الناشر
الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والطابع : ١٢ شارع نوبار لاطونغلي (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
والمعرض الدائم } ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

المقدمة

قبرص من معاوية إلى أجاويد، هذا هو موضوع كتابنا، ولقد ارتبط اسم قبرص باسم معاوية بن أبي سفيان القائد العربي الفذ أمير جيوش الخليفة عمر بن الخطاب في سوريا، ثم أمير هذه البلاد فخليفة المسلمين الخامس، أو ملك العرب الأول كما يحلو لبعض المؤرخين أن يقول، هذا الأمير الذي ارتبط اسمه بأول غزوة بحرية عندما كان أميراً على سوريا في تعهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكانت غزوته تلك في سنة ٦٤٨ ميلادية، وتردد اسم قبرص الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الهام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط كثيراً في التاريخ، وكانت أهميتها بالنسبة للعرب تبرز من حيث إنها منفذ إلى أراضيهم ومركز لأي قوة تستهدفهم فهي تقع على بعد ٦٠ ميلاً من اللاذقية بسوريا وقربة ٢٣٨ ميلاً من بورسعيد في مصر و ١٥٦ ميلاً من صيدا في لبنان وحوالي ٤٠ ميلاً من الأناضول بتركيا، وقد تعاقب على احتلالها كل قادة الجيوش التي كانت تطمع في احتلال أراضي العرب، شرقية وغربية، وتعاقب على احتلال قبرص قوى مختلفة في أزمان مختلفة متعاقبة: فينيقيون ومصريون ويونان وفرس ورومان وبيزنطيون وبنادقة وعرب وأتراك وإنجليز .. إلخ .

وكان آخر غازٍ لها رئيس وزراء تركيا السيد بولنت أجاويد (أحياناً تنطق أتشافيد) سنة ١٩٧٤م على إثر انقلاب عسكري حدث بها قاده ضباط يونانيون، ولقد أدرك معاوية أهمية هذه الجزيرة بالنسبة للأمن العربي في ذلك الوقت، وهكذا سعى إلى إقناع الخليفة بضرورة احتلال هذا الموقع الهام في المنطقة الواقع على البحر الأبيض المتوسط، وعلى الرغم من رفض الخليفة عمر بن الخطاب وتردد

الخليفة عثمان بن عفان بعده فقد أمكن لمعاوية أن يغزوها، وكانت تلك أول مرة في التاريخ يجتاز فيها العرب أرضاً تغمرها مياه البحر .

ولقد قبيض الله سبحانه وتعالى لمعاوية أن يكون ذا بصر وبصيرة وذا فكر ثاقب وذكاء فائق وحكمة رائعة تمثلت في قوله: « والله لو كانت بيني وبين الناس شجرة ما قطعتها إذا مدّوها خليتها وإذا خلّوها مددتها » وقد اتصف بالحكمة والحكم والدهاء والتسامح وضبط النفس والشهامة، ومما يدل على ذلك قوله: « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني » .

أرسله الخليفة أبو بكر قائد الجيوش في سوريا، وولاه عليها عمر وأقره عثمان على تلك الولاية. ولد في مكة المكرمة سنة ٦٠٨ ميلادية، وحكم سوريا أميراً عشرين سنة، ثم صار أميراً للمؤمنين عشرين سنة، وكان أول من بنى أسطولاً بحرياً، وأول غازي عبر البحر في الإسلام، ولقد ابتدأ بتوليته الخلافة عهد الأمويين في دمشق، وبذلك سجل انتهاء عهد الخلفاء الراشدين الذي كان مقره في المدينة، وشهد عصره تبديلاً وتغيراً في فلسفة الحكم والدين والحضارة، وبين غزوته تلك وحلول سنة ٧٢٢ ميلادية امتدت الامبراطورية العربية (أي قبل انتهاء العهد الأموي مباشرة) من الجزيرة العربية إلى غربي آسيا وأواسطها، وإلى الجنوب الغربي من أوروبا ومن الشمال الغربي من فرنسا إلى أفريقيا الشمالية، ويذكر أن معاوية كان دائماً ينجح في بلوغ مقاصده إن بالسياسة أو بالحرب، على أنه لم يكن من أنصار الحرب في الغالب ذلك أنه كان يقول: « إن تسوس الناس باللسان أفضل من أن تحكمهم بالسيف » . كذلك فقد كان كثير الصبر على أصحاب الرأي ويقول في ذلك: « إنني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين الحكم » . وقد استمال الشعراء والنقاد والأعداء بالمال والعطايا، وذلك نوع من الدهاء السياسي سبق فيه ما تقوم به الحكومات الآن تجاه وسائل الإعلام الحديثة، وأبلغ وصف استخدمه من أجل إقناع الخليفة عثمان بفائدة غزو قبرص قوله: « إن قرية في حمص تسمي نباح كلاب أهل قبرص وصياح دجاجهم » .

ولم يكن عنصرياً ولا متعصباً في وقت كانت فيه العنصرية من أهم أعمدة الحكم، فقد كان طبيب بلاطه الأخطل وهو نصراني يعقوبي، وكانت إحدى زوجاته نصرانية عربية من اليمن تدعى ميسون، وكان طبيبه الخاص ابن أثال وهو أيضاً نصراني .

وتجمع كتب التاريخ على أن معاوية كان أحد عباقرة الدولة الإسلامية، وقيل إنه أحد خمسة من دهاة العرب (معاوية وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد).

ومعاوية هو مؤسس البيت الأموي والدولة الأموية حيث بلغت دولة الإسلام أوج قوتها وسادت رسالة الإسلام أبعد الآفاق، وبعد الرسول ﷺ وخليفته يعتبر معاوية أبرز صناع التاريخ الإسلامي رغم اختلاف المؤرخين العرب في هذا الشأن، وقد انتقل إلى جوار ربه سنة ٦٧٧ ميلادية أو سنة ٦٨٠ ميلادية بعد أن نجا من ضربة سيف مسموم، وتلك كانت واحدة من محاولات الاغتيال السياسي في الإسلام قام بها (البرك بن عبد الله التميمي) ولقد صدق من قال فيه: « صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أثقل حملاً ولا أبطل جهلاً ولا أبعد أناة منه » .

ووصفه الخليفة عمر بن الخطاب قائلاً: « إنه كسرى العرب » . ذلك لأنه كان مهيباً طويل القامة أبيض الوجه، كما قال فيه رسول الله ﷺ، « اللهم اجعله هادياً مهدياً » .

ولما كانت إطلالة العرب على قبرص في عهده، ونظراً لارتباط هذه الجزيرة بأحداث التاريخ العربي فقد رأينا أن يكون عنوان كتابنا عنها يحمل اسم معاوية (قبرص من معاوية إلى أجوايد) وفي هذا الوقت الذي يحمل فيه الغرب سيوفاً من نار على الإسلام والمسلمين متهماً كل المسلمين بالتعصب والتخلف والعطش للدماء فإننا نرى أن ما يحدث باسم الإسلام في بعض البلاد الإسلامية من تقاتل ليس من الإسلام في شيء رغم أنه ليس موجهاً إلى محاربة أديان أخرى كما يحدث من جانب بعض الدول المسيحية في الغرب التي تشجع وتحفل بالخارجين على الإسلام، فقد جعلوا من سلمان رشدي شهيد الحرية والكلمة لمجرد أنه تهجم على الإسلام

والمسلمين، وهو مسلم مرتد، واحتفلوا بامرأة بنغلاديشية تدعى (نسرين) لمجرد أنها ارتدت عن الإسلام وشككت في عقيدة المسلمين الذين يعترفون ويحترمون كل الأديان والأنبياء والرسل، ولكن ما حيلتنا في عصر صارت فيه الكلمة الأولى لعدة المال والمرابين وصناع السلاح .

ومن المؤمل أن يكون هذا الكتاب مساهمة في إلقاء الضوء على ما كانت - وتبقى - تمثله قبرص من أهمية بالنسبة للوطن العربي .

ومن الله التوفيق ،

دكتور عبد الوهاب الزفتاني

بلدة الزفتان في ٢٢ يوليو ١٩٩٧م

إهداء

إلى كل مسلم يؤمن برسالة الإسلام الخالصة الصادقة الحقّة، رسالة العدل والحرية والإيمان والمساواة، ولقد قال الله جل جلاله:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ . (البقرة: ١٣٦)

وإلى أولئك الأصدقاء في قبرص الذين يحملون في قلوبهم مشاعر طيبة تجاه العرب وقضيتهم العادلة، قضية فلسطين، وإلى رجل الدين والدولة مكاريوس صديق جمال عبد الناصر نصير الحق العربي، وإلى صديقي الدكتور فاسوس ليساريديس الشاعر الفنان السياسي الذي كرّس حياته من أجل الحق والحرية في كل مكان، وأخيرا .. إلى الشعب القبرصي وجزيرته الجميلة موطن الحب، أرض (نيفرتيتي)، ومنفذ قوافل العلم والحضارة العربية من سنة ٦٤٨م وإلى الآن ..

إليهم جميعا أهدي عبق التاريخ في جهد متواضع يستهدف إحقاق الحق والعدل والإنصاف.

الفصل الأول الوضع العام في الدولة الإسلامية

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ
يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (آل عمران: ١٣)

في السنة العاشرة الأولى من القرن السابع الميلادي نزل الوحي على سيد الكائنات محمد ﷺ، وفي العشرة الثانية هاجر إلى المدينة، وفي العشرة الثالثة انتقل إلى جوار ربه.

فلقد نزل الوحي على الرسول ﷺ سنة ٦١٠ م وهاجر إلى المدينة حاملا دعوته معه بعد أن ضاق به المقام في مكة سنة ٦٢٢ م، وبعد أن انتصرت به دعوة الإسلام انتقل إلى جوار ربه سنة ٦٣٢ م وكان قد ولد سنة ٥٧٠ م، وعندما انتقل إلى جوار ربه كانت النار تحت الرماد تستعر وإن لم تلتهب، وكان التنافس قائما وإن لم يعلن، فقد كان الأنصار يتطلعون وهم الأعرق في المدينة إلى التخلص من سطوة وسيطرة المهاجرين الذين يمثلون الأغلبية، ذلك أن الأنصار كانوا يرون أنهم يجب أن يكونوا سادة بلادهم، وحدث أن سيدنا عليا رضي الله عنه قد ادّعى أو هو أعلن الخلافة لنفسه على اعتبار أنه أقرب رحما للرسول، كذلك الحال، وإن لم يكن معلنا، بالنسبة لسعد بن عباد وهو زعيم الأنصار، وكانت هناك رغبات سياسية وأحقاد شخصية، وكان هناك منافقون ومندسبون، ولما كانت الوفاة مفاجئة ليس من السهل على أحد أن يصدقها فقد حدث هرج ومرج وأخذ وعطاء مما شغل الناس حتى عن دفن الرسول ﷺ يوم وفاته، وكان على الرجال الأقوياء الأتقياء من صحابة رسول الله أن يقفوا ضد التيار الذي يريد دفع الأمور في المتحدر الذي يمكن أن يؤدي إلى التقاتل والخلاف الذي حدث فيما بعد (بعد مقتل عثمان) ولقد نجح صحابة الرسول في راب الصدع والتأثير في المسلمين عندما نادوا بخلافة أبي بكر الصديق والد زوجة النبي (عائشة) وهو أحد الثلاثة الذين كانوا من أقرب الناس وأخلصهم وأقواهم نفوذا لدى النبي (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) ولقد بايع الأنصار

خليفة رسول الله أبا بكر الصديق إلا أن أبا بكر لم يعيش طويلا فقد توفي بعد سنتين من خلافته تقريبا (توفي سنة ٦٣٤م) وكان قد واجه حروبا كثيرة ومعارك كبيرة، أسوأها وأمرها كانت الحروب ضد المرتدين عن الإسلام، وإن لم تكن في الواقع الردة في ظاهرها عن الإسلام حيث إن أغلبها اتخذ منحى مختلفا عن ذلك ، ربما في البداية رغبة في عدم إثارة الأمير الجديد وتآليب بقية المسلمين، وقد أرادوا في البدء رفض بعض القواعد مثل عدم دفع الزكاة، وربما أراد هؤلاء انتهاز أول فرصة، ذلك أن أبا بكر كان منشغلا بإتمام الحملة التي أرادها رسول الله على البيزنطيين بعد حادث هزيمة المسلمين في (مؤتة) وقد وجه أبو بكر حملة تأديب أو لعله يمكن أن يقال حملة انتقام من البيزنطيين بقيادة أسامة بن زيد، وكانت حملة جيوش إسلامية منتقاة ولذلك فإن قبائل أسد وغلطفان سرعان ما بادرت بالهجوم على المدينة إلا أن أبا بكر قد واجه هذا الهجوم بكل حزم وعزم وكلف خالد بن الوليد بقيادة المدافعين عن المدينة، وتمكن هذا من تحقيق أول نصر مؤزر على المرتدين، وكان حزم أبي بكر قد ظهر في الموقف الذي اتخذته عند وفاة النبي، ففي وسط التخطيط والحيرة وقف أمام جماهير المسلمين ليقول : « أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » وقرأ من القرآن الكريم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤) .

وفي هذه الأثناء كان الأنصار مجتمعين في سقيفة بني ساعدة وكان الرأي عندهم - كما أورد ثقات المؤرخين العرب والمسلمين - يتجه إلى اختيار زعيمهم سعد ابن عباد، ومن المعروف أن الأنصار في المدينة كانوا عندما هاجر الرسول إليهم قد قدموا له العون والنصرة في حين أن أهله في مكة كانوا قد اضطهدوه وتكبروا لدعوته بل كادوا يقتلونه، والأنصار بذلك يعتقدون أنهم حماة الرسول وناصروه في دعوته ومن هنا فهم أحق بأن يختاروا من يدافع عن الرسالة السماوية التي جاء بها محمد، وكان الأوس والخزرج قد قالوا: « منا أمير ومنهم أمير، ولن نرضى بدون هذا » .

ويتضمن هذا الموقف أنهم قرروا أن يتساووا مع القرشيين، وظهر لأبي بكر البالغ من العمر ستين سنة وقتئذ أنه يواجه أزمة أو ربما فتنة ستكون خطيرة إن لم تعالج بتروء وحكمة وهدوء ، فقال: « منا الأمراء ومنكم الوزراء » ، واقترح أحد اثنين للخلافة (عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح)، ولكن عمر قال: « لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، لا والله إنك الأفضل في المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الفار، ابسط يدك لنبايعك » . وبذلك خدمت أول فتنة ظهرت مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ وإن كان على قد تخلف عن حضور الاجتماع ولم يقبل بالبيعة إلا بعد ستة أشهر، وكان التناقص على الخلافة بين البيتين القرشيين (بني هاشم وبني أمية) ولم يكن أبو بكر من أحد هذين البيتين، وكان علي يبغي الخلافة ويعتقد أنه الأحق بها .

وكان النبي سمحاً كما هي سماحة الإسلام إذ لم يفرض قيوداً أو شروطاً صارمة تعجيزية، وما كان على أي عربي إلا أن ينطق بالشهادتين، ذلك أن البدو كانت عاداتهم شديدة وكانوا يتمسكون بها وكانما هي جزء من كرامتهم مثل الثأر والنهب والغزو، إضافة إلى الإقدام والشجاعة والكرم والتفاخر .. إلخ، ومع الشهادتين كانت الزكاة التي يجب أن تدفع في أوقاتها، وهذه واحدة من الأسباب التي دعت هؤلاء العرب الذين أعلنوا ما يشبه العصيان بعد وفاة النبي مباشرة، وهي كذلك من أهم دوافع أبي بكر في الإقدام على الإجراءات الحازمة التي ربما لم تكن متوقعة منه لأنه عرف بالحلم واللين، وما يؤكد أن أولئك العرب (الأعراب) لم يكونوا قد آمنوا فعلا وإنما هم تأثروا بمحمد ﷺ كشخصية تثير الإعجاب والمهابة والتقدير وقد جاء في سورة الحجرات : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٤) ، وأول ما فعله أبو بكر الصديق عندما عرضت قبيلتا (عبس وذبيان) الدخول في الإسلام مقابل إلغاء الزكاة وكانت قد جشدتا الرجال والسلاح في منطقة تسمى (ذي القصة) في محاولة لفرض الأمر الواقع على الخليفة الجديد، قال أبو بكر: « والله لو منعتني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها » . قال هذا الكلام في وقت

كان فيه جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد^(١) قد خرج إلى حدود مملكة الروم للقتال، ولابد أن هؤلاء عندما أبلغوا أبا بكر بذلك كانوا يعرفون أن قوة المسلمين مع أسامة وأن هؤلاء سوف لن يتمكنوا من الدفاع عن المدينة، ولو تحقق ذلك لكان تيار الردة قد انتصر، إلا أن الله أراد لرسالة محمد ﷺ أن تتصير على يد خليفته أبي بكر الصديق، وتمكن المسلمون من الدفاع عن المدينة عندما قام رجال عيس وذبيان يهاجمونها بشدة وظهر في نفس الوقت من يدعى النبوة كشيخ قبيلة (بني أسد) المدعو طلحة في منطقة شمال نجد، كما ادعى مسلمة النبوة أيضا في منطقة شرق نجد، وأورد المؤرخون العرب أسماء هذين الاثنين مصغرة كنوع من التحقير، فتسمى الأول باسم طليحة والثاني باسم مسيلمة وكلاهما كذاب، وكان مسيلمة هذا قد خاطب النبي محمداً برسالة قال فيها: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قریشا لا يتصفون، والسلام عليك .

ورد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قائلا: « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى » .

ولقد قتل مسيلمة هذا في معركة اليمامة وكان قد ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ مثله مثل الأسود الغنسي إلا أن الأخير كان قد قتل قبل وفاة الرسول محمد، وعلى الرغم من انتصارات خالد بن الوليد وقبل ذلك دحر عيس وذبيان فإن حروباً أخرى وحركات عصيان وتمرد قد حدثت في البحرين واليمن ونجد وغيرها، إلا أن الجزيرة العربية قد أخضعت بكاملها وصارت متحدة تحت قيادة الخليفة أبي بكر خلال سنة واحدة بعد وفاة النبي ﷺ، وهذه السنة عرفت بسنة (حروب الردة) أي سنة ٦٣٣ ميلادية، وقد عاون خليفة رسول الله ثلاثة هم: علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح .

(١) أسامة بن زيد كان أبوه ابنه للنبي بالتبني، وقد رافقه أبوبكر عندما خرج بالجيش ماشيا على قدميه، وقد طلب منه أسامة أن يركب أو أن يذلل هو، فرد قائلا إنه يسير في طاعة الله .

وبعد ذلك يكون أبو بكر قد تهيأ لتوجيه الفتوح وتنظيم الجيوش من أجل المرحلة الثانية هذه، وكانت الأهداف هي فلسطين والعراق وسوريا، أي مقاتلة الروم والفرس، الامبراطوريتين الكبيرتين، ويمكن القول إنه بعد معركة (مؤتة) قد بدأت حرب التحرير ونشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، ونجد في رسالة خالد بن الوليد دليلا على الثقة والمقدرة عندما كتب إلى هرمز عامل الفرس بعد أن كلفه الخليفة بذلك العمل .. يقول : « أما بعد، إن تُسَلِّمَ تَسَلِّمَ وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

ولقد انتقل أبو بكر الصديق إلى جوار ربه بعد أن حقق الكثير للإسلام والمسلمين خلال المدة القصيرة التي عاشها بعد وفاة النبي ﷺ وشهد فترة الردة والفتن والمواجهة بين المسلمين والروم والفرس بعد معركة (مؤتة) كما شهد تغير الأوضاع بدولة الفرس وارتقاء يزدجرد سدة العرش هناك، ثم خضوع الحيرة والأنبار وعين التمر وغزو فلسطين والأردن بواسطة فيالق المسلمين، ودخول خالد ابن الوليد بقراته أرض العراق وسوريا، وفي تلك الأثناء كانت قوات المسلمين (فيالق عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان) على أبواب فلسطين والأردن، تلك كانت سنة ٦٣٤ ميلادية عندما جهز خليفة رسول الله هذه الجيوش من أجل الفتوح الكبيرة، وفي هذه السنة توفي الخليفة (في أغسطس ٦٣٤م) وتولى القيادة بعده عمر بن الخطاب الذي واصل تدعيم القوات الإسلامية التي بدأت مواجهتها آنئذ مباشرة ضد الفرس في العراق قرب الحيرة، ولقد كان على خليفة رسول الله هذا الرجل الفذ الشديد الإخلاص والإيمان أن يتمثل الآية الكريمة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦) .

ويروى أن النبي ﷺ قال : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » . وكان عمر بن الخطاب زعيما صارما قويا بسيطا في أسلوب حياته يتمتع كسلفه بالصدق والتصميم على اتباع سنة الرسول ﷺ، متشفا في معيشته حتى أنه يروي عنه أنه

لم يكن في أي وقت يملك إلا لباسين: واحداً للصيف وواحداً للشتاء، ولا يأخذ من بيت المال إلا ما يمكنه من أداء فريضة الحج .

وكان على عمر بن الخطاب أن يواجه هرقل بكل ما للروم من تنظيم وقوة وعناد حربي وتجارب في الحكم والقتال، كذلك كان عليه في نفس الوقت أن يواجه يزدجرد بكل ما للفرس من جند وسيطرة وأعوان وتجارب حرب، ولا يمكنه إلا أن يفعل ذلك إذ إن حملة الفتوح الإسلامية قد بدأت وقد انطلق المد الإسلامي واكتملت السيطرة العربية الإسلامية على الجزيرة العربية بطرد آخر جندي فارسي من البحرين، وكان الفرس قد احتلوا مصر سنة ٦١٧ ميلادية على إثر حرب طويلة بين كسرى أبرويز وبيزنطة، ومن المعروف أن آثار الحروب مدمرة للاقتصاد والعمران والناس الذين يعيشون في ساحتها هم أكثر من يدفع الثمن، وذلك ما وقع على مصر والمصريين، ثم وقعت مصر في يد الروم عندما طردوا الفرس منها سنة ٦٣٨ ميلادية ولم يكن الخلاف سياسياً فقط بين القوى الغازية وإنما كان أيضاً دينياً واجتماعياً .

وفي هذه الفترة كان زعيم الروم هرقل في أوج قوته وأمجادته حيث إنه القائد الذي استعاد من الفرس الصليب المقدس، وبذلك استعاد أمجاد الامبراطورية التي كادت أن تتفكك، وكانت الكنائس المسيحية قد انقسمت منذ وقت طويل فصارت يعقوبية وأرثوذكسية ونسائية، والإمبراطور يسعى إلى إعادة توحيدها لأنه يتطلع إلى عمل كبير يقوم به ويذكره التاريخ، وقد عمل على تشكيل لجنة من المطارنة لإعداد ميثاق لاهوتي جديد عرف باسم (مذهب الطبيعة الموحدة) وهذا كان محاولة للتقريب بين المذهب الأرثوذكسي والقبطي أي اليعقوبي، ولذلك فقد أمر بأن يكون المقوقس بطريركاً للإسكندرية وحاكماً على مصر إلا أن أقباط مصر عارضوا ذلك التعيين ولم يقبلوا الميثاق أو المذهب الجديد، وكان بنيامين بطريرك الأقباط قد التجأ إلى الصحراء هروباً من هرقل والمقوقس ورغبة في عدم الرضوخ للرياسة الامبراطورية (ومن المؤكد أن أحداث التاريخ تشابه في تكررها ذلك أن البابا شنودة زعيم الأقباط في مصر قد فعل نفس الشيء بعد قرابة ألف وثلاثمائة سنة

من ذلك الحادث عندما رفض قرار الرئيس المصري السادات وحرّم على الأقباط زيارة بيت المقدس وإن كان لم يهرب إلا أن السادات قد نفاه إلى الصحراء وكذلك كان لأقباط مصر موقفاً مشرقاً عندما رفضوا انتخاب بديل للبابا شنودة حسب رغبة السادات، وكما أعاد المسلمون بطريرك الأقباط بعد هزيمة الروم إلى بطريركيته عاد البابا شنودة زعيماً لأقباط مصر بعد مقتل السادات) وكان المقوقس متعسفا يجلد بالسياط ويحرق بالنار من أجل إخضاع القسس والرهبان ولكن هؤلاء في الغالب كانوا يرفضون وكانت نتيجة ذلك التعسف أن تحول ولاء هؤلاء عن دولة الروم .

ومن الطبيعي أنه عندما يحدث تحول ما وتطرا أحداث جديدة على وضع أي شعب اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً يختل تماسكه وتتغير طبقاته وتركيبته الاجتماعية بحيث تظهر طبقة جديدة تتولى السيطرة وتتفرد بالهيمنة منحية الطبقة التي كانت قبلها بحيث يغمرها الظل، ومن هنا فإن فئة تقوى وأخرى تضعف وتتغير موازين القوى وفي الغالب يختل وضع المجتمع وينعدم فيه الاستقرار ويحدث أن يقفز هذا المجتمع إما إلى الأمام أو إلى الخلف حسب قدرة وإمكانات وفهم الفئة الجديدة للتطور، وإذا كانت القفزة مفاجئة وقسرية فإن الرفض لابد أن يظهر والمواقف تختلف ويحدث الارتداد إلى الوراء، ومن ثم يظهر على الناس التذمر والرغبة في إحداث التغيير، وهو ما حدث تماماً عندما جاء المقوقس إلى مصر حاكماً وأسقفاً .

وكان المسلمون قد فتحوا القدس وجاء الخليفة لاستلام المدينة، ويذكر أنه قد تحدث مع عمرو بن العاص في إمكانية فتح مصر عندما كان هذا الأخير قد حاصر قيسارية وهي المدينة الوحيدة الباقية في فلسطين يستصعب على الفاتحين العرب اقتحامها، وعرف العرب أن صمود قيسارية كان نتيجة الإمدادات التي تأتي من الإسكندرية التي توجد بها قوات بيزنطية، والإسكندرية ميناء بحري هام ومن المؤكد أن عمرو بن العاص كان يدرك أن سوريا وفلسطين لن تكونا آمنتين طالما كان البيزنطيون يعتمدون على قواعدهم في مصر (ولقد أدرك عمرو بن العاص هذه

القاعدة الاستراتيجية قبل جميع القادة العسكريين الذين درسوا أساليب الحرب في أشهر الأكاديميات العسكرية في العصر الحديث .

ولقد كان عمر بن الخطاب كثير الحذر فيما يتعلق بالغزوات والفتوح فهو لا يقدم على قرار إلا بعد تروؤ وتمهل، ولم يحدث أن وافق على إرسال أحد جيوشه للقتال أو الغزو بحيث تكون إمداداته بعيدة أو متعذرة، ويذكر أن سعد بن أبي وقاص رغب في أن يجتاز جبال زاغروس إلا أن أمير المؤمنين عمر منعه من ذلك وقال إن قاعدة الجيش العسكرية لابد أن تكون مستندة على الصحراء، وكان في أشد حالات القلق عندما قام عامله في البحرين قبل موافقته باجتياز الخليج ونزل في جنوب فارس لأن تلك كانت مغامرة ربما أدت إلى كارثة لولا النجدة السريعة التي جاءت من البصرة، ولهذا السبب كان مترددا في غزو مصر رغم أنه يتحدث مع عمرو بن العاص في هذا الشأن وكان يعلم أن إمدادات البيزنطيين من قواعدهم البحرية في الإسكندرية تسبب الكثير من الصعوبات لجيوش المسلمين وخصوصا بعد تعذر فتح قيسارية لبعض الوقت، ويذكر المؤرخون العرب ^(١) أن عمر بن الخطاب عاد فاجتمع مع عمرو بن العاص بعد اجتماع القدس في الجابية ^(٢) ووافق على خطته في غزو مصر ومما يؤكد ذلك أن عمرو بن العاص عندما بدأ الغزو ووصل إلى العريش جاءته الإمدادات بموافقة الخليفة، ولو كان عمر غير موافق مسبقا لكان قد أمر عمرو بن العاص بالانسحاب والعودة إلى غزة، ولقد عبر عمرو الحدود المصرية في الثاني عشر من ديسمبر سنة ٦٣٩م ولم تكن قوات عمرو بن العاص تزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وهي قوة صغيرة جدا إذا ما قورنت بالواجب الذي كان عليها أن تقوم به وكان عليه أن يؤمن مؤخرته دائما وبذلك احتل المواقع التي تؤمن الطريق والاتصال الدائم، احتل القرماء بعد أن حاصرها لمدة شهر تقريبا ومنها احتل بلييس في بداية شهر يناير سنة ٦٤٠م وعندما وصلت أخبار التقدم العربي هذا إلى كل من

(١) البلاذري، وغيره.

(٢) كانت الجابية مقر الكثير من القرارات الهامة التي اتخذها عمر بن الخطاب في اجتماعاته مع الصحابة مثل علي بن أبي طالب و الزبير.

تيودور والموقس والأول القائد العام للقوات البيزنطية، والثاني حاكم مصر؛ أسرعاً في المجيء حيث استقروا في حصن بابل ووصلت القوات التي أرسلت بإذن الخليفة لدعم قوات عمرو بن العاص في شهر يونيو سنة ٦٤٠م وعسكرت في هليوبوليس (مصر الجديدة الآن) وكان يقودها الزبير بن العوام، بينما كانت قوات عمرو بن العاص قد عبرت نهر النيل في اتجاه الغرب في حين كانت القوات الجديدة في شرقه وذلك وضع يضعف قوات المسلمين لو ابتدأت المعركة مع البيزنطيين إلا أن عمرو بن العاص القائد المحنك سرعان ما عبر بقواته مرة ثانية إلى الشرق لتتضم إلى قوات الزبير وبذلك كانت الصحراء وراء جيوش العرب المسلمين بحيث لا تنقطع إمداداتهم، وكان ابن الخليفة عمر بن الخطاب عبد الله ضمن القوات التي جاءت بقيادة الزبير، وكان جيش الروم أكثر عددا من جيش المسلمين إلا أن عمرو بن العاص كان قد وضع بعضا من قواته في مواقع مختلفة بحيث تقاوم الروم عندما يبدأ القتال وهكذا حدث، فما كادت المعركة تبدأ حتى تدفقت قوات عمرو بن العاص من كل جانب وانهزم جيش الروم، وباحتلال قلعة بابل بعد مفاوضات طويلة مع المحاصرين من الروم (وقلعة بابل هذه تقع في الضفة الشرقية من النيل وتلك كانت أهميتها بالنسبة لعمرو بن العاص لأنها تتصل بالأرض مع الجزيرة العربية) وبذلك احتلت مصر كلها وكان على عمرو أن يزحف لاحتلال الإسكندرية وهي الميناء البحري الهام والطريق المؤدي إلى فتوحات أخرى هامة، وكانت الإسكندرية أعظم مدن العالم في ذلك الوقت وأهمها خصوصا بالنسبة للعرب الفاتحين، وتم استسلام الإسكندرية بعد قتال ومد وجزر ومفاوضات وحصار، ومفاوضات قام بها الموقس مع عمرو ومعارك قادها تيودور ضد قوات عمرو بن العاص في سبتمبر سنة ٦٤٢م وانتهت سلطة الروم على هذه البلاد.

وبعد هذه الانتصارات الباهرة كان عمرو بن العاص قد رأى أن يرسم صورة للبلاد التي احتلتها جيوش المسلمين وإن يبعث بذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب يقول : « مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها رحلة شهر وعرضها عشرة أيام، يخطئ وسطها نهر ميمون القدوات مبارك الروحات، يجري بالزيادة والنقصان لجرى

الشمس والقمر، له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا عجز عجاجه وماجت أمواجه لم يكن وصول أهل القرى إلى بعض إلا بخفاف القوارب وصغار المراكب، فإذا تكامل في زيادته يخرج القوم ليحرقوا بطون أوديته ورواياه يبدرون الحب ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا شرق وأشرق سقاءه من فوق الندى وغذاه من تحت الثرى، فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هي بمنبرة سوداء وإذا هي زبرجدة خضراء .. « . كان هذا وصف عمرو بن العاص لمصر وأرض مصر، وكان الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أوصى المسلمين إذا ما فتحوا مصر قائلا: « إذا افتتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما » .

وكان المقوقس عندما استدعاه الامبراطور البيزنطي حيث اتهمه بالخيانة عندما تفاوض مع عمرو بن العاص قد قال : « إن العرب لا يغلبون قط وإنهم لا يأبهون بالمال والراحة، وإنهم يطمعون في الاستشهاد في ميدان القتال لأن الشهادة تسرع بهم إلى الفردوس .. » وكان الامبراطور قد أذله وطرده من وظيفته وعندما مات الامبراطور وتأكد الروم أنهم مهزومون أعادوا المقوقس إلى الإسكندرية ليفاوض عمرو بن العاص ويسلم البلاد، وكان عمرو مندفعاً إلى الفتوح الإسلامية حيث أصبحت أفريقيا الشمالية بعد فتح مصر هدفة الجديد، وقد من الله على المسلمين بالنصر وأصبحت الامبراطوريتان العظيمتان (فارس وبيزنطة) تخطين ود الدولة البارزة الجديدة وقد تخطتا قسراً عن كل البلاد التي كانتا تحكماتها، إلا أن عمر بن الخطاب وكعادته في التحوط والتأني رفض أن يسمح لقائده المظفر بالاستمرار في الفتح، وكان هذا ينوي فتح برقة وطرابلس وبالتالي كل الشمال الإفريقي مثملاً لطلب معاوية بن أبي سفيان في ركوب البحر بجيوش المسلمين وفتح قبرص التي قال عنها معاوية: إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص قائلاً في ذلك الوقت: « صف لي البحر وراكبه » .. فكتب إليه عمرو: « هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا

السماء والماء، إن ركب فلق القلوب، وإن تحرك أزاع العقول، يزداد قلة والشك كثرة، وراكبه دود على عود إن مال غرق وإن نجا برق .. » (١) .

فكتب عمر إلى معاوية: « والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر، وبالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي الملأ مني » .

ثم كاتب عمر ملك الروم وقاريه وأقصر عن الغزو، ولكن معاوية لم يفارق التفكير في هذا الأمر وقد حانت الفرصة فألح على الخليفة عثمان بعد أن تولى الخلافة في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم (٢) .

وعندما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب وهو يستعد للصلاة في الجامع وأشرف الخليفة على الموت دعا إليه عبد الرحمن بن عوف وقال: أريد أن أعهد إليك، قال: فتشير عليّ بها، قال: لا، قال: والله لا أفعل، قال: فهبني صمتاً حتى أعهد بها إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، ثم دعا علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن معهم وقال: انتظروا طلحة ثلاثاً، فإن جاء، وإلا فاقضوا أمركم، وناشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يحمل أقاريه على رقاب الناس، وأوصاهم بالانصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئتهم، وأوصى بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم فتوضع في فقرائهم، وأوصى بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، ثم قال: اللهم قد بلغت، لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة .

وانتقل الخليفة الورع العادل الهادئ الحازم إلى جوار ربه، ولقد اتفق صحابة رسول الله الذين أوصاهم عمر بشئون الأمة على خلافة عثمان بن عفان، وهكذا تولى الخليفة الجديد أمور المسلمين والدولة الإسلامية وقد فتحت الفتوح، ووصلت

(١) أورده ابن خلدون - المجلد الثاني، ص ١٠٠٨ .

(٢) نفس المصدر

جميعا، وكما ذكرنا فقد ظهر من ادعى النبوة قبل وبعد وفاة النبي مثل طلحة ومسلمة والأسود العنسي والمرأة سجاح .

وكان المسلمون الفاتحون قد استتوا سنة حميدة ربما رغبة في الحفاظ على أهل البلاد المفتوحة أو ربما رغبة في الحفاظ على الجنس العربي نقيا أو كليهما فصاروا ينشئون الحصون والمقار العسكرية والمدن السكنية فمثلا أنشأوا في الأردن طبرية وعمواس، وفي فلسطين اللد والرملة، وفي سوريا الجابية وحمص، وفي مصر الفسطاط والإسكندرية، وفي العراق الكوفة والبصرة (بعضها كانت مدنا قائمة فأضافوا إليها معسكرات فقط) .

ولقد أخضعت أرمينيا وأذربيجان وجورجيا والمناطق المحيطة ، وفي نفس الوقت كان الامبراطور كونستانس في بيزنطة يعد العدة لإعادة احتلال الإسكندرية وربما مصر كلها لاعتقاده بأن الظروف صارت مواتية ومناسبة للعمل العسكري الكبير الذي يعيد للإمبراطورية هيبتها ، فأرسلت السفن المحملة بالجنود والعتاد وكانت بقيادة الخصي مانويل وفوجئت حامية الإسكندرية خلال سنة ٦٤٥م بالأسطول البيزنطي وهكذا غلبت على أمرها وإن قاتل رجالها بشجاعة نادرة، واحتل الروم الإسكندرية مرة أخرى وبدأوا فوراً في التوسع خارج الإسكندرية ، وما كان من الخليفة عثمان إلا أن أعاد تعيين عمرو بن العاص لمواجهة حملة الروم الجديدة تلافيا للوضع الذي نشأ وصار يتهدد المنطقة كلها فإذا سقطت مصر أصبحت فلسطين وسوريا في خطر، وسرعان ما أعد عمرو بن العاص جيشه للمعركة الحاسمة، ويذكر أن الجيشين قد التقيا في منطقة تبعد عن الإسكندرية بمائة ميل جنوبا وبعد معركة حامية دامية انهزم جيش الروم عائداً إلى الإسكندرية التي حاصرها جيش عمرو ثم اقتحمها ليلحق هزيمة نهائية بالروم فقتل قائد الجيش مانويل وأغلب جنوده وهرب الباقيون بصعوبة إلى البحر، ولقد استغرقت حملة عمرو هذه تسعة أشهر تقريبا، وكانت الهزيمة النهائية للروم في صيف سنة ٦٤٦ م .

وعلى الرغم من أن الخليفة قد عزل عمرو بن العاص بعد أن انتصر على

أنباء وفاة عمر بن الخطاب إلى بعض المناطق النائية فاضطربت الأوضاع وحدثت انتفاضات وتمردات وقاتل، وكان العرب قد وصلوا إلى أرمينيا في الشرق بعد معركة (نهاوند سنة ٦٤٢م) التي انفتحت بعدها أراضي فارس ، وقد حدث أن الخليفة الجديد أحدث وأجرى تعديلات وتغييرات في مناصب القادة والأمراء، منها أنه عين عبد الله بن أبي السرح أميرا على مصر بدلا من عمرو بن العاص الذي كان قد فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقام ابن أبي السرح باتخاذ الكثير من الإجراءات القاسية من أجل جمع الأموال مما دعا أعيان ووجهاء الإسكندرية إلى طلب المساعدة من الروم لتخليصهم من وجود العرب، وكان هؤلاء متحمسين لمثل هذا العمل وقد عرفوا ما حل بالقائد العربي الذي هزمهم في الأراضي المصرية ، وكان معاوية أمير الشام قد أرسل قوات بقيادة حبيب بن مسلمة بعد أن وصلته الأوامر من أمير المؤمنين لإخضاع أرمينيا التي بدأ فيها التمرد على حكم المسلمين ، وتحركت قوات أخرى بأمر من أمير الكوفة لنفس الغرض، وكان الوضع مضطربا في كثير من المناطق في الوقت الذي توسعت فيه حدود الدولة الإسلامية ومات فيه الخليفة عمر بن الخطاب (عام ٦٤٤ م) .

والواقع أن الانتفاضات والثورات ليست بجديدة فكلما حدث حادث كبير مثل وفاة النبي محمد ﷺ وأبي بكر ثم عمر كانت تحدث ردات وتمرد ذلك أن العصبية القبلية لم تكن قد انتهت بعد وكذلك الطموحات الفردية والتنافس على الحكم والمغانم على الرغم من أن عهد النبي والخلفاء الراشدين كان عهد تقشف وزهد ونقاء، كذلك فإن الإسلام لم يكن قد ترسخ بسبب ظروف المواصلات والاتصالات، والبيعة عادة التي كان يؤديها زعماء القبائل لم تكن صادقة فهي لأغراض أمنية أو اقتصادية، وحدث أن قبائل اليمن واليمامة وعمان قد ارتدت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة وكان على الخليفة أبي بكر الصديق أن يعيدها إلى ما كانت قد عاهدت عليه، أن يعيدها إلى الإسلام ودفع الزكاة مهما كلف الأمر وهو الذي قال: « الإذعان من طرف المرتدين بلا قيد أو شرط وإلا فالحرب حتى الدمار » . ولم يمض أكثر من نصف سنة حتى كان خالد بن الوليد قائد جيوش الخليفة أبي بكر قد أخضعها

وفي سنة ٦٥٤ م كان عثمان قد بلغ من العمر ثمانين سنة وقد تكالبت عليه القوى وأحاطته الهموم وكثر أعداؤه من مصر وفلسطين والعراق والجزيرة العربية ولم تبق هادئة نسبيا إلا سوريا نظرا لحزم وحكمة معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية هذا قد عينه الخليفة عمر بن الخطاب أميراً على سوريا، وعلى الرغم من أن عثمان قد قام بأعمال جليلة مثل الأمر بجمع القرآن الكريم وتوسعة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة إلا أن الشغب والاضطراب قد بلغ مبلغه ولم يعد الناس ينظرون أو يتحدثون إلا عن الأخطاء ومنها تحديدا محاباة عثمان لأقاربه وإتهام أمراء عثمان بالإثراء والاستغلال والانحراف في بلاد فتحوها بالسيف ومن أجل الإسلام وليس من أجل حفنة من الناس، وكان عبد الله بن أبي السرح مكروها في الفسطاط، وسعد بن العاص مكروها في الكوفة، على أن عثمان اضطرب إلى إقالة هذا الأخير وتعيين أبي موسى الأشعري بدلا منه، وحاول عثمان أن يستأنس بأراء عماله عندما اجتمع بهم أثناء تأدية فريضة الحج سنة ٦٥٥ م ، وقد تفاقمتم الأوضاع وظهرت الفتن، وكان أحد أولئك الأمراء عمرو بن العاص الذي قال لعثمان عندما سأله رأيه :

« أرى أنك لنت للناس وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين، إن الشدة تبتغي لمن لا يألو الناس شرا واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتها جميعا بالين » .

وقال كل أمير ما رأي، إلا أن عثمان كان يقول : « حسبي الله ونعم الوكيل » ، وقرر ألا يأخذ أحدا بالشدة أو العنف، وكانت المؤامرة قد ارتبطت خيوطها في الفسطاط والبصرة والكوفة، ويذكر المؤرخون العرب أن يهودي يدعى عبد الله بن سبأ كان قد تظاهر باعتراف الإسلام وكان في البصرة ثم الكوفة ثم في مصر، هو رأس الفتن كلها إذ التف حوله المتآمرون الذين كانوا ييئون الأكاذيب والشائعات في كل مكان، وقد استطاعوا أن يؤلبوا الناس على الخليفة عثمان، الشيء الذي أدى إلى قتله وهو جالس يقرأ القرآن الكريم، وكان ذلك في ١٧ يونيو سنة ٦٥٦م ونعتقد أننا

الروم مرة ثانية وعين عبد الله بن أبي السرح قائدا عاما وأميرا على مصر، ورغم ما ذكره المؤرخون عن هذا الأخير فإنه قاد حملة شمال أفريقيا ذلك أن طرابلس بعد أن فتحها عمرو بن العاص في غزوته الأولى عادت وتحالفت مع البيزنطيين ، وكان البيزنطيون وحاكمهم قريقروريوس قد جعلوا قرطاجنة القديمة عاصمة لهم وامتدت سلطتهم من هناك إلى طرابلس كان عليهم أن يواجهوا حملة أبي السرح وهكذا حشدوا جيشا ضخما لهذا الغرض، والتقى الجيشان في سبتلة حيث دارت المعارك ضارية ولم تمض أيام حتى انتصر جيش المسلمين وقتل الحاكم قريقروريوس بعد أن حلت الهزيمة بقواته .

وعلى الرغم من الانتصارات والفتوح إلا أن عثمان كان محط نقد شديد لأنه كان ميالا إلى تعيين أقاربه ومحاباتهم، وبذلك حدث التمرد في الجيوش والانقسام في القبائل، إذ انقسمت قريش نفسها بين بني هاشم وبني أمية وبرزت العنصرية القبلية مرة ثانية وتجزأ العرب بين عدنان وقحطان أو بين شمال وجنوب مما أثر على حماس الناس وتقائهم في خدمة الإسلام، وربما كان هناك سبب آخر مهم وهو مجيء عثمان بعد الخليفة القوي الحازم عمر بن الخطاب كان سببا في بعض المشاكل التي ظهرت، إذ يذكر أن عثمان لم يكن قويا الشخصية مثل سلفه، وإذا كان عثمان قد انحاز إلى أقاربه وقال كما يورد بعض المؤرخين: إن الله تعالى أوصى بصلة ذي القربى، فإن المعارضين لهذا الاتجاه ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث صاروا يرون أن المجاهدين في بدر وأحد الذين بايعوا رسول الله وناصروه قد حُرِّموا من كل شيء بينما صار أعداء الرسول يتمتعون بخيرات انتصار الإسلام وهم الذين كانوا قد وقفوا أو أن أهلهم قد وقفوا ضد محمد ورسائله، وبدأوا يتنادون بأن هذه الخيرات هي من حق أنصار رسول الله في بدر وأحد، ومن أبرز المعارضين هؤلاء كان عبد الله بن مسعود وهو الذي كان يتولى خدمة رسول الله في المدينة ومن الذين حفظوا القرآن كما نزل على الرسول، وكذلك كان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الناسك المتقشف الذي وقف مناديا ومنددا بالأخطاء والتجاوزات وأعطا الناس بداية في دمشق حيث وقف ضد معاوية أميرها حينئذ، ثم في المدينة التي أبعد إليها بأمر من الخليفة عثمان عندما اشتكى معاوية من مسللك أبي ذر الغفاري ذاك .

لسنا في حاجة إلى تفصيل طريقة القتل أو موقف علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وغيرهم إلا أننا لابد أن نذكر أن الخليفة كان قد حوصر في بيته لمدة أربعين يوماً وفي رأي بعض المؤرخين أن المدة هي اثنان وعشرون يوماً، وكاد مع أهله أن يموت من العطش دون أن يحاول أحد من هؤلاء الصحابة مساعدته في فك الحصار عنه أو مساعدته في إطفاء نار الفتنة مع الأسف، وكانت نتيجة ذلك الموقف كارثة وخيبة أمل، وسنرى كيف جر مقتل عثمان إلى فتن كبرى وتقاتل شرس وخلاف شديد بين أهل البيت أنفسهم وبين بني هاشم وبني أمية، بين علي ومعاوية وظهور فئات مختلفة، تسمت بأسماء مختلفة واحدة تناصر هذا والأخرى تناصر ذاك وثالثة تختلف مع الجميع ... إلخ .

ولقد غاب المنطق والمقل ليحل محلهما العنف والفتن والدسائس ويختفي الحماس للإسلام وعظمة ما تحقق في عهد النبي وعهدي أبي بكر وعمر وبداية عهد عثمان .

علي ومعاوية وقميص عثمان :

سيطر المتمردون على المدينة مباشرة بعد مقتل عثمان وربما يمكن القول إن هذا أول انقلاب مسلح في تاريخ الإسلام إذا صح هذا الوصف، ولقد اختلف الناس رغم أن دولة الإسلام أصبحت مهددة بالتفكك والانحلال وهى متباعدة الأطراف، فقد حدث أن أهل الكوفة كانوا يريدون الزبير وأهل مصر يؤيدون علياً وأهل البصرة يؤيدون طلحة، وقد مرت خمسة أيام على هذا الحال^(١) وكان أحد الأمويين قد أخذ قميص عثمان الملطخ بالدماء وأصابع زوجته (نائلة) التي قطعت عندما كانت تحاول حمايته باتقاء ضربة سيف، ونقلها إلى معاوية في دمشق وهو أموي تربطه بعثمان صلة القرى ومعروف بالدهاء والفطنة، لقد استقر الرأي على مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وإن اختلفت روايات المؤرخين في كيفية المبايعة وكيف أن علياً تقدم

(١) يذكر الطبري أن البيعة لعل تمت غداة مقتل عثمان، ويذكر ذلك أيضاً ابن سعد، وكان سعد بن أبي وقاص قد بايع علياً مع من تابعوه .

على طلحة والزبير، وبذلك رجع المتمردون إلى الكوفة والبصرة والفسطاط وإن كانت النار تضطرم تحت الرماد، وعلى الرغم من أن علياً ابن عم النبي وزوج ابنته فاطمة وأحد الثلاثة الأول في الإسلام وكان في العاشرة من عمره عندما أسلم، كذلك فقد كان بطلاً من أبطال الإسلام، فإن الزبير كان البطل الذي اقتحم حصن بابليون في غزوة مصر وهو كذلك ابن عمه الرسول، أما طلحة فهو أحد أبطال معركة أحد وقد أصيب في تلك المعركة وهو يحمي رسول الله من ضربة سيف استهدفته .

وكان الخلاف قائماً بين الهاشميين منذ زمن، ويعد أن عاذ المتمردون بقيت المدينة تحت رحمة العبيد والموالي الذين عاثوا في البلاد فساداً وتحرشوا بالناس ولم يعودوا يطيعون أوامر سادتهم وأرتكبوا الكثير من الجرائم في عاصمة الامبراطورية التي تكاد أن تصير نهباً حيث إن القبائل العربية المحيطة بها يتوقع منها أن تنتهز فرصة الفوضى هذه فتشارك في النهب والقتل .

والخليفة الجديد وهو الرابع (علي بن أبي طالب) لم يشأ أن يذعن ويتخذ الإجراءات ضد قتلة عثمان رغم ما قدم إليه من نصيح، وقد قام بعمل غير مدروس ولا متروكاً عندما عزل كل الأمراء الذين كان عثمان قد عينهم بل وحتى أولئك الذين كان قد عينهم عمر بن الخطاب كحالة معاوية بن أبي سفيان ، وهذا التصرف جعلهم يعتقدون أو ربما يجزمون بأن علياً كان وراء مقتل عثمان لأنه لم يلاحق القتلة ولأنه عزل ولاية عثمان ربما خوفاً من أنهم سوف يطالبونه بمعاوية قتلة عثمان، ورغم ما أقدم عليه علي بن أبي طالب فإن ولاته لم يتمكنوا من استلام مهام إماراتهم وذلك كان بداية عدم قدرة الخليفة الجديد على فرض السيطرة من دار الخلافة وهذه فرصة كان ينتظرها كثيرون ومنهم معاوية في دمشق، وكان علي بن أبي طالب يتبع طريقاً آخر في محاولة منه لتأكيد دور أمير المؤمنين في تنفيذ الأوامر فكتب إلى أبي موسى الأشعري في الكوفة وإلى معاوية بن أبي سفيان في دمشق، وكان الأول قد رد على الخليفة بينما لم يرد الثاني إلا بعد وقت طويل، وعندما رد كانت رسالته تقول: « من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » وهذا يعني أنه لا يعترف

بعلي كأمر للمؤمنين ، وكانت المعلومات قد وصلت عليا تؤكد أن ستين ألفا من المقاتلين سيكون في دمشق على قميص عثمان وأنهم يطلبون الثأر ، وتؤكد علي أن الحرب آتية لا ريب فيها وفي أقرب وقت، وهكذا أصدر الأمر بالاستعداد للحرب وبعث الوفود إلى الأمصار يدعوها لمساعدته على أنصار الفتنة ، ولأنه كان يتجاهل نصائح الزبير وطلحة ونظرا لشكوكهما في موقفه فقد غادرا المدينة إلى مكة لأداء العمرة وكانت عائشة أم المؤمنين هناك وهي التي لا تخفي شكوكها ورأيبتها في نوايا علي منذ اتهمها في حادثة الإفك إضافة إلى وجود عدد من الأمويين الذين تركوا المدينة خوفا من علي، وقام الزبير وطلحة بإعلان الثورة على علي حيث توجهوا على رأس جيش من مكة إلى البصرة وكانت معهما عائشة وذاع القول بين الناس أن عليا هو المشجع على قتل عثمان لأن عليا قد رفض القصاص من قتلة الخليفة وكانت عائشة تخطب في الناس فتقول : « سفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام » . وهي بذلك تشير إلى علي ومن معه، وصارت صيحات الحرب واثار هي الأعلى، ويدأ كل طرف يعد العدة لليوم الفاصل، وهكذا فإن الدولة الفتية، الامبراطورية الناشئة ومجد الفتوح والانتصارات التي لم يمر عليها أكثر من ربع قرن أصبحت في مهب الريح بسبب التناقض والتآمر والخيانات من عرب وغير عرب، من طلاب السلطة وطلاب المال، ولم تكن السيوف موجهة إلى أعداء الله وإنما إلى صدور المسلمين، صارت الحرب آتية بين فئات إسلامية ثلاث وهي كذلك بين صحابة رسول الله وذوى قرياء، لقد استعد علي ومن معه واستعد طلحة والزبير ومن معهما واستعد معاوية ومن معه، كان علي واتباعه في ذي قار وطلحة والزبير في البصرة ومعاوية في دمشق والنار تستعر، وعندما اقترب جيش علي من البصرة خرجت قوات طلحة والزبير للقائه إلا أن عليا أرسل يطلب التفاوض وتم الاتفاق مع الزبير على عدم القتال، ويذكر المؤرخون أن عليا قد وافق على محاكمة قتلة عثمان بعد أن تستقر الأمور لكن المتآمرين كانوا لا يريدون أي اتفاق لأنه سيكون على حسابهم فتشروا بين صفوف الجيش الذي يتبع الأكاذيب ودبروا مكيده أدت إلى التحام الجيشين صباح اليوم الثاني ولم يشترك الزبير في

القتال لأنه عاهد عليا ألا يقاتله إلا أنه قتل قرب مكان المعركة واختلف المؤرخون في سبب قتله، أما طلحة فقد جرح في المعركة ونقل إلى البصرة فمات هناك وكانت عائشة بهودجها مع جيش طلحة والزبير تحت الناس على القتال إلا أن جملة عقر من الخلف وسقط على الأرض حيث تحطم الهودج، وقد عرفت المعركة باسم (معركة الجمل) نسبة إلى جمل عائشة وحدثت في ديسمبر سنة ٦٥٦م، وقد قتل فيها عدد هائل من المسلمين قيل إنه يزيد على الستة آلاف من الطرفين^(١) وعامل على رغم ذلك السيدة عائشة معاملة كريمة وأعادها إلى المدينة في صحبة أخيها محمد بن أبي بكر ثم دخل البصرة التي غادرها بعض الأمويين خوفا من الانتقام على الرغم من أن علي بن أبي طالب قد دعا إلى الرفق والتسامح حتى مع الجيش المهزوم وكلف ابن عمه عبد الله بن عباس بإمارة البصرة وكان ذلك في شهر يناير سنة ٦٥٧م وقرر أن تكون البصرة عاصمة الخلافة، وهي المرة الأولى التي تنتقل فيها القيادة في عهد الخلفاء الأول (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) بعيدا عن المدينة ومكة .

كان عمرو بن العاص يعيش في المدينة منذ عزله عثمان للمرة الثانية وعندما بوع علي بن أبي طالب أميرا للمؤمنين قرر عمرو أن ينضم إلى معاوية وذلك بعد معركة الجمل التي قتل فيها طلحة والزبير، وانضمام عمرو إلى معاوية لا يخلو من الفطنة والذكاء وهو الشيء الذي عرف به عمرو بن العاص، على الرغم من أن عليا كان منتصرا في تلك المعركة مما يؤكد قوة موقفه .

وعندما استعد علي للحرب المتوقعة بث كعادته إلى معاوية برسالة يطلب منه الاعتراف بخلافته وعدم الخروج على إجماع المسلمين، لكن معاوية وقد واتته الفرصة أجاب أنه لن يبيع عليا إلا إذا عاقب قتلة عثمان وبذلك خرج علي بن أبي طالب على رأس جيش كبير من الكوفة مجتازا المدائن في اتجاه الموصل ومنها إلى الرقة على نهر الفرات ثم عبره ليلتقي بجيش معاوية في صفين شمال غرب الرقة في شهر مايو سنة ٦٥٧م وقام في محاولة أخيرة بطلب التفاوض بينما كان معاوية

(١) ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن العدد بلغ ثلاثة عشر ألفا من القتلى.

مصرًا على معاقبة قتلة عثمان قبل أي شيء آخر، وعلى الرغم من طلب التفاوض فإن نوابا علي لم تكن لتخفى على معاوية ذلك أن عليا قد عين محمد بن أبي بكر أميرا على مصر وهو أحد الذين اقتحموا بيت عثمان وشهد مقتله كما أن أحد أبرز قادة جيش علي كان (مالك الأشتر) وهو رأس الفتنة ومحركها ، ولم يكن بد من القتال وحسم الأمر بالسيف، وخلال اليوم الثالث أو الرابع من القتال الضاري بين الطرفين ظهر أن بؤادر النصر كانت في جانب جيش علي وهكذا اقترح عمرو بن العاص على معاوية أن يأمر المقاتلين برقع المصاحف (القرآن الكريم) طلبا للاحتكام إلى شريعة الله عز وجل، ففعل وارتفع الصراخ مناديا (هذا كتاب الله بيننا وبينكم) وحدث خلاف شديد بين أنصار علي منهم من كان يرفض ومنهم من يطالب بالموافقة، ولما كانت الأغلبية توافق فقد بعث علي إلى معاوية يسأله ماذا يريد، فقال معاوية : « نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تيمثون منكم رجلا ترضونه ونبعث منا رجلا نأخذ عليهما عهدا بأن يعملوا بكتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما يتفقان عليه » . وكان لابد أن يقبل علي وأصر أنصاره على تكليف أبي موسى الأشعري ممثلا لهم في التفاوض أما معاوية فقد اختار عمرو بن العاص رجل الذكاء والدهاء، ويذكر المؤرخون أن مجرد قبول علي بالتحكيم كان نصرا لمعاوية لأن عليا هو الخليفة ومعاوية مجرد أمير على سوريا وقد تساويا في المبدأ عند التحكيم، ومنذ البداية رفض عمرو بن العاص أن يذكر في مسودة الاتفاق أن عليا أمير للمؤمنين قائلًا إنه أمير على جيش وقَبِلَ التفاوض .

كان القتال قد توقف انتظارا لنتيجة التحكيم وتم توقيع اتفاق التحكيم في صفين، ورجع علي إلى الكوفة ومعاوية إلى دمشق، وكان بين أنصار علي من يستتكر هذا الاتفاق وذلك كان بداية الخروج على علي.

اجتمع الحكماء في يناير سنة ٦٥٨م أي بعد ستة شهور من توقيع الاتفاق الأول في مكان يسمى أذرع شرق الأردن وكان مع كلا الحكيمين أربعمائة رجل كذلك كان هناك مراقبون من الصحابة، وعندما اجتمع عمرو بن العاص مع أبي موسى الأشعري اقترح الأول رغبة في وحدة المسلمين وعدم سفك الدماء (كما قال) خلع كل

من معاوية وعلي ثم ترك الأمر للمسلمين ليختاروا خليفة بدلا من هذين الاثنين لأنهما لن يتفقا، وكانت فرصة لعمرو بن العاص إذ كانا حينئذ وحيدين في خيمة فوافق أبو موسى الأشعري وخرجا على أولئك الذين كانوا ينتظرون ليعلنا أنهما اتفقا على خلع الاثنين (علي ومعاوية) وترك الأمر للمسلمين لكي يختاروا ، وإذ كان عمرو قد وافق فقد جعل أبا موسى الأشعري يعلن هو الأول خلع الذي يمثله، فأعلن هذا خلع علي ، وجاء دور عمرو بن العاص فقال : « ها قد سمعتم أن أبا موسى قد خلع علي أي أنه خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في إمارة المسلمين لأنه ولي عثمان والمطالب بدمه وهو الأحق بالخلافة ».

ولقد اختلف المؤرخون في الأسباب والوعود، ولماذا خلع أبو موسى عليا وكيف رتب عمرو بن العاص هذا الوضع .

وتفرق الناس ولم ينتج عن هذا التحكيم إلا المزيد من الخلاف وأصبح معاوية خليفة للمؤمنين بحكم الواقع لأن عليا كان قد وافق على التحكيم وانطلبت الحيلة على وكيله، وصار من حق الخليفة الجديد أن يلزم الجميع بالطاعة، وما كان من علي إلا أن قاتل الذين خرجوا عليه وهزمهم في النهروان، وقد عرفوا وقتذاك بالخوارج .

وقيل إن معاوية وعد عمرو بن العاص بإمارة مصر مرة أخرى إذا ما انتصر في التحكيم وهو ما تؤكد الأحداث بعد لقاء أذرع، ذلك أن معاوية كلف عمرو بن العاص بالزحف على مصر التي كان أميرها محمد بن أبي بكر الذي عينه علي بن أبي طالب، ولم يلق عمرو بن العاص مقاومة تذكر وقد انتصر على محمد بن أبي بكر الذي قتل شر قتلة، وحكم عمرو مصر معترفا لمعاوية بالخلافة (أميرا للمؤمنين).

ولقد استشرى الخلاف وقامت الثورات وتقاتل المسلمون ، قامت ثورة في البصرة، وثورة في فارس، وثورة في كرمان، وغارات على الأنبار وعين التمر، واحتل جيش سوريا مكة والمدينة سنة ٦٦٠م ليجبر الناس على الاعتراف بخلافة معاوية ، وظهر الخلاف على علي من أقرب الناس إليه مثل أخيه عقيل بن أبي طالب الذي

انضم إلى معاوية، ثم قتل ابن ملجم علي بن أبي طالب في ٢٠ يناير سنة ٦٦١م وكانت نهاية مأساوية .

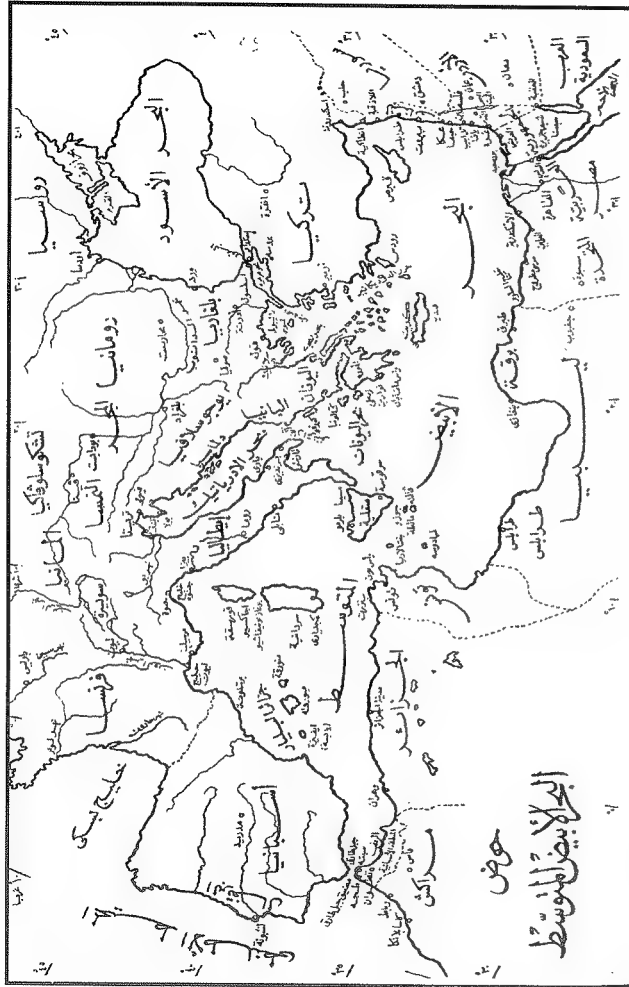
وبذلك خلت الساحة لمعاوية الذي كاد أن يُقتل هو الآخر في نفس الوقت الذي قُتل فيه علي بواسطة البرك الذي أصابه بجرح .

كان هذا هو الوضع العام في الامبراطورية العربية الإسلامية قبل تولي معاوية الخلافة، وإن كان أميراً على سوريا في عهدي عمر وعثمان بن عفان، وهي فترة حرجة حافلة بالانتصارات والفتوح ثم بالثورات والانتفاضات والتقاتل والتنافس، وبمقتل علي انتهت خلافة الراشدين التي ابتدأت بأبي بكر الصديق وعلى الوجه التالي :

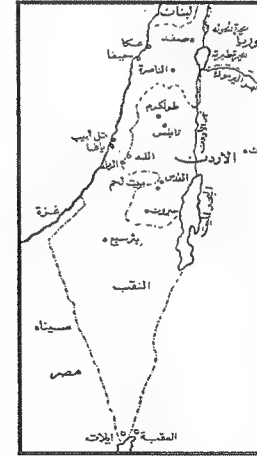
أبو بكر الصديق أول الخلفاء من سنة ٦٣٢ ميلادية إلى سنة ٦٣٤ ميلادية، بعده عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء من سنة ٦٣٤ ميلادية إلى سنة ٦٤٤ ميلادية، ثم عثمان بن عفان الخليفة الثالث من سنة ٦٤٤ ميلادية إلى سنة ٦٥٦ ميلادية الخليفة الرابع علي بن أبي طالب من سنة ٦٥٦ ميلادية إلى سنة ٦٦١ ميلادية.

وكان عصر هؤلاء الرجال يتسم بالتقشف والعدل والمساواة في شئون المسلمين ذلك أنه عهد قريب من عهد الرسول ﷺ وكان هؤلاء الخلفاء قد تأثروا بسيرته لأنهم عاشوا دعوته وجهاده وتخلقوا بأخلاقه وكانوا جميعاً أصدقاءه ومن ذوي قرياه .

أما الوضع في قبرص فقد كان شبيهاً، ذلك أنها مستعمرة بتوالى عليها الحكام والغزاة، وهو ما نعرض له في الفصل التالي .



فلسطين أرض المقدسات اليهودية والمسيحية والإسلامية، أرض الأديان الثلاثة، وهي كانت ومازالت مسرح الصراع والحروب والتقاتل، هي أرض الأنبياء وكان يجب أن تكون أرض السلام، ولكن المطامح والأغراض والتنافس حولها إلى أرض حرب، جاءها المسلمون لأنها كانت أولى القبلتين، ولم يعتدوا على المقدسات الأخرى التي يحترمونها، وما فعله الخليفة عمر بن الخطاب دليل على ذلك، ثم جاءها أولئك الذين يريدون طرد أمة محمد باسم أمة عيسى، وكان يجب أن يلتقي أمة محمد بأمة عيسى وتتعانقا، ولكن مع الأسف حدث العكس، وفلسطين الآن أيضا أرض حرب لأن أمة موسى لا تريد أن تعترف بحق الأمتين الآخرين وذلك عكس الحقيقة والتاريخ، ولن يحل السلام إلا إذا تعايشت الديانات الثلاث ومعتقوها معا .



فلسطين

الفصل الثاني

الموضع العام في قبرص قبل خلافة معاوية

« يا لها من سقطة أيها الناس .. شملتنا جميعا .. أنا وأنتم ..
بينما كانت الخيانة تترعرع فوق رؤوسنا، لقد انتقلت سلطة الحكم إلى
الوحوش الكاسرة وفقد الناس عقولهم » .

من مسرحية
شكسبير (يوليوس قيصر)

من المعروف أن الموقع الجغرافي للبلدان وما يقع فيها له علاقة مباشرة بحياة الناس وأدوارهم التي لعبوها في أحداث التاريخ، وللبلدان وأهلها تأثير وأثر وتأثر بمن حولهم يجاورهم في الموقع الجغرافي وخصوصاً تلك البلدان التي تمثل معابر للغزاة والمغامرين والفاثحين مثل مناطق الحدود بين البلدان والجزر في البحار.

وقبرص جزيرة في وسط البحر الأبيض المتوسط وهي بذلك تفرض على سكانها الذين يعيشون فيها نوعاً من العزلة والانغلاق على الذات، وهذا الوضع لا يخص هؤلاء الناس فقط وإنما هي حالة وظاهرة إنسانية عامة يشاركون فيها سكان الجزر الأخرى في هذا البحر والبحار الأخرى من العالم المسكون. وهذه الحالة معروفة لكل من راجع التاريخ واطلع على أحوال البشر في حياتهم ماضياً وحاضراً، وكانت علاقة قبرص ببلاد الشام (حسب المفهوم التاريخي الواسع) كعلاقتها بالأناضول (وآسيا الصغرى في العموم) وهي لا يمكن أن توضع على نفس المستوى في علاقتها مع مصر واليونان وذلك لقربها بتينك وبعدها من هاتين، على الرغم من عمق تأثير مصر واليونان معاً في ماضي قبرص قبل المسيحية والإسلام، فهذه الجزيرة ومن حيث الواقع هي تحت سيطرة شامية أو أناضولية لأنها تمثل حصن أمان لهما وهي كذلك باب مفتوح على سائر الشعوب وجميع الأسواق في منطقة البحر الأبيض المتوسط في حالة التصدير أو الاستيراد، وعندما تكون هذه الجزيرة تحت سيطرة دولة أخرى سواء أكانت قريبة أم بعيدة فإنها تمثل رأس حربة موجهة إلى الأقالييم الآسيوية التي تطل شواطئها على حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر فإن القبارصة الواعين لهذا الدور الذي يفرضه عليهم الواقع الجغرافي مصيراً محتوماً كانوا ومن واقع أحاسيس ومشاعر

العزلة فيهم أحرص على حيادهم في تلك الصراعات بين القوى الكبرى من حرصهم على استقلال تام وحرية يدركون أنهم لا ولن يحتفظوا بها إلا متى اعترفت لهم الأطراف المتصارعة بحيادهم ذلك، أن تعدادهم ومساحة أرضهم المحدودة ومصلحتهم الاقتصادية لا تجعل منهم قوة عدوانية أساسية أو مساندة يخشى جانبها الشام أو الأناضول أو مصر أو اليونان.

ولهذا فإن النظرة الموضوعية إلى هذه الجزيرة قاصرة على أنها ساحة لا يجب أن ينفرد بالسيطرة عليها طرف آخر سواء كان صديقا أو خصما لمن فيها من الناس، في هذا الإطار ومن خلال هذا المنظور العام والموضوعي علينا أن نعرف تاريخ قبرص القديم والأقدم والحديث وربما المعاصر (رغم التطور التكنولوجي) فإن لم نفعل وذهبنا فيه مذهب آخر خصا أو تحيزنا فيه إلى جانب دون جانب بسبب تيار قومي أو حضاري من التيارات المتصارعة في الفترة التي يؤرخ لها صعب علينا إدراك الدوافع في العديد من المواقع والأحداث المروية، وما هذا إلا لأن تاريخ قبرص ليس إلا حلقات مترابطة متصلة بما للأقاليم المحيطة من وراء البحر من تاريخ، ونحن هنا لا نقدم تفصيلا لتاريخ وإنما نقدم تذكيرا بأحداث التاريخ كمقدمة لفترة تاريخية لاحقة نراها ذات أهمية بالغة، ولابد أن نذكر أن تواجد الإنسان على هذه الجزيرة يرجع إلى عصر قديم يصعب تحديده بدقة إلا أن مجتمعا بشريا على درجة من حضارة العصر الحجري الحديث مؤكد تواجده بقبرص قبل (٧٠٠٠ سنة) قبل الميلاد، كذلك فإن مراكز لحضارات من ذلك العصر عثر عليها في أماكن عديدة بلغت حوالي أربعين مركزا، وقد أظهرت الدراسات فيها وجود شعب ممارس لمهنة الزراعة ومستأنس لبعض أنواع الحيوانات من آسيا الصغرى في الألف السادسة قبل الميلاد، وقد أرجع الباحثون مواطنه الأصلية إلى مناطق الأناضول بآسيا الصغرى، وفي الألف الخامسة قبل الميلاد عرفت جزيرة قبرص صناعة الفخار كما أنه في الألف الرابعة بدأ الإنسان القبرصي يستخرج النحاس الذي ازدهر تعدينه وتصدير الجزيرة له منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وربما قبل ذلك، ولقد اجتذب هذا المعدن البالغ الأهمية آنذاك بحلوله محل الأدوات والآلات الحجرية والفخارية انتباه

الكثير، وقد صنعت منه التماثيل وغيرها في سائر البلاد المحيطة بالحوض الشرقي للأبيض المتوسط كذلك جاء العديد من الناس إلى الجزيرة وتطورت الأوضاع السياسية حيث حدثت الأطماع وبدأ الاحتلال وكثر المغامرون، فقد تعرضت جزيرة قبرص لغزو الفراعنة وغيرهم في فترات مختلفة كما يلي:

الميلاد اليوناني؛

في خلال الألف الثانية قبل الميلاد امتدت سيطرة أهل كريت المينيين إلى جزيرة قبرص، كما امتدت إليها قبل ذلك وبعده سيطرة مصر الفرعونية، ولكن الفينيقيين كانوا في النهاية هم الغالبون عنصرًا واقتصادًا ولغة وثقافة، فقد كانوا الأقرب إلى الجزيرة من حيث الأرض من غيرهم وكانوا في الواقع بحارة المتوسط في ذلك الوقت كما كانوا التجار والصناع، ومن المعروف أن التجارة والصناعة وإتقان صناعة السفن والبحر عوامل أساسية ممكنة للسيطرة والاهتمام بالمناطق القريبة والبعيدة لمزيد من الفرص والأسواق وبالتالي التقدم والقوة.

وفي حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد طرأت على تلك الأقاليم المحيطة بالحوضين الأوسط والشرقي للبحر الأبيض المتوسط شعوب آرية (هندوأوروبية) عرفت في نصوص مصر الهيروغليفية (بأقوام البحر) التي وإن ردت عن مصر برا وبحرا على ما ذكر في التاريخ إلا أنها قد اتخذت لها مواطن في مناطق أخرى من شمالي الحوض الشرقي والحوض الأوسط من البحر الأبيض المتوسط، وكانت جزيرة قبرص واحدة من تلك الأقاليم، وبعد نزاع وصراع وتزاحم وتدافع بين الشعوب والحضارات والثقافات تغلبت الهيلينية على الفينيقية في هذا الجانب من البحر، وسات مع بدايات الألف الأولى قبل الميلاد لغة وثقافة ومعتقدات اليونان بجزيرة قبرص فأصبحت وأهلها يعدون من اليونان لدورانهم في فلك الهيلينية حتى ولو لم يكونوا من أبناء اليونان مولدا ولا أصلا، ومن الطبيعي أن اللغة والثقافة والتقاليد عناصر أساسية في تكون الأمة وترسخ الانتماء.

ولم تكن ليونان الغلبة التامة في الجزيرة على الفينيقيين، أولئك الصناع والتجار الذين استمرت لهم تجارتهم في مراكز مختلفة ومدنهم الخاصة بهم كما كان للقبارصة الأصلاء مراكزهم التجارية ومدنهم العامرة على الساحل السوري من القارة الآسيوية، وكانت القرون العاشر والتاسع والثامن قبل الميلاد عهود ازدهار وثراء لم يعرف القبارصة له مثيلاً آنذاك.

وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد خضعت قبرص لملك آشور (سرجون الثاني) واستمرت كذلك حتى سنة ٥٨٥ قبل الميلاد، وفي هذه السنة تمكنت مصر على عهد (إبريسس الليبي الأصل^(١)) من القضاء على قوة آشور البحرية القبرصية فسهل ذلك على خليفته (أحمس المصري) والذي يعرف باسم (أمازيس عند اليونان) الاستيلاء على كامل الجزيرة وإخضاعها لسلطان مصر، ولم يكن المصريون في سيطرتهم على الجزيرة كالفرس يكتفون من أهل البلاد بالخضوع السياسي والإقرار بالتبعية (وكما فعل العرب فيما بعد) وإنما كانوا وبالفعل مستعمرين، الأمر الذي دفع القبارصة إلى أحضان الفرس والإسهام معهم في حريهم بالشام ومصر، فلما انتصر قمبيز عادت قبرص إلى ارتباطها بالفرس وإن في ثياب الحليف.

تحالف القبارصة مع الفرس:

عادت جزيرة قبرص تدور في فلك النفوذ الفارسي منذ سنة ٥٢٥ قبل الميلاد وعادت إليها حريتها الذاتية (استقلال داخلي) كحليف فأصبح حكام القبارصة في دويلات المدينة من نفس الشعب حتى وإن كانوا حلفاء دولة الفرس وأتباعها، فقد كان لكل مدينة ملكها وجيشها ونقدها القبرصي الخاص بها، ولكن ورغم هذا فإن الجزيرة لم تسعد بالسلم ربما لأنها لم تكن في سائرها يونانية ولا كانت فينيقية

وبالطبع فهي غير فارسية لهذا فإن مشاعر الولاء توزعتها تيارات وميول غدتها (وكما هي الحال دائماً) أطماع الساسة الذين يسعون إلى الحكم والجاه والسلطان فاندلعت حرباً أهلية (داخلية) قادها أونسييلوس ضد أخيه قورقوس ملك سلامينا سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وقد تمكن أونسييلوس وكانت ميوله يونانية من أخيه قورقوس وكان هذا فارسي الميول فانتزع ملك مدينته منه، وقد هرب قورقوس فالتجأ إلى حلفائه وحماته الذين خفوا لتجدهته بأسطول فارسي حاصر سلامينا ولم يستطع اليونانيون إنقاذ المدينة ولا المفتصب المحصور فاحتلت المدينة وأعدم المفتصب (وسنرى أن مثل هذا الغزو سيحدث بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة من ذلك التاريخ حيث قام الأتراك هذه المرة بحصار بحري حول فاماقوستا وكرانيا سنة ١٩٧٤ م لتجدة القبارصة الأتراك، أي لنفس السبب وإن اختلف الزمن والناس، وهو ما سوف تفصل أحداثه فيما بعد).

عاد الملك المخلوع قورقوس إلى عرشه كما كان، وبطبيعة الحال كان عليه أن يرد الصنيع فجهز أسطولاً قبرصياً من مائة وخمسين سفينة أو مركباً بحرياً قادها بنفسه ليشارك بها في حصار أثينا قبل سنة ٤٨٠ قبل الميلاد (أو لم تكن أثينا نصيرة أخيه أونسييلوس) ولم يهزم اليونان في تلك الحرب على الرغم مما حشده الفرس ضدهم من مصر والشام وبرقة وقبرص، بل على العكس فقد انتصروا بالرابطة اليونانية وتمكنوا من رد الفرس وألحقوا بهم الهزائم براً وبحراً، وبسبب ذلك عقدت معاهدة صلح كانت لصالح اليونان وقد تنفسوا معها الصعداء لأن التكاليف كانت باهظة وكان الثمن بالنسبة لمن ناصر اليونان في حريهم تلك كبيراً، فقد سلم اليونانيون فيهم للفرس الذين كانوا معهم قساة بمقدار ما كانوا مع من كان معهم ومتحيزاً لهم كرماء وأوفياء، وهكذا ازدهرت سلامينا وأصبح لها على سائر الجزيرة النفوذ والسلطان.

ولقد حاولت الفئات ذات النفوذ والميول اليونانية أن تغير من هذا الواقع الجاثم كالكايبوس وثارت أكثر من مرة كما خاضت أكثر من حرب غير أنها لم تتجح

(١) من ملوك الأسرة ٢٥ المصرية، وكانت الأسرات الليبية الأربع هي: ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥ بدءاً من الفرعون شيشانق.

في محاولاتها جميعا واستمرت على وضعها حتى تخلصت الجزيرة من النفوذ الفارسي نهائيا على يد الإسكندر المقدوني الأكبر سنة ٣٣٣ قبل الميلاد.

قبرص بطلمية هيلينية:

مات الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ قبل الميلاد تاركا امبراطورية هشة سرعان ما تفككت فتنازع قواده أقاليمها واستولى الأقوياء منهم كل على جانب وأقام كل منهم لنفسه دولة في نهاية المطاف، ولما كان ملوك دولة المدينة في قبرص يدركون خطورة الوضع وأهمية الموقع فقد حرصوا على تجنب الانحياز والتحزب ويقوا على الحياد في الصراع الذي احتدم حتى إذا انتهى إلى غاياته وتقاسم القواد الأقاليم وقعت الجزيرة في دائرة نفوذ بطليموس الذي وضع يده على برقة (قورينة) في ليبيا إلى جانب مصر التي أعلن نفسه عليها ملكا.

ولم يكن بطليموس الأول ممن يتعجل النتائج في القضايا التي من هذا القبيل فآثر على السيطرة المباشرة بالاحتلال سياسة الربط بالأحلاف فعقد حلفا مع ملك سلامينا ومع سوليس وبافوس ولكن انتيجون الذي حاز من امبراطورية الإسكندر على أرض مقدونيا لم يكن ليتترك قبرص خالصة لبطليموس فزاحمه وحالف بدوره ملوك كيتون وماريون ولايبفوس وكيرين وهذه كلها مدن قبرصية وكان من الطبيعي وقد فسدت الأمور بين الاثنين أن يصطدم حلفاء هذا بحلفاء ذلك فانقسمت الجزيرة بسبب ذلك واستمر الصراع فيها طويلا حتى تمكن ديمتريوس ابن انتيجون من التصفق بقواته على قوات بطليموس فأخرج الخصم منها وخلصت الجزيرة بأكملها له في مطلع القرن الثالث قبل الميلاد إلا أن تبعية قبرص لمقدونيا اليونانية لم يطل عهدها فقد عاد بطليموس الأول بقواته هذه المرة ليحتل ويخضع ويسود، وتمكن من استعادة سائرهما سنة ٢٩٥ قبل الميلاد فوطد العهد البطلمي الهيليني الذي امتد بعده لمدة حوالي قرنين ونصف القرن من الزمان، ولم ينته إلا بسيطرة الرومان عليها سنة ٥٨ قبل الميلاد، وفي عهد البطلمة هذا تعرض مجتمع الجزيرة لتغيرات جذرية وفي معظم المظاهر والمجالات، فقد حلت بافوس محل سلامينا

كمركز سياسي وأصبحت عاصمة للجزيرة وتكاثرت بها طوائف اليهود (حتى بلغت مئات الآلاف فيما ذكر^(١)) وانتهى أي أثر بها للغة الفينيقية واللغة الفارسية ومعهما الأحرف الهجائية وغلبت اللغة اليونانية حديثا وكتابة حتى أصبحت لغة جميع السكان وذات الفروق بين الطوائف العرقية حيث حلت فكرة حكومة الاتحاد القبرصي محل دويلات المدينة كما حدث في برقة وتسمى في ذلك الوقت (بنتابوليس) ولم تعد فيها معابد لمعبودات غير يونانية إلا ليسوايبس وأزوريس وانقطعت صلاتها أو كادت بينونان الجزر والبلقان وآسيا الصغرى وتوطدت مع الشام وفلسطين ومصر والبنتابوليس، ولم يكن عهد البطلمة في قبرص، مع هذا ورغمهم، عهد سوء بل على العكس كان عهد ازدهار ثقافي وحضاري فقد أنجبت شعراء من أمثال (ديونسيوس وسوباتروس) وفلاسفة ومؤرخين أمثال (زينون) الذي أنشأ بالجزيرة مدرسته الفلسفية التي نادت بعدالة التوازن فيها حقوق الفرد بواجباته تجاه المجتمع، وقالت إن فقدانها يخلخل التوازن ما بين الفئات، تلك كانت قبرص البطلمية الهلينية.

قبرص والرومان أو قبرص الرومانية:

لم يعد يعوق الرومان أي عائق عن التطلع إلى الشرق وما يتوفر به من خيارات بعد قضائهم التام على قرطاجنة وسيطرتهم على سائر بلاد اليونان سوى مصر البطلمية التي ضعف أمرها ولم يعد لها على برقة وقبرص غير نفوذ اسمي إذ كان في كل من الإقليمين حاكم شبه مستقل تسمى بالملك ومارس سلطانه مجردا من نفوذ البطلمة المصريين عليه، وربما ذلك لأن الحاكم نفسه من ذات الأسرة والشيء الوحيد الذي كانت روما تترقبه متربصة للانقضاض والاستيلاء هو الذريعة والمناسبة والطرف وقد اقتعلتها في البنتابوليس حيث ادعت أن بطليموس التاسع الملقب بأبيون قد ترك وصية بأن تتول بلاد برقة إلى الرومان وبهذه الحجة تمكنت

(١) يذكر مؤرخو الرومان واليهود أن ضحايا ثورة اليهود في سنوات ١١٥ - ١٧٧ ميلادية في قبرص كانوا قرابة ربع مليون نسمة وأغلبهم من اليهود الإغريق لغة وثقافة.

قبرص المسيحية :

من غريب الصدف أن يرتبط تاريخ المسيحية ومنذ البداية برجلين كلاهما إسرائيلي، وكلاهما هيلينستي الثقافة، أحدهما كان قد استوطن مع ذويه قورينه واستوطن الآخر قبرص، وهما معا على صلة قرابة شديدة (حيث إن والدتهما أختان) وكلاهما صاحب إنجيل وهما (مرقس وبرنابا) وأخبار كل منهما مدونة ومذكورة بكل تفاصيلها في كتب المسيحية وفي كتب التاريخ العام^(١).

ففي سنة ٤٥ ميلادية كان برنابا والقديس بولس يبشران بالدين الجديد بين يهود جزيرة قبرص المتمركزين بكثافة في الجانب الشرقي من الجزيرة وخصوصا بسلامينا وهي المدينة التي عرفت باسم (فاماقوستا) فيما بعد، ولكن قومهما هؤلاء لم يستمعوا إليهما وقاوموهما في دعوتهما التي اعتبروها مروفا عن شريعة الآباء كما يعرفون فاضطروا إلى التجول والتحول بالدعوة إلى بافوس عاصمة قبرص وهي الواقعة في الجانب الغربي حيث غالبية سكانها من القبارصة ومن الرومان ووفقا في دعوتهم تلك إلى حد إقناع حاكم بافوس سرجو بولس فاعتنق المسيحية وكان أول حاكم روماني يدخل هذا الدين وهذا ما تفخر به الكنيسة القبرصية في تاريخها ويشيد به مؤرخوها حتى وقتنا هذا.

أما برنابا فكان مصيره الموت حرقا بالنار ذلك أن يهود سلامينا كانوا قد قبضوا عليه وقرروا إحراقه بالنار وهكذا حدث ولهذا السبب اعتبرته المسيحية شهيدا، وفي مجمع إفيسوس الذي عقد سنة ٤٣٢ ميلادية تم الاعتراف باستقلال الكنيسة القبرصية عن كنيسة أنطاكية وبقي لهذه الكنيسة استقلالها معترفا لها به حتى الآن، ومما يروى عن هيلين والدة الامبراطور قسطنطين أنها أهدت الكنيسة القبرصية قطعة من المعارضة التي صلب عليها السيد المسيح عندما كانت عائدة من بيت المقدس سنة ٣٢٧ ميلادية، وكانت جزيرة قبرص تتعرض لسنوات جفاف فامطرت السماء ببركتها ولم يحدث أن تعرضت الجزيرة لجفاف بعد ذلك.

(١) يوحنا مرقس (أحيانا تكتب مرقس) صديق وزميل القديسين بطرس ولوقا، وهو صاحب الإنجيل الثاني، ويُظن أن المشاء الأخير أقام في منزل والدته، برنابا الرسول فيذكر أنه منسوب لقبرص وقد مات فيها، له إنجيل يسمى باسمه ويقال إنه مزيف.

روما من نشر سلطانها عليها سنة ٩٦ قبل الميلاد ثم ومنذ سنة ٧٤ قبل الميلاد حكموها حكما مباشرا وبحكام روماني وقد فصلوها عن مصر وألحقوها أو ألحقوا بها كريت، أما قبرص فإنهم وبعد أن تم لهم الاستيلاء على قيليقيا وعلى سوريا فلم يكن أمرها يحتاج إلى أكثر من مجرد قرار يصدر عن السناتو بعزل حاكمها البطلمي ومصادرة ما عنده من أموال، وكان صدور ذلك القرار سنة ٥٨ قبل الميلاد وقد عهد بتفنيذه إلى ماركو كائون الذي لم يجد صعوبة في تنفيذ القرار فقد كان كافيا لذلك الوعد بالإبقاء على حياة الملك وعلى سلطانه الديني (وقد كان يعتبر كبير الكهنة إلى جانب أفروديت) وأن يترك له ممتلكاته الخاصة لهذا، وربما لاقتناعه بعدم جدوى المقاومة، (اقتناع الملك ومن معه) لم يشهر في وجهه السلاح، ولكن وكما هي عادة المحتلين - والرومان على وجه الخصوص - في التاريخ، فإن الوعود شيء والالتزام بها مع قوة وضعف شيء آخر سواء (قوة المحتل مع ضعف الضحية) وبالفعل فإن قبرص التي صارت منذ سنة ٥٨ قبل الميلاد مستعمرة، ألحقت بقيليقيا ولم يبدل في سبيلها أي مجهود، في مجالات الإعمار والتقدم أو التطوير حتى آلت إلى شيشرون خطيب السناتو الشهير سنة ٥١ قبل الميلاد وعندما جاءها وجد القبارصة في أشد حالات البؤس والعناء فخفف الأتاوات التي كانت مفروضة عليهم من ٤٨ % إلى ١٢ % كما عمل على إيقاف اعتداءات الجند الرومان على القبارصة المدنيين وتعقب حالات السطو على الأشخاص وحماهم مع ممتلكاتهم (وكانت البلاد في حالة فوضى وعبت من طرف الجنود واللصوص والمرتزقة وكل من جاء من خارج البلاد).

ولم يطل ارتباط قبرص بولاية قيليقيا إذ أعادها يوليوس قيصر إلى مصر سنة ٤٧ قبل الميلاد وقدمها هدية منه للملكة كليوباترا إلا أن أوغوستوس عارض في هذا الارتباط بعد معركة أزيو (شمال غرب اليونان) وجعلها هبة للسناتو سنة ٢٢ قبل الميلاد وقد فصلها عن مصر فأصبحت منذ ذلك التاريخ مقاطعة رومانية غير مرتبطة بمصر ولا سوريا ولا بآسيا الصغرى ولا ببلاد اليونان، واستمر وضعها على هذا الحال حتى حدثت تنظيمات ديو كليزيان في أواخر القرن الثالث الميلادي، ذلك باختصار كان شكل قبرص الرومانية أو قبرص في عهد الرومان.

قبرص واليهود :

كما قد ذكرنا فيما تقدم شيئا وإن كان قليلا عن سياسة البطلمة في تشجيع المنصر اليهودي على الانتشار بالهجرة فالتوطن في أقاليم أخرى هو ما يعرف في التاريخ (باليهلينستية) ومن بين الأقاليم التي تكثر فيها هؤلاء جزيرة قبرص وقد بلغوا في ذلك الوقت حدا جعلهم يكونون في سلامينا الأغلبية بين السكان، ولم يغير الرومان من هذا الواقع حيثما وجدوه بل وحاولوا بتشريعاتهم، كتشريع (أوغوستوس وغيره) ترسيخه وتأكيده، بما سمحوا به للجاليات اليهودية في مستعمرات المشرق وبرقة وقبرص، ولكن الدين الجديد (المسيحية) ودعائته وتلاشي سلطان البطلمة وسيطرة الرومان على برقة ومصر وقبرص وفلسطين وسوريا قد غيرت من نفسيات اليهود في سائر هذه البلاد وولدت فيهم مشاعر التمرد والثورة ضد المسيحيين من نفس اليهود ومن اليونان وضد السلطان الروماني، وكانت الثورة في جميع هذه الأقاليم متزامنة التوقيت موحدة القيادة والزعامة والتنظيم، وكانت دموية مدمرة، بدأت في قورينه وفي الإسكندرية واندلعت في قبرص وفي فلسطين وذلك سنة ١١٥ ميلادية، وحينما كان الامبراطور ترايان مشغولا عنها في حملته بجيشه الجرامة ضد الفرس تقوى أمر اليهود فارتكبوا في برقة وفي قبرص من الوحشية والتصرفات اللاإنسانية ما يخلج ذكره، ولم تخمد هذه الثورة إلا بالكثير من الدماء ويذكر المؤرخون القدماء أن عدداً من ضحاياها من الجانبين يقدر بما يقرب من ربع مليون في قبرص وحدها، وكانت نتيجتها تشريد اليهود في الأفاق وإخلاء الأقاليم التي شهدت الثورة منهم إلا القليل، ولم يعد لا في قبرص ولا في برقة على الأقل جاليات يهودية بعد سنة ١١٧ ميلادية ولعدة قرون بعد ذلك.

قبرص والبيزنطيون :

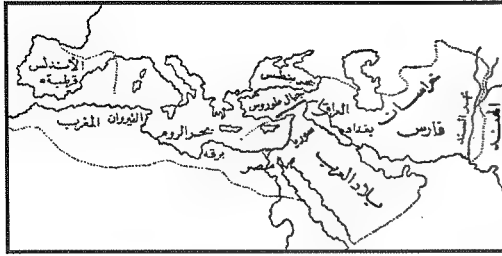
مع أواخر القرن الثالث أو بداية القرن الرابع أعاد الامبراطور ديوكليزيان تنظيم الامبراطورية الرومانية وكانت هذه نواة الانتشار إلى مشرق ومغرب وبالتالي نشأة الامبراطورية البيزنطية التي رسخها قسطنطين، وهذه تجزئة للدولة المترامية

الأطراف فرضتها اللغة والثقافة والصراع الحضاري ما بين اللاتين واليونان ورضخت لذلك الوضع السياسية، بمعنى أن بيزنطة وروما لم تكونا إلا محاولة لحل قضية جذرية أثبت التاريخ أن ليس لها من حل غير ذلك، وفي هذه التجزئة والانتشار في الامبراطورية وقعت جزيرة قبرص في حيز الشطر البيزنطي وتبعت عرش الروم البيزنطيين والقسطنطينية فانقطعت أية صلة كانت لها بروما والرومان الغربيين وكان من نتيجة هذا أن حبا نجم بافوس واستعادت سلامينا ازدهارها وأطلق عليها اسم قسطنطينية (كوستانزيا) فأصبحت العاصمة ولم تلغ محاولات بطريركية أنطاكية وقضى الامبراطور زينون على هذا بأن سمح لأسقف قبرص بأن يرتدي جلبابه الأرجواني وأن يوقع بالحبر الأحمر وهو ما لا يسمح به لغير الامبراطور وازداد النشاط التجاري لها مع مصر والشام وكريت والبنتابوليس ونعمت الجزيرة بشيء من الأمن والسلام في ذلك الوقت.

وممن ينسب إلى قبرص ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان ويذكر أنها قدمت لوقع رأسها الكثير وخصتها بتون من الرعاية وبشء من الاهتمام.

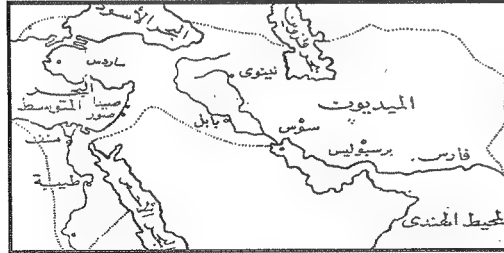
وفي الربع الثاني من القرن السابع الميلادي ونتيجة لفقدان الروم لسواحل سوريا ولبنان وفلسطين ومصر صارت الجزيرة ولسنوات قاعدة أولى للأسطول البيزنطي وكان هذا باعثا لاهتمام العرب بها وغزوهم لها سنة ٦٤٨ ميلادية، أما القاعدة المتقدمة للأسطول البيزنطي فقد كانت جزيرة أرواد الشديدة القرب من الساحل السوري، ومن المعروف أن العرب كانوا في حالة حرب ودفاع عن النفس ضد البيزنطيين.

هكذا كان الوضع العام في جزيرة قبرص قبل أن يغزوها معاوية بن أبي سفيان والذي كان يريد غزوها قبل الوقت الذي جاء فيه الغزو العربي، أي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولو حدث الغزو مبكرا ربما كانت بعض الأحداث والتطورات قد اختلفت، ولكن قناعة عمر بن الخطاب وحذره الشديد حالا دون ذلك حتى وإياه الأجل المحتوم وتولى الخلافة عثمان بن عفان الذي كان هو أيضا غير مقتنع في البداية بمثل ذلك العمل العسكري الذي لا عهد لجنود المسلمين به، ويذكر



الدولة العربية

الامبراطورية الفارسية في أوج قوتها وهي إحدى الامبراطوريتين اللتين واجهتهما الدولة الإسلامية الفتية



دولة الفرس

أن لعبد الله بن أبي السرح دورا هاما في إقناع الخليفة بأهمية بناء الأسطول البحري الإسلامي وغزو ما وراء البحار، وذلك ما حدث وكان تحولا هاما في تاريخ العرب والمسلمين.

وسنرى أن العرب الذين احتلوا جزيرة قبرص لم يكونوا استعماريين مثل حالة المصريين الفراعنة ولا مثل الرومان يحتلون ويهدون أو يبيعون ولا مغربين كما ذكر بعض المستشرقين وبعض القبارصة الذين كتبوا في التاريخ والدليل أنهم عندما احتلوا الجزيرة في المرة الأولى لم يبقوا فيها ولم يطلبوا إلا حيادها وعدم إتاحة الفرصة أو التعاون مع أعداء العرب بحيث تكون الجزيرة مركز هجوم على العرب، أما الجزيرة التي قرروها فلم تكن تزيد على ما كان يدفعه القبارصة لغيرهم كما أنهم لم يمنعوا القبارصة من الاستمرار في دفع ما كانوا يدفعونه للغير إذا كان ذلك يخدم مصالحهم الوطنية، وكذلك سنرى أن الجزيرة قدمت كهدية من غزاة آخرين قبل العرب كما أنها قد بيعت بواسطة غزاة أيضا آخرين جاءوا في وقت لاحق بعد العرب، وتلك حقائق التاريخ.



الدولة الرومانية

الفصل الثالث

الوضع العام في الدولة العربية

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦)

لما كانت كتابة التاريخ من جانب واحد لا ترضي الطرفين المشاركين في صنع أحداثه لقيام الرواية أصلاً على التمييز والانحياز فإن المطالع لما يتعلق بهذه الفترة وما يليها من هذا الكتاب وغيره من سائر الكتب العربية قد يجد ما قدمناه فيه مخالفاً بعض الشيء لما أوردته أو تورده كتابات الأوروبيين عن نفس الفترة، وهذا لا يستغرب فهو جد طبيعي ذلك أننا نخطب القارئ العربي وكتابات الغربيين تخطب القارئ الأوروبي الأصل، ولكل في تاريخه وفي ماضيه روايته وسلوكه، وليس في هذا ما يعاب ذلك أن علاقة الإنسان بتاريخه عاطفية عميقة الجذور، وما روايته في حقيقتها إلا رؤية (أي التاريخ) وقائعه من جانبين، وكل يراها من زاويته، وتبقى الحادثة حقيقة تعبر عن ذاتها فيه، ومن هنا فإن تفسير الأحداث قد يختلف من هذه الزاوية أو تلك، وذلك لا يعاب على كاتب التاريخ ولكن تغيير الوقائع واختلاق الأحداث هو المعيب والمشين، ومن أجل الحقيقة فإننا نجتهد في البحث والمقارنة بين أحداث التاريخ وصناع التاريخ.

وحيثما أطل المسلمون العرب على الشواطئ الشرقية والجنوبية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وسيطروا على تلك البقاع لم يكونوا قد أصبحوا بعد قوة بحرية من أي مستوى وشأن، وهم دولة حديثة النشأة والقوة حتى على البر، ولعل أدق وصف لما حدث من العرب ما أوردته مؤلف كتاب (تاريخ العرب) وهو كما يلي :

«الفتوحات العربية التي دكت صرح الدولة الفارسية إلى الأساس وزعزعت أركان الامبراطورية البيزنطية، ولو قام في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي أحد وتكهن بأن دولة خاملة الذكر وضيعة الجانب تخرج من مجاهل جزيرة العرب، ثم

تتقض على الدولتين العظيمتين المعروفتين فتقوض الدولة الواحدة - دولة الساسان - وتظفر بأملاكها ثم تقتطع من ولايات الثانية - بيزنطة - أزهى مقاطعاتها، نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم إنسان في ذلك العصر لحكم عليه الناس بالجنون، والواقع أن هذا ما حدث فعلا، فبعد الرسول ﷺ تغيرت طبيعة بلاد العرب الجبراء وأخذت تنشئ رجالا أبطالا يندر وجود من يشاكلهم في أي صقع كان فكان أعجوبة حلت فيها، فالحملات العسكرية التي قام بها خالد بن الوليد وعمر بن العاص وسعد بن أبي وقاص فاتحين بها العراق وفارس وسوريا ومصر هي من أعظم الحملات التي يرووها التاريخ، تاريخ الحروب المدون، وقد كشفت عن نبوغ قوادها وتقوهم في أساليب القتال، وخلدت أسماءهم مع أسماء نابليون وهانريال ويوليوس قيصر والإسكندر المقدوني» انتهى^(١).

وعندما فكر العرب في غزو البحر لم يستغرقوا في بناء باكورة أسطولهم البحري من الزمن سوى عقد واحد من السنين وما كان لهم في هذا الاتجاه وهذه السرعة من خيار فالبيزنطيون المنازلون لهم والذين هم في حالة حرب معهم كانوا دولة عريقة ولها أساطيلها البحرية كما لها جنودها البرية، فإن أرادت الدولة العربية الوليدة أن تحتفظ بما تمكنت من بسط نفوذها عليه وحمايته ورد الروم البيزنطيين عنه فلا مناص من منازلهم بحرا ولا يكون هنالك نزال ولا مطاردة إلا بالأسطول وركوب البحر، وكان هذا هو ما بذله وانصرف إليه ولاة الخلافة في كل من مصر والشام، وجزيرة قبرص من بعد جزيرة أرواد هي أقرب بابسة البحر العامرة إلى سواحل الشام، واليها وكذلك إلى أرواد لجأت أساطيل الروم البيزنطيين في مصر والشام ومن خلجانها ومراسيها اتخذت قواعد بديلة لما فقدته وما كان لها أن تفعل هي الأخرى غير ذلك آنذاك.

وهكذا أصبحت قاعدتا الروم البحريتان في أرواد وقبرص هما الشغل الشاغل في تفكير والي الخليفة على بلاد الشام (معاوية بن أبي سفيان) وكان

(١) كتاب تاريخ العرب، الجزء الأول، فيليب حتى.

الخليفة عمر بن الخطاب هو أمير المؤمنين في ذلك الوقت، وفي هاتين الجزيرتين يعسكر العدو بقواته البحرية جنودا وأسطولا ومنهما تخرج الغزوات وفيهما تكدر الأعنة وتعد الخطط وبواسطتهما تصل الإمدادات والسفن المحملة بالرجال لتداهم السكان والأراضي والقوات العربية الإسلامية في مختلف المواقع والأماكن وكان لابد والحالة هذه أن يبدأ التفكير في هذا الأمر بشكل جدى ولا بد من إعداد العدة لمواجهة هؤلاء الأعداء في نفس الأماكن واستخدام نفس الوسائل ذلك أن تلك القوات تستهدف بالضرورة بعد أن تنتهي لها الفرص والظروف وبعد أن تعد نفسها إعدادا يمكنها من تحقيق أغراضها العسكرية التي جاءت من أجلها أن تستهدف السواحل الشامية واللبنانية والفلسطينية والمصرية وتهدد بغاراتها البحرية المدن والقرى والناس.

من هذا ولهذا فإن معاقل الروم البيزنطيين في قبرص هي هدف العرب في الجزيرة ومطلهم وليس المواطنين القبارصة أو الأراضي القبرصية ولا ما يقتنون من أموال وثروات وسنرى هذا فيما صالحوها عليه القبارصة وما اشترطوه عليهم ومن هنا أيضا وجد القبارصة أنفسهم وعلى غير اختيار منهم ولا انحياز أنهم مركب تتقاذفها الرياح وتعصف بها الأعاصير أو هي فريسة يتصارع عليها العرب المسلمون والروم البيزنطيون (كما هو الحال لقوى أخرى في التاريخ السابق على هذا) وكان كل منهما يريد ألا تكون خالصة للآخر إن لم تكن بكاملها في حوزته وخاصة له ولا حول للقبارصة في هذا، فهو وبحكم الموقع الجغرافي قدر الجزيرة وأهلها المحتوم.

وعبر الزمن وبطوله كلما سيطرت على الشواطئ المقابلة من آسيا وأفريقيا أكثر من دولة واحدة فتصادم المصالح بينها محتوم ولا مناص منه، وهو ما حدث ويحدث في كل مراحل تاريخ جزيرة قبرص.

قبرص والعرب والروم :

كانت جزيرة قبرص بالذات أول بلد وراء البحر تتعرض للغزو العربي الإسلامي وقد قصدتها معاوية بن أبي سفيان وهو لما يزل واليا لعثمان (أميرا) على

بلاد الشام عندما وافق على طلب معاوية اشترط أن يكون الجند الذين يغزون عبر البحر متطوعين بمعنى أنهم راغبون ذلك وأن يكونوا مصحوبين بعائلاتهم (أزواجهم) ولذلك عدة معان أولها أن عثمان كسلفه عمر بن الخطاب كان يخشى الغزو فيما وراء البحر ولا يريد أن يجبر أحدا من جنود المسلمين على مخاطرة كتلك، وثانيها أنه كان يعرف أن تلك الشعوب الواقعة وراء البحر ربما لا تعلم شيئا عن الإسلام والمسلمين وهو لا يريد لمقاتل في سبيل الله أن يعتدى أو ينتهك حرمت أو أراضا أو حتى ربما يتزوج من أولئك القوم، قال في موافقته : «إذا ركبت البحر ومعك امرأتك فأركبه مأذونا وإلا فلا».

ولقد قام معاوية بن أبي سفيان بحملته البحرية تلك وذكورها مؤلف كتاب الفتوحات الكبرى على الشكل التالي^(١) :

«كان الخليفة عمر بن الخطاب قد عين معاوية بن أبي سفيان أميرا على سوريا، وكان معاوية هذا رجلا ذا كفاءات نادرة وقد واجهته مشكلة الدفاع عن سوريا ضد الروم فأدرك أنه ليس ثمة خطر يخشاه من ناحية البر لكن معظم المدن الغنية والمناطق الكثيرة الخصوبة تقع على سواحل البحر الأبيض المتوسط يضاف إلى هذا أن العنصر العربي لم يتسلل قط بنفوذه إلى المناطق الساحلية كما كانت الحالة بالنسبة للمناطق الواقعة على أكتاف الصحراء، وكان البحر الأبيض المتوسط لعدة قرون الطريق الرئيسية للامبراطورية الرومانية ثم للامبراطورية البيزنطية بعدها وكانت جميع المقاطعات الرومانية تقوم على شواطئه باستثناء فرنسا الشمالية وبريطانيا وكان سلطان الرومان يعتمد لمدة قرون ستة على القيادة البحرية في البحر الأبيض المتوسط ولم تكن هناك أية مراكب عربية قد ظهرت في وسط البحر وما دام في وسع الأسطول البيزنطي أن يمحى عباب البحر دون اعتراض فإن سواحل سوريا وفلسطين ومصر لن تكون في نجوة من الفارات أو من الغزو » انتهى.

(١) جون غلوب - الفتوحات الإسلامية الكبرى.

وكان معاوية أول من فهم الحقائق وأدركها فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه الإذن له ببناء أسطول عربي وتردد الخليفة الذي كان يعتقد أن كل ما يصلح للجمل يصلح للعرب ذلك أن العرب قد خبروا الصحراء واليابسة عموما ولا خبرة لهم بالبحار ومن الطبيعي أن يدركوا أن الجمل هو السفينة الصالحة لذلك، وتخوف الخليفة من الاقتراح الحديث الجريء، وبعد أن فكر بعث إلى فاتح مصر عمرو بن العاص يسأله أن يصف له العمليات البحرية، وراح عمرو ابن العاص بما عرف عنه من براعة يصف في رده على الخليفة وضع المحاربين في البحر على ظهور السفن فقال :

«إنهم أشبه ما يكونون بمجموعة من الهوام تتلقق بقطعة خشب تلعب بها الرياح ذات اليمين وذات الشمال». وهذا الوصف أفزع الخليفة الحذر من فكرة رؤية المحاربين العرب في مثل هذا الوضع الشاذ والمزرى، فكتب على الفور إلى معاوية يمنعه منعا باتا من دفع أي عربي إلى الحرب في البحر، ويذكر المؤرخون العرب أنه قال لعمرو ابن العاص : صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني، ولما تلقى رد عمرو قال : لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا.

فلما كان زمن الخليفة عثمان بن عفان عاود معاوية بن أبي سفيان الطلب لبناء أسطول بحري عربي وشرح الفكرة للخليفة وقد ساعده في ذلك أمير مصر وهو شقيق الخليفة من الرضاعة (عبد الله بن أبي السرح) وكان هو أيضا من المعروفين بالفطنة والذكاء وممن يدركون أهمية فكرة معاوية وأهمية أن يكون للعرب قواتهم وسلاحهم البحري، ولذلك وافق الخليفة على بناء الأسطول ووضع الشروط التي ذكرناها في شأن الغزو وركوب البحر.

قام معاوية بتوجيه كل الإمكانيات المتوفرة لبناء الأسطول البحري الذي داهم به البيزنطيين فيما بعد في جزيرة قبرص وقد انضم إلى حملة معاوية (كما ذكر بعض المؤرخين) أسطول مصر الذي أرسله عبد الله بن أبي السرح أمير مصر، وقد تمكن الأسطول العربي من هزيمة مراكب الروم البيزنطيين وأجلاها عن قبرص،

وقد صالح معاوية بن أبي سفيان أهل قبرص على شروط لا تسلبهم السيادة ولا تجعل منهم أتباعا .

كان الغزو سنة ٦٤٨ م (يذكر أحيانا أنها سنة ٦٤٩م) وفي هذه الغزوة ماتت زوجته وزوجة عبادة بن الصامت التي تعرف باسم (أم حرام) وقد دفنت على الشاطئ الشرقي قرب منطقة لارناكا التي يوجد بها المطار الدولي بقبرص الآن والتي أصبحت واحدة من المدن الكبيرة بينما كانت في ذلك الوقت ميناء صغيرا، ويعرف مكان السيدة (أم حرام) الآن باسم (دكة أهل السلطان) وقد أشار إليها البلاذري وغيره من المؤرخين العرب والأجانب على أنها عرفت بالمرأة الصالحة ولقد اختلف المؤرخون فيمن كان قائد الحملة تلك إذ إن هناك من يقول إن معاوية هو الذي قادها بنفسه، وقال السير (جورج هيل) مؤلف كتاب تاريخ قبرص الذي يقع في أربعة أجزاء^(١) ما يلي :

في فصل تحت عنوان البيزنطيون والإسلام قال : إن الهجوم العربي الشامل في سنة ٦٤٧م (٦٤٨م - ٦٤٩م) عندما قام أمير سوريا معاوية بإقناع الخليفة عثمان (وكان طلبه السابق قد رفضه الخليفة عمر) بذلك الغزو وقد وافق الخليفة عثمان بشرط أن يستعمل المتطوعين فقط في تلك الحملة وهي الأولى التي يقوم بها العرب على هذا المستوى في البحر وقد أبحر مصحوبا بزوجه فاطمة (لايد أنه يقصد معاوية) وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام ابنة ملحان وقريبة النبي، وكان أسطولهم يتكون من ١٧٠٠ برثاسة عبادة بن قيس مزودا بمقاتلين من مصر أرسلهم عبد الله ابن أبي السرح وقد طلب من القبارصة الاستسلام ودفع الجزية ولكنهم اعتمدوا على تحصيناتهم ورفضوا وقد تردد معاوية في البداية عن النزول على اليابسة إلا أن الإسكندرانيين أقتنوه بذلك فحاصروا (كونستانتيا) التي كانت مأهولة بالسكان وكانت بها كل خزائن الجزيرة، وقد استولى عليها ودمرها ونكل بالسكان الذين كانوا في قصر الأسقف ودنس الكنيسة الكبرى (ربما حولها إلى مسجد) وقد استولى على

الجزيرة كلها، وتم تقاسم الغنائم بين المصريين والسوريين وجعل الجزيرة تدفع الجزية، وكانت قبرص تدفع ما قدره (٧٢٠٠ قطعة ذهبية) لليونان فقرر معاوية أن تدفع نفس القيمة للمسلمين دون أن يعترض على أن تستمر في الدفع لليونانيين معتبرا أن الأمر لا يخصه إذا كان القبارصة على استعداد لدفع المبلغ نفسه للطرفين، وإذا ما صح هذا الكلام فإن الخليفة لم يطلب أن يكون الحاكم الوحيد لقبرص وكما سنرى أنه بعد ثلاثين سنة من ذلك فإن القوتين المتنافستين اتفقتا على الحصول على نفس المبلغ من الجزيرة، ومن الشروط التي فرضت على القبارصة أن يقوموا بإبلاغ المسلمين عن أي استعدادات للعدوان من طرف اليونان ذلك أن الجزيرة تقع في منتصف الطريق، وعلى أن يمتنعوا عن تقديم أي مساعدة للعدو، ومع ذلك فإنه على أساس أن القبارصة قد أعاروا سفنا سنة ٦٥٢م لليونانيين لغرض حملة عسكرية، أو لأن اليونانيين قد أرسلوا جنودا إلى قبرص قام معاوية بإرسال حملة أخرى تتكون من خمسمائة سفينة، وعند وصول هذه الحملة هرب السكان إلى الكهوف ولكنهم سحبوا منها كما يسحب البيض من العش المهجور أما الذين لم يتمكنوا من الهرب عبر البحر فقد لجأوا إلى المدينة ولكن قائد الحملة استمر يعيث في المدينة^(١) ... انتهى.

من المؤسف أن هؤلاء الغربيين ليسوا فقط يغالفون حقائق التاريخ وإنما هم يزيفونها ليظهروا حقدهم على الإسلام والمسلمين، وها نحن نرى السير جورج هيل يتجاهل تماما أن معاوية في الغزوة الأولى لم يجبر أو يلزم أحداً من المواطنين القبارصة على شيء ولا حتى كان محتلا سيطر وبقي، وكان من حقه أن يفعل ذلك إلا أنه اكتفى بأن طلب من سكان الجزيرة دفع الجزية والتعاون مع المسلمين لإبقاء قبرص محايدة فهو لا يريد أن تكون رأس حرية موجهاً إليه ولا يريد ميدان قتال وذلك بالتأكيد في صالح الجزيرة وأهلها، والجزية كانت دائما تدفع حسب شروط الفازي أو المحتل فقد دفعت للفينيقيين منذ ألفي سنة وأكثر قبل أن يولد

(١) جورج هيل - تاريخ قبرص.

(١) تاريخ قبرص، الجزء الأول - جورج هيل - صادر عن جامعة كمبريدج باللغة الإنجليزية .

معاوية وقبل أن يأتي عربي واحد إلى قبرص كما دفعت للمصريين الفرائعة وغيرهم من الذين احتلوها .

ومن عجائب الأمور أن السير جورج هيل لم يذكر لنا ماذا حدث للجزيرة عندما احتلها مليكه (ريتشارد) وما هي دوافعه لذلك الاحتلال، هل يجب أن نذكره أن العرب لم يبيعوا الجزيرة كما باعها الملك الإنجليزي، ربما يكون مفيدا أن نذكر جزءا من تلك القصة الأساوية والتي يقول عنها جورج وغيره إنها حدثت، أن ريتشارد احتاج لأموال من أجل حملته العسكرية لتحرير بيت المقدس، والقصة باختصار كما يلي :

كانت الجزيرة تحت سلطان البيزنطيين في عهد الامبراطور نيسيفور الثاني المعروف باسم فوكاس (٩٦٣م - ٩٦٩م) وفي سنة ١٨٤م وقعت تحت سلطان إسحاق كومنينوس وكان ملك الإنجليز ريتشارد الأول في طريقه ليقوم بحملة صليبية لتحرير بيت المقدس (والحملة كانت ضد صلاح الدين الأيوبي) وحدث أن جزءا من أسطوله قد جنح إلى موانئ قبرص بسبب عاصفة بحرية وكانت في واحدة من بواخر ذلك الأسطول خطيبة الملك الإنجليزي المدعوة (بيرينجارية البافارية) وشقيقة الملك الأرملة وحدث أن إسحاق كومنينوس هذا قد أهان الخطيبة والأخت وهكذا جاء الملك ريتشارد ببقية أسطوله وردا للإهانة احتل الجزيرة وبعد ستة أيام من الاحتلال تزوج الخطيبة حيث توجت ملكة لبريطانيا وقد هرب إسحاق من نيقوسيا إلى فاما قوستا ثم استسلم ولما كان الملك الإنجليزي في حاجة إلى تسخير كل إمكانياته للحملة ضد صلاح الدين فقد وجد من يشتري البلد التي احتلها حديثا وباع الجزيرة بمبلغ قدره مائة ألف بيزانت ذهبي أي ما يعادل ثلاثمائة وعشرين ألف جنيه استرليني (يا بلاش)، ونرى إنجليزيا آخر عندما يتحدث عن هذا الأمر يقول : إنها حقيقة تاريخية مؤكدة أن قبرص قد أنقذت من ذلك الطاغية بواسطة ملك إنجليزي يدعى ريتشارد الأول كان في طريقه للقيام بحملة صليبية ^(١).

(١) كان هذا ما ذكره السير جورج هيل في كتابه «تاريخ قبرص، الجزء الأول - صادر عن جامعة كمبريدج.

وهذا المؤلف أيضا لا يشير إلى أن ريتشارد قد باع الجزيرة وأهلها بالكامل مقابل مبلغ من المال، وإنما يبرر البيع بأنه أراد تسخير كل الإمكانيات من أجل غزوته ومحاربة صلاح الدين القائد المسلم، بينما عندما يتحدث هؤلاء المؤرخون عن الجزية التي قررها معاوية عند احتلاله قبرص في غزوته الأولى والتي تساوى تماما ما يدفعه القبارصة طوعا لليونان ينسون تماما أن الجزية كانت تدفع للمصريين الفرائعة في عهد تحتسب الثالث قبل ذلك الوقت بأكثر من ألفى سنة وتدفع كذلك للفينيقيين الذين جاءوا بعد المصريين.

وفي المرة الثانية التي غزا فيها معاوية قبرص تأكد له أن هؤلاء قد خالفوا ما صالحوا عليه، وهذه المرة كان لزاما عليه أن يبقى فيها قوات ترابط في مواقع معينة كي لا يخدع مرة أخرى، وهذا ما نجده في كتب التاريخ دون استثناء.

يقول مؤلف كتاب الفتوحات الإسلامية الكبرى :

«ولا شك أنه عندما احتل معاوية قبرص وقع معاهدة مع أهلها سمح لهم بالبقاء على الحياد في حالة تجدد الحروب بين العرب والروم ويبدو أن الاتهام قد وجه إلى هؤلاء الآن بأنهم ساعدوا الأسطول الروماني في معركته الأخيرة، وهكذا عاد معاوية في عام ٦٥٢ ميلادية إلى غزو قبرص للمرة الثانية بقوة ضخمة وعوملت البلاد هذه المرة على أنها معادية وقتل عدد كبير من أهلها بينما نقل عدد ضخم منهم إلى حياة الرق والأسر، على أي حال أمر معاوية بعد هذا العمل التأديبي بإعادة العمل بالاتفاق الأصلي مع بقاء حامية عربية في الجزيرة قوامها اثنا عشر ألف رجل ^(١)...» انتهى.

يتأكد هنا مرة ثانية أنه رغم أن أهل الجزيرة قد قدموا السفن للروم كما ذكر السير جورج هيل أو يبدو أنهم قد ساعدوا الروم كما ذكر جون غلوب فإن معاوية قد وافق على العمل باتفاقية الصلح الأولى أي بقاء الجزيرة على الحياد وطلب التعاون من أهلها مع دفع الجزية.

(١) جون غلوب.

والمسلمون كما هو معروف لم يكونوا مخربين في كل غزواتهم وغالباً ما كانوا يجدون الترحيب من المواطنين في البلدان التي يحتلونها وهذا دليل على أن معاملتهم أفضل ممن سبقهم في الاحتلال.

وهذا البطريرك اليعقوبي في أنطاكية يقول :

(إن الله المنتقم الواحد القهار أثار من الجنوب أبناء إسماعيل لأنقاذنا من أيدي الرومان^(١)). ويذكر (ستيفن رنسيمن) أن المؤلف النسطوري المجهول قال : (قلوب المسيحيين انشرفت لسيادة العرب فليزد الله في قوة هذه السيادة وليجعلها زاهرة)^(٢).

ولا يعقل أبداً أن يكون جنود المسلمين برابرة يعبثون بالمدن والناس وكان مسلك خليفتهم عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس ذلك الذي شهد به كل مؤرخ منصف، وهذا ستيفن رنسيمن يقول في كتابه (الحروب الصليبية) ما يلي :

(في أحد أيام شهر فبراير سنة ٦٢٨ ميلادية دخل إلى بيت المقدس عمر بن الخطاب ركباً جملاً أبيض اللون وكان يرتدى وقتذاك ثياباً خلقة قديمة، ومع أن الجيش الذي قاده كان خشناً فإنه بلغ الاكتمال في نظامه، وسار إلى جانب الخليفة البطريرك صفرونيوس باعتباره رأس رجال الإدارة في المدينة التي أذعن، على أن عمر بادر بالتوجه رأساً إلى موقع هيكل سليمان الذي صعد منه صاحبه سيدنا محمد إلى السماء وبينما كان البطريرك ينظر إليه أثناء وقوفه استذكر أقوال المسيح وأخذ ينسب بها من خلال دموعه، فتمت نظرتهم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي، ثم طلب الخليفة زيارة مشاهد المسيحيين فصحبه البطريرك إلى كنيسة القيامة وأطلعه على كل ما فيها وبها وبينما كانا بالكنيسة اقترب وقت الصلاة عند المسلمين فتساءل الخليفة أين يستطيع أن يفرش سجادة الصلاة، فتوسل إليه

صفرونيوس أن يبقى في مكانه غير أن عمر خرج إلى المدخل الخارجي للكنيسة كيلا يزعم على حد قوله أتباعه المتحمسون في دينهم أن للإسلام حقاً في المكان الذي أدى فيه الصلاة... انتهى.

تلك هي صفات المسلمين، ولنر غيرهم ممن كانوا قد احتلوا أو استعمروا بلدنا لأناس، وهذا ما أورده نفس المؤلف عن الفرس عندما دخلوا بيت المقدس :

(في ١٥ أبريل سنة ٦١٤ ميلادية اقتحم شهرباراز بيت المقدس واستعد البطريرك زكريا لتسليم المدينة ليتجنب سفك الدماء غير أن السكان المسيحيين رفضوا الاستكانة إلى التسليم، وفي ٥ مايو ٦١٤م وبفضل مساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة، شق الفرس طريقهم إلى داخل المدينة فتلا ذلك من المناظر المريعة ما يجل عن الوصف إذ صحب اشتعال النار بالكنائس والدور من حول المسيحيين أن تعرضوا للقتل دون تمييز فقام العساكر بالإجهاز على بعضهم بينما عدد الذين لقوا مصرعهم على أيدي اليهود كان كبيراً وبلغ عدد الذين تعرضوا للقتل نحو ٦٠ ألفاً على ما جاء في بعض الروايات، وزاد على ٣٥ ألفاً من جرى استرقاقه وبيعه، أما المقدسات الدينية مثل صليب الصليوت وأدوات تعذيب المسيح فإنها اختفت غير أنه جرى التقييب عنها وإخراجها وتقرر إنفاذها مع البطريرك صوب الشرق هدية للملكة فارس المسيحية مريم النسطورية، وما حل من الخراب في داخل المدينة وحولها بلغ من الضخامة أن الأراضي المحيطة بها لم تنهض أو تنتعش حتى الآن...^(١)).

وفي مكان آخر تحت عنوان (سقوط بيت المقدس) يقول نفس المؤلف :

(على أنه لم ينج من المسلمين بحياتهم إلا هذه الفئة القليلة إذ إن الصليبيين وقد زاد في جنونهم ما أحرزوه من نصر كبير بعد شقاء وعناء شديد انطلقوا في شوارع المدينة وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز، استمرت المذبحة طوال مساء ذلك اليوم وطوال الليل ولم يكن علم تانكرد

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمن.

(١) أورده ميخائيل السرياني في كتابه زمن المماليك اللاتينية.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمن، الجزء الأول.

عاصما للاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فاجهزت على جميع اللاجئين وحينما توجه (ريموند أجيل) في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يلتمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه (١) انتهى (١).

هذا هو الفرق بين الفاتح المسلم وبين غيره، الأول يصلى ويمنع التخريب والثاني يمشى بين الجثث والدماء تبلغ ركبتيه ١١١١ والكلام ليس من عندنا وإنما من كاتب مسيحي.

لم تكن الغزوة الأولى لغرض البقاء في قبرص كما ذكرنا وإنما لتأمين المناطق والأراضي العربية الإسلامية في كل من الشام ومصر وفلسطين، ولهذا السبب صالح معاوية أهل الجزيرة على جزية يدفعونها وعمل يقومون به وهو إبلاغ المسلمين عن أي تطور عسكري أو تحرك من جانب الروم البيزنطيين، وهو ما لم يسبق إليه أحد كمثال على التسامح، ولم يستسلم البيزنطيون للهيمنة ولا سلموا للعرب في الجزيرة فعادوا إليها مرة أخرى رغبة في الاحتلال والسيطرة وإدراكا لأهميتها الاستراتيجية، وما كان من العرب إلا أن غزوها مرة أخرى أيضا سنة ٦٥٠ ميلادية ثم عاد إليها الروم سنة ٦٥٤م وأخرجهم العرب سنة ٦٥٦ ميلادية وتكرر ذلك في نفس السنة، وكان معاوية فيما ذكره المؤرخون هو قائد الحملة هذه المرة ولذلك ونظرا لما بدر من الروم واتضح أغراضهم وعدم التزام سكان الجزيرة بما تم الاتفاق عليه في الغزوة الأولى أو ربما عدم قدرتهم، قرر معاوية إبقاء حامية عربية في جزيرة قبرص، وقد ذكر ابن الأثير (٢) أن العدد كان اثني عشر ألفا بأسرهم، فأقاموا بها مرابطين على الثغور وقد بنوا المساكن والمساجد حتى يؤمنوا البحر وساحل الشام ويصدوا الروم، وهذه النواة الأولى من المسلمين في قبرص استمرت تواجدتها في الجزيرة ولم ينقطع أبدا حتى جاءها الأتراك وكانت فيها مناطق وللقبارصة المسيحيين أخرى وأمرهما

(١) نفس المصدر .

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير .

يضعف أو يقوى تبعاً للواقع السياسي والعسكري للجزيرة والمناطق المحيطة بها، وبالتالي فإن القبارصة المسلمين في الأصل كانوا عربيا وليسوا أتراكا ولكنهم أصبحوا وعدوا في هؤلاء حينما حلت اللغة التركية بينهم بديلة للعربية التي انقطعت صلتهم بها منذ القرن العاشر الميلادي.

وفيما بين سنوات ٦٤٨م - ٩٦٤م كانت جزيرة قبرص دائرة في فلك السياسة العربية الإسلامية من جانب وذلك السياسة البيزنطية المسيحية من الجانب الآخر ولم تخلص كاملة لأي من الطرفين، ويقول مؤلف تاريخ قبرص :

(اعتبارا من سنة ٦٥٢ ميلادية ولمدة قرن تقريبا لم نسمع شيئا عن قبرص، ومن المحتمل أن قبرص هذه وقد كانت نهبت مرتين خلال سنوات قليلة قد ظلت غنيمة، ويظهر أن الجزية استمر العرب يحصلون عليها إن لم تكن السلطات اليونانية تحصل عليها ومع ذلك فإن قبرص خلال سنة ٦٨٨ ميلادية أو سنة ٦٨٩ ميلادية قد ضمت إلى أرمينيا وأيبيريا بموجب معاهدة بين عبد الملك وجستتيان الثاني وكان فشل معاوية أمام القسطنطينية في عام ٦٧٧ م قد أجبره سنة ٦٧٨ ميلادية على عقد سلام مع قسطنطين الرابع بشروط مهينة للعرب وهذه المعاهدة جددت في عهد عبد الملك سنة ٦٨٥ م وكذلك جددت مرة أخرى سنة ٦٨٨ م أو سنة ٦٨٩ م مع جستتيان الثاني) انتهى.

نحن نعرف أن المعاهدات أو الاتفاقيات تعقد بين الحكام وبين الدول لأسباب كثيرة منها بالطبع العسكرية والسياسية والأمنية، وفي تلك الظروف فإن السياسة الحصيفة والقائد الحكيم لا بد له أن يحدد أولوياته في الحرب وفي السلام، ولم يحدث أن اعتبرت المعاهدات أو الاتفاقيات مهينة إلا إذا كانت تمثل استسلاما أو تقريبا في جزء أو أجزاء من الوطن، ولقد رأينا حتى في حالة البلدان التي يحتلها المسلمون بالقوة يحرسون دائما على معاهدات مع أهلها لأن غاياتهم لم تكن استعمارية، وهذا ما حدث فعلا في الغزوة الأولى سنة ٦٤٨ ميلادية عندما احتلوا قبرص فقد عقدوا معاهدة مع أهلها وتركوها، وبذلك فإن تعبير (مهينة) تعبير



المبنى الصغير وهو عبارة عن مسجد به ضريح السيدة أم حرام
ويقع غربي مطار مدينة لارنكا الدولي على مسافة كيلومتر واحد تقريبا



نرى منظر المسجد من بعيد محاطا بأشجار النخيل التي زرعها العرب
في العديد من مناطق الجزيرة، قبرص

مغرض أريد به الإساءة والتحقير وهو ما يظهر في أغلب كتابات الأوروبيين مع الأسف عندما يتحدثون عن العرب وفتوحاتهم، ونحن نعرف أن تلك المعاهدة أسبابا أمنية وسياسية قدرها معاوية في ذلك الوقت إذ رأى أنه ليس من الحكمة أن يفتح كثيرا من جبهات القتال في وقت واحد.

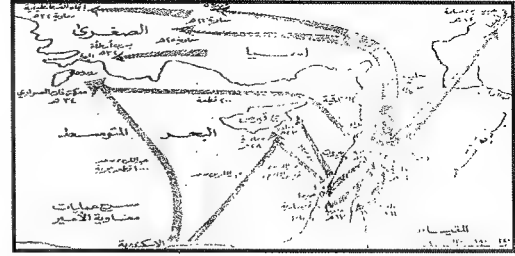
يقول مؤلف كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية في هذا الشأن ما يلي :

(كان معاوية يعتبر دائما أن الحرب ضد البيزنطيين من أهم واجباته وأخطرها شأنًا وقد بدأ نضاله ضد البيزنطيين منذ كان أميرا في عهد عمر بن الخطاب عندما وجد أن المدن الفينيقية الساحلية كانت لاتزل في أيدي البيزنطيين، والواقع أنه لم يفرز في انتزاعها منهم نهائيا إلا بمحاولة ثانية قام بها في خلافة عثمان بن عفان فقد كان عليه لكي يضمن النجاح فيما نذب نفسه له أن ينازل خصومه في البحر أيضا وكان عمر يعارض في الإقدام على هذه الخطوة المغامرة ومن هنا لم يوفق معاوية إلى الخروج بالعرب إلى هذا الميدان الذي لم يعرفوه من قبل والذي ما لبثوا أن ألفوه إلا بعد أن ولي عثمان أمر الناس، وفي صيف سنة ٦٤٩ ميلادية هاجم معاوية قبرص وما هي إلا سنوات فحسب حتى كان يجهز أسطولا بحريا للهجوم على القسطنطينية نفسها وهرع الامبراطور قسطنطين الثاني حفيد هرقل إلى ملاقاته على الساحل اللقيائي ولكن الأسطول العربي هزمه هزيمة ماحقة وبالرغم من هذا النصر فقد ظل العرب عاجزين عن بلوغ هدفهم لأن معاوية الذي كان في الوقت نفسه يتقدم بجيوشه برا لم يستطع أن يعدو في تقدمه قيسارية في كيدوكيه وكان على معاوية عندئذ أن يساوم على الصلح مع بيزنطة لينصرف إلى قتال على بن أبي طالب حتى إذا وحد الإمبراطورية من جديد استأنف النضال ضد البيزنطيين عن طريق الغزوات الصيفية التي كان يشنها على آسيا الصغرى كل عام، والواقع أن جيوشه بلغت العاصمة البيزنطية مرتين^(١) انتهى.

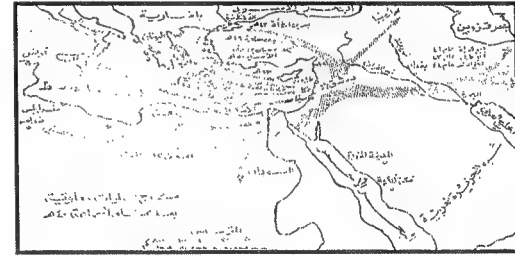
(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، تاليف كارل بركلمان، ترجمة نبيل فارس ومنير البعلبكي، إصدار دار العلم للملايين، بيروت.

قبرص وبيزنطة مرة ثانية :

مع بدايات القرن العاشر تمكنت الدعوة الفاطمية من القضاء على سلطان الأغلبية في أفريقيا (تونس) فأنتهى ذلك عهد السيطرة العباسية على الحوضين الغربي والأوسط من البحر الأبيض المتوسط وضعف أمرهم في جنوبي إيطاليا وفقدت مالطا وكريت فتمكن منهما البيزنطيون وسهل على نقفور فوكاس (اسمه الحقيقي نيسيفورس الثاني الملقب بفوكاس) أمر قبرص فاستولى عليها وما للمسلمين فيها وخلص أمرها جميعا للبيزنطيين وانتهى أي نفوذ سياسي لهم فيها ولم يعودوا يحكمونها، ومن الواضح أن عرب جزيرة قبرص قد ظلوا بها وخضعوا للحكم البيزنطي ولم يحاول الفاطميون استعادة الجزيرة أولا لانشغالهم بأمر مصر وثانيا لضعفهم بحرا آنذاك وفيما بعد وثالثا لأن سكان قبرص العرب كانوا من السنة والفاطميون شيعة وليس بين الطائفتين في ذلك الوقت أي تعاطف إذ كانت إحداهما تعادى الأخرى وتشهر في وجهها السلاح ورابعا وأخيرا فقد كان الفاطميون سياسيا مع البيزنطيين على وفاق لما يجده كل منهما في أسواق الآخر مما هو في حاجة إليه أي أن هناك مصالح كانت بينهما لم يستطع الشيعة الفاطميون التضحية بها حتى لو كانت لديهم الرغبة في إعادة قبرص وربما حماية المسلمين العرب السنة، والذي يبدو أن وضع القبارصة ومن الطائفتين من الناحيتين السياسية والاقتصادية كان أسوأ مع البيزنطيين الذين حكموا الجزيرة عسكريا وأسندوا قيادتها باعتبارها قاعدة عسكرية إلى حاكم عسكري بدرجة (دوس) وأثقلوا كاهل المواطنين بالأتاوات إلا أنه وفيما يتعلق بالكنيسة ورجالها فإن الوضع قد اختلف إذ عاد إليهم سلطانهم الديني المباشر على العامة وزادت أملاك الكنيسة من الأرض والمال ولم يجرؤ الحكم الجديد وركيزته دينية على فرض ما فرضه على الناس أيضا على الكنيسة ولهذا ازدهرت الكنيسة وحدها وتحسنت فيها الأوضاع وإلى هذا يشير المؤرخون الأوروبيين حينما يتحدثون عن تحسن الأوضاع في قبرص دونما اهتمام بما يعانيه عامة الناس.



حملات معاوية في الفتوح الإسلامية بقبرص فهي تمثل المرحلة الثانية



مسرح عمليات الفتح التي خطط لها وقاد أغلبها معاوية

نلاحظ هنا أن الصلح أو المعاهدة كانت لضرورات أمنية نظرا للفتن التي حدثت وهددت الإمبراطورية العربية من الداخل، ومن الحكمة أن تعالج قبل استفحالها ولو كانت المعاهدة فعلا مهينة لكان معاوية قد أقلع تماما عن مهاجمة بيزنطة، وقد نعود إلى هذا الموضوع مرة ثانية.

وكنتيجة لما أصبحت عليه القوة البحرية العربية الإسلامية من ضعف في البحر الأبيض المتوسط بسبب انشغال الفاطميين بتثبيت سلطانهم على البربر ومنازعة العباسيين على الخلافة والسلطة فإن غارات الأسطول على الجزيرة قد انعدمت فأدى هذا بالطبع إلى حالة الاطمئنان لدى السكان القبارصة فاقترحوا بمنازلتهم من السواحل حيث تلاشى التهديد والخطر من جانب البحر ذلك أن الحرب كانت ضد البيزنطيين من طرف العرب، والعرب ضعفوا ووجهوا أسلحتهم إلى صدور بعضهم وخلت الساحة مؤقتاً (ربما) للبيزنطيين الذين يحكمون الجزيرة، ولكن القبارصة لم يجدوا في الحكم البيزنطي ما كانوا يأملون فشرعوا في التملل والثورة ضده، وكانت حركة التمرد التي قادها ثيوفيا ايروتيكوس سنة ١٠٤٣ ميلادية من أبرزها في تاريخ تلك الفترة وقد أخدمت كما قضى على تمرد آخر قام به حاكم يدعى رابسومانت سنة ١٠٩٢ ميلادية وإلى هذا العهد الذي امتد لأكثر من قرنين ولم ينته إلا في سنة ١١٨٤ ميلادية قوى نفوذ الكنيسة القبرصية المتآلفة مع الحكم وغطت الكنائس أرض الجزيرة وتواصل نفوذ الرهبان الروحي والمادي على عامة السكان حتى اشتهرت قبرص في أواخره بأنها جزيرة القديسين.

قبرص وعهد قومنين القصير :

في القرن الحادي عشر الميلادي ونتيجة لانتصار الفاطميين على السلطان النورماني باهتاماتها إلى استغلال موارد الأرض الطبيعية وأنصرافها عن البحر وبعدها عن المدن الساحلية التي تتجذب إليها الجاليات الأجنبية المشغولة بالتجارة والتصدير أصبحت مدينة نيقوسيا هي مقر البطريركية القبرصية ومركز السلطان ولم يعد لمدينة فاماقوستا (سلامينا القديمة) ذات الأهمية وقد لعبت مدينة نيقوسيا دورا بارزا في ثورة رابسومات وإخمادها ومن ثم أصبح ما يقع فيها يؤثر سلبا وإيجابا في سائر الجزيرة، ومرد هذا فيما يراه بعض الدارسين إلى توسطها موقعا بالتقريب من سائر أطراف الجزيرة.

وفي سنة ١١٨٤ ميلادية طرأ على الجزيرة مفامر من أسرة قمنون الامبراطورية يدعى إسحاق قمنونس فأظهر أنه ولى حكمها من القسطنطينية وقدم وثائق مزورة فتسلم السلطة وأحاط نفسه بجيش من المرتزقة وراح يفرض أتاواته الباهظة على الجميع ولم تتج الكنائس والرهبان من ضرائبه وأتاواته وهو ما لم يقدم عليه أحد قبل ذلك ففضج العامة والنبلاء ورجال الدين، إلا أنهم لم يستطيعوا شيئا فقد أعلن استقلاله عن بيزنطة وحالف النرمان في صقلية وهادن صلاح الدين الأيوبي الذي حرر بيت المقدس من الصليبيين.

ويجدر بنا هنا أن نعرض على أعمال وخروب ويطولات صلاح الدين الأيوبي ولو بإيجاز وذلك كرد على مقولات بعض المؤرخين الغربيين ومنهم السير جورج هيل صاحب تاريخ قبرص إذ إن هؤلاء دأبوا على القول إن المسلمين يدمرون ويعيشون فسادا في البلاد التي يحتلونها وما ذلك بصحيح ولا هو من التاريخ في شيء، وإنما هو حقد وتعصب ديني مؤسف لا يليق بعالم ولا حتى متعلم ناهيك عن محترف كتابة تاريخ الشعوب، ولكنها السياسة العمياء.

نقول عندما هادن إسحاق قمنونس صلاح الدين الأيوبي (والواقع أنه لم يهادن فالذي يهادن يكون ندا وقمنوس لم يكن كذلك إلا أنه قدم وعداً لصلاح الدين ولم يكن صلاح الدين ينوي مهاجمة قبرص في ذلك الوقت) فعندما بعث إلى صلاح الدين كان هذا منهكما في الإعداد لبيت المقدس بعد معركة حطين (وهو يعرف أهمية وموقع قبرص) وقد سارت معاركه تلك على النحو التالي :

عندما انتهت معركة حطين وقد ذكرت تفاصيلها في كتب التاريخ ومن جانب كل مؤرخ منصف وقع في الأسر قادة الفرنج، الأمراء والنبلاء وفي مقدمتهم ملكهم (غى دى لسينيان) وشقيقه (جفرى) تصرف القائد المنتصر صلاح الدين الأيوبي كما يفرض عليه دينه كمسلم وأخلاقه كإنسان وكقائد إذ استقبلهم جميعا وأكرمهم وكان الظما ومرارة الهزيمة قد نالا منهم وهم الذين جاءوا يحاربون من أجل المسيح والسيد المسيح منهم براء، ويذكر رينيه غروسه الوضع بعد المعركة قائلا :

يجب ألا ننحو باللائمة على غي دى لسينيا في موقعة حطين التي انهزم وتحطم فيها جيش الإفرنج لأن الحالة التي وضعت فيها قوات صلاح الدين الإفرنج كانت عسيرة جدا وعاجلا أو أجلا كان لابد لهم من هذا المصير فأُسِر طبقة الأشراف في هذه المستعمرة التي لم تكن إلا مستعمرة لرجال الإدارة، كان الاستئصال النام هناك نشأفة الاستعمار دفعة واحدة^(١) ولقد كانت هزيمة حطين لجيش الفرنجة كارثة كبيرة لم تشهد مثلها قواتهم، وهى معركة فاصلة في ذلك التاريخ وقد أسر فيها كل قادة تلك القوات، النبلاء والأمراء والملك (ولقد اعتاد هؤلاء الفرنجة في غزواتهم التي سموها صليبية على الشرق أن يشركوا فيها أغلب الأمراء وأن يقودها أبرز ملوكهم) وبهذه المعركة ونتيجتها انفتحت الطرق أمام صلاح الدين ليتقدم إلى هدفه الكبير وهو تحرير بيت المقدس، ولأن نتائج معركة حطين قد وصلت أصدائها إلى كل مكان تقريبا فقد صارت الحصون تتقدم طوعا مستسلمة بلا حروب أو مقاومة، كذلك فإن حصافة ونبيل ومروءة القائد المسلم كانت واحدا من الأسباب المؤثرة في سير الأحداث لأنه متسامح وحسن المعاملة لأسراه، فعين استسلم حصن طبرية وكانت الكونتيسة (ايشيف) زوجة ريمون الثالث هناك أخرجها صلاح الدين من الحصن وعاملها بكرم وقد خرجت مع كل خدمها ورجالها وأموالها دون أن تمس وذلك وفاء بالمعهد، وفي عكا التي احتلها دون مقاومة تذكر إذ أرسل إليه صاحبها (جوسلين دى كرتاي الثالث) مفاتيحها أمن الفرنجة جميعا على أموالهم وأنفسهم ووافق لهم على البقاء إن أرادوا أو المغادرة بسلام إلى مكان آخر وكان يمكنه الاقتصاص لو أراد، ذلك أن المنتصر يستطيع أن يفعل ما يشاء ولكن صلاح الدين بسماحة الإسلام كان يوفى بالمعهد ويتسامح مع الناس حتى لو كانوا أعداء ومقاتلين.

لهذه الأسباب جميعا، الرأفة والرحمة والمروءة في وقت الانتصارات الباهرة كان القادة يسعون إلى الصلح أو التعاهد مع صلاح الدين، وهكذا حدث من جانب

(١) كتاب صلاح الدين، بطل الإسلام، رينيه غروسه .

إسحاق قمونوس في قبرص ولقد أردنا بهذا أن نؤكد أن قمونوس لم يهادن وإنما طلب الصلح وهناك فرق كبير في المعنى بين المصطلحين خصوصا في حالة الحرب. وفي سنة ١١٨٧ ميلادية وبينما كانت الحملة الصليبية التي يقودها الملكان (فيليب ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا) تتحرك من صقلية في اتجاه فلسطين تعرضت بعض سفن الحملة لإعصار بحري عنيف قذفها إلى الشاطئ القبرصي وكانت على متن إحدى تلك السفن خطيبة الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد ولم يكن من حاكم قبرص إسحاق إلا أن أمر بأسر الناجين من الغرق وهكذا اعتبر ذلك إهانة لخطيبة الملك الإنجليزي فشن حربا على ذلك الحاكم وحدثت معارك ومطاردة انتهت الوضع فيها إلى التجاء إسحاق إلى قصر القنطرة (في منطقة فاما قوستا) وبعد حصاره هرب إلى حصن (سانت هيراليون) سنة ١١٩١م هذا الحصن الذي يقع بين نيقوسيا وكايرنيا، وقد تولى أمر الجزيرة الملك ريتشارد حيث تزوج خطيبته تلك في ليماسول وأصبحت ملكه بدلا من أسيرة، وما كان من ملك الإنجليز إلا أن باع الجزيرة كما ذكرنا في غير هذا المكان ويورد القصة الكاتب الإنجليزي على النحو التالي :

قبرص وأسرة لوسينيائي :

لما لم تكن بالملك ريتشارد قلب الأسد رغبة في الاحتفاظ بقبرص فقد تنازل عنها مقابل مبلغ قدره مائة ألف جنيه لمنظمة (التيملارز) سنة ١١٩١ ميلادية إلا أن هذه المنظمة لم تحسن إدارة الجزيرة وبالغت في فرض الضرائب والأتاوات إلى جانب تحميل القبارصة الدين المتوجب عنهم لريتشارد قلب الأسد فثار هؤلاء وساءت الحال وتتابعت الاغتيالات ثم حدثت مذبحة شنيعة اقترفت في إحدى الكنائس بنيقوسيا قضى فيها على من احتفى بالكنيسة من السكان ونتيجة لذلك أرغمت المنظمة على إعادة الجزيرة للملك ريتشارد قلب الأسد مقابل ما له عليهم من الدين، ويحدث هذا الأخير عن مشتر آخر للجزيرة وقد عثر على (جويدو اللوسينيائي) الذي كان ومنذ ستة شهور فقط ملكا طبيعيا على بيت المقدس وهكذا

جمع بين بيت المقدس وقبرص إلا أنه اتخذ من الأخيرة مقرا له وانتقل إليها مع فرسانه وجعل من مدينة نيقوسيا مركزا وعاصمة للجزيرة سنة ١١٩٢ ميلادية وبذلك ابتدا عهد أسرة مالكة للجزيرة استمر لما يقرب من ثلاثة قرون إذ لم ينته إلا في سنة ١٤٨٩ ميلادية وفي هذا العهد الذي عرف باللوسيانى اللاتيني تعرضت الكنيسة والمجتمع القبرصي معا لتغيرات جذرية فقد أفسح المجال للمذهب الكاثوليكي (اللاتيني) الذي زاحم المذهب الأرثوذكسي المنفرد بالجزيرة، وأصبح هناك كبير أساقفة لأتباعه في نيقوسيا وأسقف في كل من فاماقوستا وليماسول وبافوس، ومنحت الكنائس اللاتينية الكثير من الأراضي التي انتزعت من الكنائس اليونانية الأرثوذكسية وأقحم النظام الإقطاعي وعرفت المجتمعات في قبرص (عبيد الأرض) والطبقة البرجوازية والسادة الإقطاعيين وفرضت اللغة اللاتينية رسميا فأصبحت اللغة اليونانية لغة ثانية وازدحمت المدن الساحلية بالبنادقة التجار فاحتكروا الموارد والمواصلات، وحتى على مستوى التشريع والحكم والقضاء كان هناك مجلس للنبلاء أو الطبقة العليا في المجتمع ولهذا المجلس وحده مناقشة مسائل الحكم والسياسة ومقاضاة السادة النبلاء ومجلس آخر شعبي للعامة من مهامه القضاء بين الناس في شئون الدنيا وله قراراته في شأن هذه الطبقة من المجتمع... انتهى.

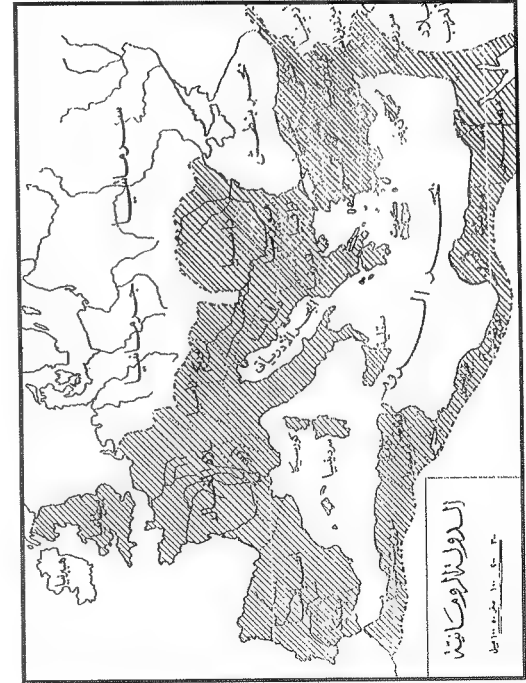
ونفهم من ذلك أن ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد قد باع قبرص واستعادها مقابل دين له ثم باعها مرة أخرى عندما وجد المشتري والثمن، أي أنه لا قيمة للناس ولا رأى في هذا البلد الذي شاء قدره التعيس أن تلجأ إليه بسبب عاصفة ريح خطيبة الملك الإنجليزي.

قبرص وحكم الجنويين والبنادقة :

كانت الجمهوريات البحرية الإيطالية قد بدأ طالع نجمها يسطع في محيط الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط منذ بدايات الألف الثانية للميلاد، فكانت البندقية وكانت جنوا أنشط في تحرك أساطيلها البحرية من نابولي وغيرها

إلا أن سيطرة النورمان البحرية على الجنوب الإيطالي وصقلية من ناحية وقوة الأسطول البيزنطي إلى الشرق من ذلك آخر امتداد جنوا والبندقية بأساطيلهما التجارية والحربية إلى الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط لبعض الوقت، وكانت جنوا أسبق من البندقية إلى قبرص فقد داهمتها بأسطولها ورجالها سنة ١٣٧٢ ميلادية وتمكنت من احتلال فاماقوستا والسيطرة عليها، وخلال السنتين التاليتين تمكنت من مهاجمة بقية قبرص واحتلالها وأسر ملكها الصغير إلا أن والدته (اليترا الأراغونية) مع ولي العهد المخلصين للعرش القبرصي قد تمكنا من التحصن بقلعة كيرين واستمرا ومن معهما في المقاومة حتى استسلموا بشروط أطلق بموجبها سراح الملك وتلت ذلك محاولات لإبعادهم عن فاماقوستا لم توفق وقد ظلت في أيديهم لمدة مائة سنة. أما البنادقة فإن تمكثهم من قبرص لم يحدث بالقوة وإنما تسلاا وخلسة وبواسطة الملكة الأم (كاترينا كارنارو وهى ابنة نبيل بندقى) فقد مكنت لقومها حين أصبحت الوارثة لابنها وهو آخر سلالة ملوك الجزيرة اللوسيانين واعتمدت عليهم في البقاء فسيطروا على سائر المرافق، وفي سنة ١٤٨٩ ميلادية رفعوا علم (سان مارك) بعد أن أجبروا كاترين على التنازل لهم عن السلطان وبذلك خلس لهم أمر قبرص فحكموها حتى سنة ١٥٧٠ ميلادية حيث طردهم منها نهائيا الأتراك العثمانيون.

الامبراطوريتان العظيمتان (فارس وبيزنطة) كانتا سائدتين وسيدتى عالم ذلك الوقت، وفي بداية ظهور الدولة الإسلامية كانتا عظيمتين، وكان لابد لهما من مواجهة الدولة الناشئة الفتية ومنعها من الانتشار أو التوسع أو قوى امتلاك القوة وكان الصدام المحتوم، ولعلها أول مرة في التاريخ تتنصر فيها دولة فتية ناشئة على امبراطوريات راسخة ذات شأن في الحرب والتملك، ولكن رسالة الإسلام كانت أعظم وأقوى، وبها انتصر المسلمون.



الدولة الرومانية

الدولة العربية الإسلامية (الامبراطورية الجديدة) وقد انتصرت على الامبراطورية التي نازلتها منذ البداية (الفرس) وفي صراعها مع الامبراطورية العظمى (البيزنطية) نراها تتقدم في كل الميادين قبل مرور القرن الثالث على ظهورها، وصارت الغالبة في الشرق ومنطقة البحر الأبيض المتوسط.



الدولة العربية في أوج اتساعها

الواقع أن جزيرة قبرص وهى أهم محطة يرتكز عليها أسطول أي غازٍ من البحر كانت دائماً محط أنظار الفاتحين والغازين والمغامرين وهى كذلك إذا ما ملكت أمر نفسها إلا إذا ما وقعت تحت سيطرة الأجانب، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى موقعها الجغرافي، ويذكر أن بطرس الأول عندما تولى عرش قبرص سنة ١٣٥٩ ميلادية سيطرت عليه فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين (ولقد ذكرنا فيما تقدم أن ملك قبرص، أي ملك يعتبر ملكاً لبيت المقدس وإن لم تكن تحت سيطرته، على الأقل من وجهة نظره هو) وهكذا الحال، فلقد كان بطرس هذا في حماسه شبيهاً بالقدّيس لويس ملك فرنسا في زمن سابق، وتذكر كتب التاريخ أنه أثناء شبابه أنشأ طائفة جديدة من الفرسان أطلق عليهم اسم فرسان السيف وجعل هدفها الذي لا محيد عنه استعادة بيت المقدس، ولقد ترحل إلى الغرب طلباً للجنود من أجل تجهيز حملته وهذا ما يعرف في عصرنا الحاضر (بالمترقة) وإن كانت التسمية في ذلك الوقت تختلف.

وبدأ أول حملة حربية في بلاد الأناضول ضد الأتراك واحتل حصن كوريكوس من الأرمن حيث اعتبره أول نقطة يرتكز عليها جهده الحربي في هذا الغزو، ورغب بعد أول انتصار حققه أن يقوم برحلة تبشير بالانتصار المسيحي لتدعيم أهدافه القريبة والبعيدة، وكان ذلك في سنة ١٣٦٢ ميلادية وبدأ بزيارة الاسبتارية في رودس وقد حصل على وعود بالمساعدة (وجدير بالذكر أن اسبتارية كانوا في قبرص قبل أن ينتقلوا إلى رودس التي احتلوها سنة ١٢٠٨ ميلادية) ثم اتجه إلى البندقية وحصل كذلك على وعود وتعاطف من أهلها وكذا الموافقة على خطمه وكان ذلك في سنة ١٣٦٣ ميلادية، وبعد عرض فكرته على الجنوبيين في جنوا أظهرها أنهم على غير استعداد لتقبل أفكاره وربما كان ذلك سببه الخلاف الذي كان قائماً بينهم وبين مملكة قبرص في ذلك الوقت والتقى في أفينيون بالبابا (إيريلن الخامس) ومن المعروف أن البابا كان من الداعمين للحروب المقدسة رغبة في تأكيد سلطة البابوية

من جديد، وفيها أيضاً التقى الملك القبرصي بملك فرنسا يوحنا الثاني حيث اتفقا على القيام بحملة مشتركة تجمع كل نبلاء فرنسا وقبرص وتحمس البابا للفكرة فعين الكاردينال (تاليران) نائبا عنه وصار يدعو للحرب المقدسة، واستمر ملك قبرص في رحلته داعياً كل المسيحيين إلى تأييده والمشاركة في حملة تحرير بيت المقدس، والواقع أن أغراضه كانت أبعد من القيام بحملة واحدة هدفها بيت المقدس وعملياً فإن تحرير بيت المقدس يحتاج إلى السيطرة على كثير من المواقع في الشرق الأوسط.

وصل الملك بطرس بلاد الراين والفلاندر ثم توجه للقضاء ملك فرنسا في باريس لتنسيق العمليات بعد لقاءهما الأول الذي اتفقا فيه على القيام بالحملة المشتركة ومنها غادر إلى إنجلترا للقضاء ملك الإنجليز إدوارد وهناك لقي احتفالاً وتكريماً وحصل من الملك إدوارد على أموال ووعد بالمشاركة والتأييد إلا أن الحملة لم يكتب لها أن تبدأ في الوقت الذي كان محدداً لأن الكاردينال تاليران الذي كلفه البابا أن يتوب عنه مات سنة ١٣٦٤ ميلادية وكذلك ملك فرنسا يوحنا كان قد مات في نفس السنة، وكان على بطرس أن ينتظر تتويج خلفه شارل الخامس ليحث الأمر من جديد، وفي هذه الأثناء ذهب إلى ألمانيا ليعرض فكرته مرة أخرى ووجد التأييد والموافقة بالمشاركة في الحملة ثم اتفق مع الملك شارل الذي وجد لديه الحماس البالغ لتلك الحرب (ربما لأنه أراد أن يبدأ عهده بإرضاء البابا) ثم عاد الملك بطرس مرة أخرى إلى البندقية بعد أن وجه بالاشتراك مع الملك شارل دعوة إلى جميع أمراء ونبلاء أوربا للاشتراك في حملة الحرب المقدسة وتحرير بيت المقدس، وقد لقي ترحيباً كبيراً هناك وخلال هذه الزيارة تمكن من حل الخلاف الذي كان قائماً بين مملكته وبين جنوا حيث وقع معاهدة مع الجنوبيين وبقي هناك حتى سنة ١٣٦٥ ميلادية، وخلال هذه السنة باشر البابا إيريلن الدعوة للملاحقة في كل أوروبا للحرب المقدسة يساعده في ذلك المندوب البابوي في الشرق بطرس ساليونيك دي توما وبذلك اجتمع في البندقية جيش مسيحي كبير كان فيه عدد من الأمراء والنبلاء وهناك تم اتفاق على تجمع كل الجيوش في جزيرة رودس سنة ١٣٦٥ ميلادية وكان الملك القبرصي بطرس قد سبق إلى رودس خلال منتصف سنة ١٣٦٥ م ومن هناك

أبحر على رأس الأسطول القبرصي الذي كانت معه سفن أخرى إذ بلغ عدد السفن مائة وخمسة وستين سفينة محملة بالرجال والمعدات والمؤن والخيول، وتذكر كتب التاريخ أنها ربما كانت أكبر حملة صليبية منذ الحملة الصليبية الثالثة على المشرق، وكانت هذه المرة بقيادة ملك لا ينازعه أحد في القيادة هو الملك بطرس، وكانت الحملة قد أحيطت بستان من الكتان، كذلك كان الملك يلقى المواعظ بين وقت وآخر ويقابل بهتاف يقول (يعيش يعيش بطرس ملك بيت المقدس وقبرص رغم أنف العرب الكفرة) وبطبيعة الحال فإن هذا الحماس كانت وراءه الكنيسة والبابا وتلك أسباب تسمية الحملات بالصليبية.

وصل الأسطول الصليبي شواطئ الإسكندرية في شهر أكتوبر سنة ١٣٦٥ م وكانت الحملة عند تحركها من رودس قد أشاعت أن هدفها سوريا بحيث لا تحدث استعدادات في الإسكندرية، الواقع أن الاتجاه إلى الإسكندرية كان مفاجأة وكان الوضع في حامية الإسكندرية سيئاً ولم تكن هناك استعدادات كافية على أن المدافعين قد بذلوا جهداً كبيراً، وقد احتل رجال بطرس مدينة الإسكندرية دون عناء وكان ذلك في يوم ١٠ من شهر أكتوبر سنة ١٣٦٥ م أي بعد يوم واحد من وصول الأسطول إلى الشواطئ، ورغم بعض المناوشات والقتال في الشوارع إلا أن المدينة خلال اليوم الثاني كانت في حوزة القوات الغازية بالكامل وقد حدث فيها من السلب والنهب والقتل ما لم يحدث من قبل، ويصف مؤلف كتاب (تاريخ الحروب الصليبية ذلك فيقول :

(احتفل الصليبيون بانتصارهم بما ارتكبوه من وحشية لا مثيل لها، وما وقع في الحرب المقدسة التي استمرت نحو مائتين وخمسين عاماً لم يعلم الصليبيون شيئاً عن الإنسانية فما أجروه من المذابح لم يضارعه سوى ذلك الذي حدث في بيت المقدس سنة ١٠٨٩ م وفي القسطنطينية سنة ١١٠٤ م، والمعروف أن ثروة الإسكندرية كانت بالغة الشهرة واشتد هوس الظافرين حين شهدوا هذه الغنيمة الوفيرة فلم يبقوا على أحد إذ أن ما قاساه السكان الوطنيون من المسيحيين واليهود

لم يقل عما تعرض له المسلمون من القسوة بل إن التجار الأوروبيين المقيمين بالمدينة شهدوا ما تعرضت له محلاتهم ومستودعاتهم من النهب دون شفقة أو رحمة، وأغار الغزاة على المساجد والمقابر فسلموا أو دمروا ما بها من حلى، وتعرضت الكنائس أيضاً للنهب^(١).

ويضيف : ودخل المغيرون المنازل وكل من لم يبادر من أهلها إلى تسليم ما يكتنيه^(٢) تعرض مع أسرته للقتل وجرى حمل نحو خمسة آلاف أسير من المسيحيين واليهود فضلاً عن المسلمين لبيعهم رقيقاً، وما أصابه المغيرون من النهب والسلب حمله قطار طويل من الأفراس والحمير والإبل إلى السفن الراسية بالميناء ثم تقرر إعدامها بعد أن أدت عملها (المقصود إعدام تلك الحيوانات) وعبقت المدينة بالرائحة الكريهة الصادرة من جثث البشر والحيوانات.. وقد غادروا المدينة عندما علموا أن هناك جيشاً كان قادماً من القاهرة في ١٦ أكتوبر سنة ١٣٦٥ م، وإذا اطمأن الملك بطرس والمندوب البابوي إلى ما أودعوه من غنائم في قبرص أو هما الأمل في أن ينهض الصليبيون مرة أخرى لمرافقة بطرس في حملة أخرى جديدة غير أنه لم يكد الصليبيون يبلغون فاما قوستا حتى شرعوا في إعداد التدابير للرحيل إلى الغرب، إلى أوطانهم، ومات المندوب البابوي في قبرص واغتيل ملك قبرص بواسطة أحد فرسانه سنة ١٣٦٩ م ولقد كان هذا الملك مهووساً بالحرب ولو لم يقتل لقام بغزوات أخرى ربما كانت نتائجها وبالا لأن حملته تلك لم تكن في الواقع من أجل بيت المقدس وقد اتصفت بالعنف والنهب، وما كان قد حدث في الإسكندرية كان رد الفعل عليه عنيفاً إذ تعرضت قبرص بسبب هوس ملكها ذاك لغزوات بعد حوالي ستين سنة من ذلك الحادث كان فيما ذكر المؤرخون أخذاً بالثأر وكان بطبيعة الحال وبالا على الجزيرة، كان ذلك سنة ١٤٢٦ وكان يمثل كل ما كان من مرارة في نفوس المسلمين.

وقبل هذه الفترة بمدة تزيد قليلاً على قرن من الزمان كان ملك قبرص

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رسيمنان، الجزء الثالث، دار الثقافة بيروت.

(٢) نفس المصدر .

«أملريك» قد عقد هدنة مع السلطان العادل (وكان من المعتاد في حروب ذلك الوقت أن تعقد الهدنات بين قيادات المقاتلين تختلف مدتها حسب الظروف إذ تبدأ من عدة أيام إلى عدة سنوات وكانوا في الغالب يحترمون تلك الاتفاقيات أو الهدنات، وهي تحدث عندما يحس الطرفان المتحاربان بالإرهاك والتعب فيتوقفون عن القتال طبقاً لهدنة ثم يعودون للقتال).

ولقد استقرت الأمور بعد الهدنة هذه لمدة عقد تقريباً إذ انصرف كل من السلطان والملك لترتيب أمورهما العسكرية والمدنية، وهدأت الأوضاع في مملكة بيت المقدس الصغيرة على الرغم من خلافات الأمراء وتنافسهم في المنازل القريبة منها، وكان (يوحنا أبلين) قد عين وصياً على بنت أخته الملكة (ماريا) وبذلك حكم لمدة ثلاث سنوات وعندما بلغت ماريّا سن الزواج (سبع عشرة سنة) سنة ١٢٠٨ م طلب أسقف (عكا) من الملك فيليب ترشيح زوج لها، وقد أعلن فيليب هذا سنة ١٢١٠ م أن فارساً من شامبانيا يدعى (يوحنا بريين) سوف يتزوج الملكة ماريّا وكان هذا الفارس يبلغ من العمر ستين سنة وله شقيق متزوج من كبرى بنات ملك صقلية تانكرد، وكان يوحنا ذاك في الحقيقة أحد قادة ملك فرنسا.

وفي هذه الأثناء وقبل إتمام الزواج تحرش الإفرنج بالملك العادل بتحريض من الوصي على الملكة ماريّا ومن طرف بعض الفرسان بغية إفساد الهدنة وربما منع ذلك الزواج لكن شيئاً لم يحدث، ذلك أن الملك العادل أخافهم بإرسال قوات يقودها ابنه (العظيم) إلى جبل الطور وبذلك فشلت محاولاتهم، ووصل زوج الملكة المرشح إلى عكا في سبتمبر سنة ١٢١٠ م وعقد يوم ١٤ سبتمبر على الملكة وأقام قداس الزواج البطريرك في بيت المقدس وتوج الملك والملكة يوم ٣ أكتوبر في صور، ولقد قام هذا الملك بكثير من الأعمال والإصلاحات وإن قد انتهت الهدنة بينه وبين الملك العادل وحدث قتال في عدة مواقع وأرسل قوات لهاجمة دمياط ولكنها فشلت في تحقيق أي هدف ثم أبرم معاهدة أخرى مع الملك العادل مدتها خمس سنوات في وقت كان يعد بالاتفاق مع البابا في روما من أجل الحملة الصليبية الجديدة بعد انتهاء

المعاهدة التي هي في الواقع هدنة، وفي سنة ١٢١٢ م ماتت الملكة بعد أن أنجبت طفلة سميت باسم (إيزابيلا) وأصبح وضع الملك حرجاً لأنه ملك بالزواج فقط وبعد بعض الخلاف صار الاتفاق على أن يكون وصياً على ابنته إلى أن تتزوج، وفي قبرص كان الأمير (هيو) قد خلف والده الملك (أملريك) وكان صغيراً وقد صار وصياً عليه فارساً فرنسياً كان يعمل مع والده يدعى (والتر مونتلييار) الذي تزوج أخته الكبرى (بريجنديا) وكان مغامراً متهوراً أدت وصايتها إلى حرب كانت مع الأتراك وكانت خاسرة ولأنه كان فاسد الذمة فقد نفي عندما سلم الحكم للأمير (هيو) سنة ١٢١٠ م وصار هذا ملكاً على قبرص وتزوج الأميرة (اليس) أميرة بيت المقدس وبذلك جمعت مرة أخرى الملكتان قبرص وبيت المقدس.

ولقد كان مفهوماً ومعتاداً أن تهدى هذه المقاطعة أو البلد أو أن تلحق هذه المدينة بأخرى عند الزواج بين أمير وأميرة أو ملك وأميرة كذلك الحال بالنسبة لزعيم أو قائد إلخ، فلقد حدث مثلاً أن البرتغال قد استولت سنة ١٢٥٦ م على طنجة وقدمتها الأميرة (كاترين) هدية عرس لزوجها ملك بريطانيا شارل الثاني عند زواجهما سنة ١٢٦٢ م، وغير هذا حدث كثيراً.

وفي سنة ١٢٧٠ م وبعدها امتد الأتراك العثمانيون بنفوذهم إلى الشام سنة ١٥١٥ م وإلى مصر سنة ١٥١٧ م واستولوا على جزيرة رودس سنة ١٥٢٣ م وعلى طرابلس الغرب سنة ١٥٥١ م لم يكن أمامهم هناك من بد من إنهاء حكم البنادقة في جزيرة قبرص هي الأخرى، والأتراك العثمانيون مثلهم مثل أسلافهم السلاجقة ينتمون إلى الجنس الطوراني وكان مهدهم الأول مناطق وسط آسيا الصغرى وشمالها وقد اعتنقوا الإسلام مثل سائر القبائل التركمانية واستقروا في آسيا الصغرى وكان أول زعيم تولى قيادتهم (أرطغرل) وكان هؤلاء قبل (أرطغرل) وقبل الإسلام أي في بداية القرن السادس الميلادي قد كانوا دولتين سادات في المنطقة من منغوليا وتخوم الصين حتى البحر الأسود، وكان مؤسس واحدة من هاتين الدولتين هو (بؤمين) وعرفت باسم الدولة الشرقية وقد توفى سنة ٥٥٢ ميلادية ومؤسس

الدولة الثانية شقيقه (لستمى) وعرفت بالدولة الغربية وقد توفى هذا في حوالي سنة ٥٨٠ ميلادية أي أنه عاش فترة بعد شقيقه زعيم الدولة الشرقية، وفي الثلث الأول من القرن السادس كانت الأسرة المالكة في الصين والتي تسمى (أسرة تانغ) قد انتصرت على الدولة الشرقية وبعد ذلك على الدولة الغربية أي خلال سنة ٦٥٩م وإن كان الأتراك في المنطقة الشمالية قد ثاروا وتخلصوا من الحكم الصيني حيث استمروا يحكمون أنفسهم إلى سنة ٧٤٥ ميلادية.

أما أرطغرل فقد كان قد اتفق مع السلاجقة في قونيه وحارب معهم ضد المغول وبالتالي فقد كافأوه بأرض أسس عليها إمارة صغيرة بالقرب من أنقرة وعندما مات في حوالي سنة ١٢٨٨م خلفه ابنه عثمان، وعثمان هذا هو مؤسس الدولة التي نسبت إليه (الدولة العثمانية) وذلك بعد وفاة السلطان السلجوقي وقد تمكن عثمان من التوسع بواسطة الغزو في مناطق الشمال والغرب حتى تمكن من ضم (بروسيه) وذلك سنة ١٣٢٦ ميلادية، وهذه كانت من إقطاع الدولة الرومانية الشرقية ثم استمر العثمانيون حتى وصلوا سواحل بحر مرمرة وكانت دويلات البلقان في نزاع وخلاف دائم مع القسطنطينية فقام الأتراك وقد قويت دولتهم الفتية في عهد (أورخان) بالتحالف مع إمبراطور القسطنطينية وعلى أثر ذلك فسخ المجال أمام الأتراك ليعبروا في اتجاه الغرب مضيق (البسفور) وذلك خلال القرن الرابع عشر وجعلوا يقيمون القواعد العسكرية في شبه جزيرة (قاليبولي)، وعندما خلف السلطان مراد والده أورخان استولى على أدرنة وجعلها عاصمة للدولة التركية سنة ١٣٦٧ ميلادية وهنا ومن منطلق الخوف على المصالح الوطنية التي ظهر أنها عرضة للتهديد من الزحف العثماني تنادى زعماء دول أوروبا في كل من المجر وبلغاريا وصربيا ودالماسيا ليكونوا جيشا يقف أمام الزحف التركي الإسلامي ولقد بارك البابا هذه الإجراءات وبلغ الجيش الأوروبي ما يزيد على مائة ألف مقاتل، وحدثت معركة بين هذا الجيش والجيش التركي في منطقة (قاصوم) أو (قوصوم) على حدود صربيا وذلك سنة ١٣٨٩ ميلادية أي قرابة نهاية القرن الرابع عشر وقد

انهزم فيها الجيش الأوروبي ذلك رغم كثرة عدده ورغم ما زود به وما أعد له من تدريب وتموين ورغم بركات وتبريكات البابا.

وهكذا صار الطريق مفتوحا أمام الأتراك العثمانيين في البلقان، وقد أكدت هذه المعركة أن الجيش التركي يتمتع بتنظيم رائع ومهارات كبيرة وانضباط لا مثيل له وبطبيعة الحال فإن هذه صفات الجندي الذي لا يمكن أن يهزم ولا بد أن ينتصر.

وحدث أثناء تلك الفترة ظهور المغول الذين قادهم (تيمورلنك) قادمين من الشرق وقد انتصروا على الأتراك في معركة قرب أنقرة حيث أسروا السلطان العثماني (بايزيد) الذي مات بعد ذلك، ولكن هؤلاء الغزاة الجدد لم يتجاوزوا منطقة الأناضول وعادوا إلى موطنهم في سمرقند وقد تفادوا الدخول إلى أوروبا، ولم يجد المؤرخون تفسيراً لذلك العمل خصوصا أنهم حققوا نصرا كبيرا في أول معركة مع الأتراك، وكان تيمورلنك قد أحيط بهالة من التقديس والإعجاز بين الناس وبين مواطنيه بشكل خاص، وما زالت الحكايا تتوارث عنه حتى عصرنا هذا، ولقد أقام الكثير من المنشآت في سمرقند، وأذكر أنني كنت أزور سمرقند ذات مرة خلال سنة ١٩٨٥م أي بعد المعركة التي أشرنا إليها بأكثر من خمسمائة سنة، وكان معي مرافقة وزوار آخرون وفي مكان هناك زرنا مبانى ضخمة مزينة من أعلاها إلى أسفلها بالفلسيفساء الملونة، قالت تلك المرافقة إن المبنى يسمى (مدارس) أي جمع مدرسة، وذكرت أن زوجة تيمورلنك أرادت بينما كان يقوم بإحدى غزواته في آسيا أن تقدم له هدية عند عودته منتصرا فبدأت في إقامة ذلك البناء الضخم وطلبت من أمهر المهندسين في ذلك الوقت أن يشرف وأن يكمل البناء قبل عودة زوجها لكي تقدمه هدية له، وإن هذه الزوجة كانت من أجمل النساء في ذلك الوقت وقد انبهر بها ذلك المهندس فقال لها إنه سيكمل البناء إذا هي قبلت أن يتقبل خدشا الأيمن فوافقت بعد أن وضعت راحة يدها على خدشا لكن القبلة انطبعت على الخد وصارت علامة ظاهرة وعندما عاد الغازي المنتصر لاحظ تلك العلامة سألها فذكرت له حقيقة الأمر وهنا قرر قتل المهندس وبينما كان حراسه يبحثون عن المهندس صعد هذا إلى

أعلى المبنى فطار من هناك إلى الأجواء العليا ولم يعد، هكذا ذكرت هذه القصة عندما كانت تتحدث عن المدارس وعن أعمال تيمورلنك.

وبعد غزوة المغول تلك وانتصارهم على الأتراك وعودتهم إلى سمرقند ضعفت ثم تفككت دولتهم بعد موت تيمورلنك، ويعتقد أنهم لو اجتازوا إلى الجزء الأوروبي بعد معركتهم تلك ربما كان يمكن أن تتغير أحداث التاريخ، وقد مات زعيمهم القوى تيمورلنك سنة ١٣٠٥ ميلادية وكانت تلك دورة من دورات التاريخ.

وبادر خليفة السلطان العثماني (بايزيد) السلطان محمد الأول بتنظيم الدولة العثمانية التي كادت أن تتفكك بعد الهزيمة في معركة أنقرة، وعمل على تدعيم وزيادة القوات البحرية ومعداتها، وكان السلاطين الأتراك ينشئون جنودا على قواعد جديد من العسكرية حيث يربونهم تربية لا يعرفون من خلالها إلا تركيا والدين الإسلامي منذ الصغر، فالأب هو السلطان والأم هي تركيا والإسلام وعقيدة الجهاد في سبيل الله، ولقد عرف هؤلاء باسم (الانكشارية).

وبعد محمد الأول تولى السلطة محمد الثاني سنة ١٤٥١ ميلادية وقد أقدم السلطان محمد الثاني في أول فرصة على غزو ومحاصرة القسطنطينية التي كانت تحت سيطرة الدولة البيزنطية، هذه الدولة التي هربت وظهر ضعفها في كل مكان وهى الفرصة التي تهيأت للسلطان العثماني الجديد ولذلك فرض عليها حصارا برياً وبحرياً وفي هذه الأثناء وعلى ضوء هذا الخطر التركي الداهم تنادت القيادات والسلطات المسيحية في منطقة البلقان وشكلت جيوشاً لمنع تقدم الأتراك لكنها جميعاً لم يحالفها التوفيق لأن الأتراك كانوا ينتصرون في كل معركة، وكانت المعركة الفاصلة مع هؤلاء المسيحيين سنة ١٤٤٥ م في منطقة (ورنه) على البحر الأسود، وقد فتح الباب لاحتلال القسطنطينية وهى الهدف الكبير الذي أرادته الأتراك، وقام السلطان محمد الثاني بتجهيز جيش قتل إن عدد جنوده بلغ مائة وخمسين ألفاً ومعه خمسون سفينة حربية، وكان آخر إمبراطور بيزنطى (قسطنطين باليولوغس) ضعيفاً من حيث الجنود والعتاد ولقد استنجد بأوروبا عندما أحس بالخطر ولكن

أحداً لم ينجده غير جنوا التي أرسلت بعض الجنود والسفن ولكن ذلك لم يكن ذا نفع أمام قوات زاحفة لا يقف أمامها شيء، وعمل الإمبراطور قسطنطين على تحصين المدينة من ناحية البحر حيث وضع رجاله سلاسل متينة تمنع البواخر من دخول الميناء بحيث تنزل المقاتلين ولكن الأتراك تغلبوا على تلك الحيلة إذ وضعوا أخشاباً مثلت نوعاً من الجسور التي انزلت فوقها السفن وقد احتلوا المدينة بحلول نهاية شهر مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية بعد أن حاصروها لمدة شهر ونصف الشهر تقريباً ومنذئذ صارت القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية وسميت باسم جديد (اسطنبول)، وباحتلال القسطنطينية أشرف الأتراك على شرقي البحر الأبيض المتوسط وكانوا يدركون ما للأساطيل والقوات البحرية من أهمية في المراحل القادمة خصوصاً أن الدولة التي تواجههم في البحر (البندقية) كانت لديها أساطيل قوية وهى لابد أن تقف سداً أمام أي محاولة يقومون بها، ولذلك جهزوا أساطيل بحرية وأدخلوا عليها ما يتوفر في ذلك الوقت من تحسينات، وبعد معارك متفرقة استولوا على جزر بحر إيجه القريبة من مضيق الدردنيل وهى (جزيرة سامتراكى وجزيرة أمبروس) ثم استولوا على بقية الجزر وبعد هذه الانتصارات وقبل نهاية القرن الخامس عشر كان الأتراك قد فرضوا على البندقية دفع الجزية.

وعندما تولى السلطان سليم الأول سار على نفس السياسة في الفتوحات والاهتمام بالأساطيل البحرية وقد فتح مصر وسوريا سنة ١٥١٧ ميلادية وتمت سيطرة تركيا على شرق البحر الأبيض المتوسط وأجزاء كبيرة من غربه أثناء حكم السلطان سليمان القانوني عندما تم فتح رودس وسواحل شمال أفريقيا، ولقد كان البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت طريق التجارة العالمية قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ م بواسطة فاسكو دى جاما، كذلك اكتشاف الأرض الجديدة بواسطة كريستوفر كولومبس (قارة أمريكا) سنة ١٤٩٢ ميلادية، وكان قبل ذلك من يسيطر على البحر الأبيض المتوسط يكون قد سيطر على قلب العالم المتمدن ومصدر النشاط التجاري العالمي ولنفس السبب أيضاً كانت أكثر المعارك تحدث حول هذا البحر.

وإذا كان الأتراك قد فرضوا على الدولة ذات الأسطول القوى في البحر الأبيض المتوسط (البندقية) فرضوا عليها الجزية فلا مناص من طردها من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية وبذلك وجه الأتراك أساطيلهم إلى قبرص فطردوا البنادقة منها واستولوا عليها دون كبير عناء ذلك أن المواطنين القبارصة نظروا إلى الأتراك على أنهم متقدمون في ذلك الوقت ولهذا السبب لم يبذلوا أية مساعدة للبنادقة الذين تحصنوا في فاماقوستا ونيقوسيا وكيرينيا (كيرين) وعندما احتل الأتراك قبرص تكون بذلك قد انتهت مراحل وتغيرت أوضاع ونشأت ظروف جديدة أخرى مما يمكن اعتباره نهاية لعصر وبداية لآخر، أي أن سنة ١٨٧٠ ميلادية يمكن اعتبارها نهاية للعصر الوسيط وبداية للعصر الحديث في قبرص^(١) ولقد كان مجيء الأتراك إنقاذاً للقبارصة من المسيحيين والمسلمين معا وعلى السواء فالتقرون الأربعة من حكم اللاتين الذين حاولوا وأرادوا فرض الكتلكة^(٢) أي (الدين الكاثوليكي) على الأرثوذكسي قد تعسفوا كثيرا في معاملتهم لرجال الدين وعامة القبارصة وامتدت إلى أوقاف الكنائس الأرثوذكسية وأرادوا تغليب لغتهم على اللغة اليونانية ففرضوها على الناس وخلقوا لأنفسهم مجتمعا ومحيطا متميزا فجاءوا بالإقطاع الذي جعل منهم السادة ومن عامة القبارصة رقيق الأرض وخدم السيد الإقطاعي، وهذه هي الأسباب بلا شك التي جعلت القبارصة اليونانيين يقفون الموقف المؤيد للغازي الجديد (تركي).

والأتراك العثمانيون مسلمون سنة يرفعون راية الخلافة الإسلامية ويحكمون المسلمين وفق الشريعة الإسلامية وهذا ما لم يكن المسلم القبرصي من الممكن أن يطمع فيه في ظل الحكم اللاتيني المسيحي الشديد التعصب ضد الإسلام في ذلك الوقت، الشديد العداء للعربي أينما كان، ذلك أن ذكريات الأحداث وخصوصا في

(١) بعض المؤرخين اعتبروا أن نهاية العصر الوسيط كانت مع نهاية عهد الدولة البيزنطية، وبعض آخر يرى العكس، وهو ما سوف نبحث فيه.

(٢) فقد كان فرض الجزية، وهي القاعدة التي جاء بها الإسلام أهون كثيرا من فرض تغيير الدين وهو ما لم يفعله المسلمون أبدا. وكان الدخول في الدين الإسلامي طوعا وهو كذلك يأتي بمزايا للذين يمتثلون، وقد رأينا ذلك فيما تقدم.

حطين ماثلة أمامهم (مع العلم بأن تعبير الصليبية أطلقه المسيحيون وتبهم فيما بعد جميع المؤرخين الغربيين ولم يكن من عند العرب المسلمين ولا المؤرخين العرب أو المسلمين فيما بعد إذ كانوا يقولون حرب الفرنجة عندما يشيرون إلى تلك الأحداث التاريخية وكانت جميع حملات الغربيين ورأها البابا والكنيسة) ولذلك فقد كانت الطائفتان المسلمة والأرثوذكسية في قبرص ترحبان بالغزو التركي، وتلك حقيقة تاريخية وقعت وتقع في كل مكان وأينما كان هناك محتل ظالم مضطهد.

وفى ظل الحكم التركي آنذاك استعادت الكنيسة القبرصية الأرثوذكسية حريتها ونفوذها وممتلكاتها المسلوقة (ولقد حدث مثل هذا عندما فتح الأتراك المسلمون القسطنطينية في عهد السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٢م إذ أحسن الأتراك معاملة الإغريق وتركوا لهم حرية العبادة وحق اختيار بطاركهم وإنشاء مجالس طائفتهم ومحاكمهم الإغريقية الخاصة بهم وقد سلم السلطان العصا والختم لبطريركهم).

وفى العهد الجديد هذا استعاد الفلاح القبرصي كرامته إذ لم يكن التركي بالسيد الإقطاعي الذي يفرض الجزية أو الأتاوة أو هما معا عليه، أما ما يوصف به الأتراك في كتب وكتابات المؤرخين الغربيين فإنما هو من تراث تعصب ديني مفرط كان وربما ما زال يردد كأنما هو ختم مطاطي تختم به صفحات كتاب التاريخ عندما يتصل الأمر بالعرب المسلمين في مقاومة الغزوات الصليبية وكذلك فيما يتصل بالحملات التركية فيما بعد (ولقد رأينا كتاب الإنجليز الذين باع ملكهم الجزيرة في شبه مزاد علني ثلاث مرات كيف يتحدثون عن العرب ومنهم السير جورج هيل وغيره) (ونحن هنا نتحدث عن فتوحات الأتراك أثناء فترة الخلافة الإسلامية وليس ما جاء أو حدث منهم بعد تلك الفترة، وتقصد الفترة ما بعد حكم مصطفى أتاتورك وفى عهده) أما ما حدث مع المسلمين في جزيرة قبرص أثناء فترة الحكم اللاتيني فقد كان مؤسفا وما عرف عن اللاتين من كره للمسلمين وإبعاد للعرب عن المواطن التي يحتلونها فلم يعرف مثله في مسيحية الشرق ولا ذكر أن البيزنطيين قد ارتكبوه

في التاريخ، وهذا يعني أن العرب الذين بدأوا في الاستيطان في جزيرة قبرص منذ عهد معاوية وكان عددهم حسب روايات أغلب المؤرخين (اثني عشر ألفاً) قد أصبحوا مع الزمن قبارة أي خلال فترة ما يقرب من ألف سنة هم الذين تكلموا اللغة التركية فيما بعد انسحاقاً وراء الحكم التركي وتقليداً لحكامهم المسلمين الأتراك، وهم الذين اعتبروا أتراكاً أو يعتبرون الآن من الأتراك بينما الحقيقة أنهم ليسوا كذلك ولا يمثل الأتراك منهم عرقياً إلا نسبة قليلة وهذا فيما نعتقد ما يؤكد التاريخ وسير الأحداث وتطور الحياة، فإذا كان أول المستوطنين عرباً وعددهم حوالي اثنا عشر ألفاً فإن ذلك يعني أن الأتراك الحاليين أصلهم أولئك العرب.

ولقد حكم الأتراك قبرص كما حكموا غيرها من البلدان والناس والتي امتد حكمهم إليها من سنة ١٥٧٠ م إلى سنة ١٨٧٨ ميلادية وهي مدة تصل إلى ثلاثة قرون وثمانية أعوام، وفي حكم هؤلاء لقبرص لم يكونوا بالأحسن ولا بالأسوأ مما كان حكمهم لغيرها من البلدان والشعوب، فلقد كانت تركيا دولة عسكرية ولم يكن لها من باع في مجالات الثقافة والحضارة يذكر، وكان أسلوبهم في الحكم القمع والإرغام وإسكات الأصوات المعارضة بال العنف وحمل الناس على الطاعة كان سبيله حملات الجند التأديبية، وهذه الصورة نمثرت عليها في أي بلد حكموه بما في ذلك بلدان الوطن العربي التي تشترك معهم في العقيدة الواحدة وهي (الإسلام).

ولما كان هذا هو الإطار العام للسلوك التركي في الحكم والسياسة فإنها (أي تركيا) في جو التيارات الوطنية خلال فترة القرن التاسع عشر لم تدرك خطورة ذلك ولم يكن لها من الوعي والليونة ما تعالج به الموقف غير انتهاز نفس طريق الكبت والإرغام، فكانت النتيجة الحتمية هي أن تنهار هي ذاتها كدولة في خاتمة المطاف.

وفي قبرص نجدها وقد جوبهت بحركة الميول الاندفاعية لدى القبارصة المتحدثين باللغة اليونانية والمعتنقين الأرثوذكسية للانضمام إلى اليونان ناشدين لوحدة قومية (هي في الواقع ثقافة دينية) تلجأ إلى العنف فترتكب سنة ١٨٢٤ م جريمة مذبح مدينة نيقوسيا تلك التي سممت وأفسدت الجو نهائياً بين الأتراك

والكنيسة القبرصية وقد كانت الكنيسة حتى ذلك الوقت موالية وفي أشد الأزمات مهادنة، ولقد أدى ذلك الحادث إلى مضاعفات انتهت إلى أن يعهد الباب العالي تحت ضغوط دولية معقدة إلى الحكومة الإنجليزية بالإشراف على أمن الجزيرة وإدارة شئون القبارصة نيابة عن العثمانيين فتولت بريطانيا ذلك من ٢٢ يوليو سنة ١٨٧٨ ميلادية، وسنذكر الأسباب والضغوط الدولية والمحلية والإقليمية فيما يلي.



الوضع في تركيا والتوطينين روسيا والعرب وأهمية المضائق



حملة الصليبيين الأولى

بريطانيا وقبرص والمحطات الثلاث وسياسة الانتفاع بدلا من سياسة البيع

عندما تحدث الحروب تتغير المواقف والسياسات وجميعها بسبب المصالح التي تحققها استراتيجيات جغرافية، ولقد كان وسيبقى موقع قبرص الاستراتيجي أحد أسباب الاحتلال أو الغزو والحروب فوق أرضها مدا وجزرا (أو هو السبب الرئيسي) وعلى الرغم من التغير الذي طرأ على المنطقة في البحر الأبيض المتوسط بعد اكتشاف أمريكا ورأس الرجاء الصالح، كذلك على الرغم من تطور الأسلحة والمعدات العسكرية حديثا فإن محطات استراتيجية مثل قبرص لا تزال تستحوذ على اهتمامات كثير من الدول، وإذا كانت الإمبراطوريات تنهض وتنقوى ثم تضعف وتنتهي أو تتفكك فإن المواقف الاستراتيجية تبقى بذات الأهمية ذلك أن دولا وإمبراطوريات تقوم لتحل وتنشئ القواعد وتستولي على المناطق والبلدان التي تراها مفيدة في رعاية مصالحها الجديدة ومسئولياتها الدولية والإقليمية.

وهكذا كانت قبرص ومالطا وطنجة وجبل طارق والدرنديل والبسفور وغير هذه أسبابا للصراع والحروب والتنافس الدولي وكانت الشعوب القاطنة فيها أو بالقرب منها تدفع ثمن تلك الحروب والصراعات دون أن تكون هي السبب فيها أو الراغبة لها، وكانت واحدة من الأسباب الدولية التي أجبرت تركيا على التنازل لبريطانيا عن قبرص لتديرها نيابة عنها أحداث حرب القرم التي لم يكن لقبرص شأن بها أو علاقة، وهى كما يلي :

حدثت الثورة في فرنسا سنة ١٨٤٨م وتولى لويس نابليون رئاسة الجمهورية وهو ابن أخ نابليون الأول واتخذ هذا لنفسه لقب الإمبراطور عندما غير نظام الحكم من الجمهوري إلى الإمبراطوري سنة ١٨٥٢م وتسمّى باسم الإمبراطور نابليون الثالث، وكانت الثورة من فرنسا قد انتقلت إلى ألمانيا والنمسا وقد استشاط قيصر

روسيا غضبا وهو يقول الأول بسبب هذه الأحداث وكان لا يود أن يرى أحد أفراد أسرة نابليون يعود إلى الحكم في فرنسا، وقد توتر الموقف وحدث العداء ذلك أن القيصر نيقولا الأول أراد الحرب في عهد الرجعية في أوروبا شرقيا وغربيا، وحدث أن الخلاف الشديد الذي أدى إلى الحروب في عهد القيصر الإسكندر وهو شقيق نيقولا الأول قد جاء من بيت المقدس وكان بين الرهبان الأرثوذكس والرهبان الكاثوليك ذلك أن الكاثوليك يعتمدون على فرنسا ومساعداتها بينما كان الأرثوذكس يعتمدون على اهتمام وعناية ومساعدة قيصر روسيا ذلك أن هذه تتعهد بحماية الأرثوذكس حسب نصوص اتفاقية سنة ١٧٧٤ م التي وقعتها مع تركيا، وما كان من قيصر روسيا الإسكندر إلا أن أمر جيشه بالتحرك فقامت قواته بعبور نهر (البروت) سنة ١٨٥٢م واحتلت الدانوب، وكان ذلك بمثابة إعلان حرب على تركيا، وقامت القوات الروسية بتدمير الأسطول التركي عند منطقة (سانوب) وظهر أن روسيا أرادت بذلك الاستيلاء على المضائق وكذلك القسطنطينية ومن ثم تهدد المصالح البريطانية والفرنسية ولم يكن أمام الدولتين إلا إعلان الحرب على روسيا بحجة مساعدة تركيا والحقيقة أنهما تريدان المحافظة على مصالحهما في الشرق الأوسط، وفي سنة ١٨٥٣م أرسلت فرنسا ٣٩ سفينة حربية وحوالي خمسين ألف جندي، كذلك طلبت بريطانيا وفرنسا من كل من النمسا وبروسيا إرسال قوات وكذلك إيطاليا ومصر فوقفت نظريا النمسا وبروسيا على الحياد وإن كانتا عمليا تتاصران بريطانيا وفرنسا بينما أرسلت إيطاليا بعض القوات وكذلك مصر التي أرسلت جنودا وسفنا حربية، وبذلك تم غزو شبه جزيرة القرم حيث تم حصار أهم ميناء حربي لروسيا وهو ميناء (سفاستبول) على البحر الأسود وكانت هذه الحملة بمثابة حرب أوروبية غربية إلى جانب تركيا ضد روسيا، وبعد الحصار الطويل لميناء سفاستبول (حوالي سنة) سقط الميناء وكان على روسيا أن تسعى إلى إيقاف الحرب فانعقد مؤتمر باريس وبعده مؤتمر برلين (كان الأول في شهر مارس سنة ١٨٥٦م) حيث قررت فيه الدول الأوروبية قبول تركيا في هيئة الدول الأوروبية ومعاقبة روسيا بفرض حظر على الأسلحة والمنشآت العسكرية على موانئ البحر

الأسود وكذلك منع السفن الحربية، إلا أن روسيا سرعان ما تحللت من هذا الحظر خلال الحرب البروسية عندما انتصرت فيها بروسيا على فرنسا سنة ١٨٧١م، وبعدها قامت الحرب بين روسيا وتركيا مرة ثانية سنة ١٨٧٦م وعلى إثرها انعقد مؤتمر برلين وكانت الهزيمة قد لحقت بتركيا، (كان المؤتمر قد انعقد في سنة ١٨٧٨م) برئاسة المستشار الألماني (بسمارك) ولأن بريطانيا كانت تنتظر مثل هذه الفرصة لاحتلال قبرص على اعتبار أن مصالحها كانت قد تهددت فقد طلبت من تركيا الموافقة على ذلك نظير ما قامت به بريطانيا من جهد حربي مع تركيا وما يمكن أن تحتاجه الأخيرة مستقبلا (وكانت تعرف أنها إذا وافقت أو لم توافق فإن بريطانيا سوف تستولي على قبرص، كما أنها تدرك أنها لا بد أن تسدد ثمن فاتورة الحرب ومساعدة بريطانيا لها، على الرغم من أن بريطانيا لا تسعى إلا لمصالحها) وافقت تركيا إلا أنها ومن أجل حفظ ماء الوجه ذكرت أنها توافق على تأجير جزيرة قبرص لإنجلترا، وحدث ذلك كما ذكرنا في سنة ١٨٧٨م، وكان القادة العسكريون والسياسيون الإنجليز قد قرروا أن تقوم الاستراتيجية العسكرية البريطانية مستقبلا على ما عرف باسم (المحطات الثلاث) وهي جبل طارق ومالطا وقبرص، وما كان يعرف سرا باسم سياسة الانتفاع وليس البيع، وفيما يلي تفصيل ذلك.

لقد كان احتلال قبرص من جانب بريطانيا مكملا لخطة التوسع البريطانية في البحر الأبيض المتوسط وفي الشرق عموما ذلك أن البدء في إنشاء قناة السويس نبه إلى قرب حدوث تغيير جغرافي واستراتيجي، وتغيير في السياسة الدولية على طول منطقة البحر الأبيض المتوسط وقد افتتحت قناة السويس سنة ١٨٦٩م ونظرا لأن المهندس صاحب الفكرة والمشرع على تنفيذها كان فرنسيا يدعى (فرديناند دي ليسيبس) فإن فرنسا كان لها نصيب الأسد في أسهم الشركة العالمية التي تولت تسيير العمل في القناة الشيء الذي أغاظ ساسة بريطانيا التي ما كانت تولى اهتماما للمشروع في بدايته ولذلك انتهزت فرصة احتياج الخديو إسماعيل إلى المال (أو هي أقتنعت بأهمية البيع وهي لا تعمد الحيل) فاشتريت أسهم مصر سنة ١٨٧٥م ونظرا لأن المال والمصالح لا بد أن تحتل الرعاية والحفاظة عليها فقط أرادت

بريطانيا أن تكون قواعد قواتها قريبة لتحتمي مصالحها وخصوصا في هذا الممر المائي الذي ربط الشرق بالغرب من خلال البحرين الأبيض والأحمر، وبريطانيا كذلك كانت دائما تتوجس خيفة من روسيا وتطلعها لأن يكون لها موقع قدم في الشرق الأوسط، ويذكر القارئ الكريم كيف أنها ساعدت على إعلان الحرب على روسيا في خلافتها الأولى مع تركيا مجرد أن بريطانيا هذه قد أحست بأن الروس قد يسيطرون على المضائق أي على البسفور والدردنيل، ومن خلال هذه النظرة ولهذه العوامل كلها حرصت بريطانيا على أن يكون لها وجود في جزيرة ذات موقع جغرافي هام يمكن أن تشرف منه على المنطقة كلها وكان أن احتلت أو استأجرت (كما كانت التسمية) قبرص من تركيا، ونعرف أنها أي (بريطانيا) بعد ذلك تدخلت في الوضع الداخلي لمصر مع الخديو توفيق وضد ثورة عرابي سنة ١٨٨٢ ميلادية وكان ذلك بعد أن ضربت ثورة عرابي وقضت عليها في موقعة (الثلث الكبير) خلال شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢م ولا بد أنها أفهمت الخديوي توفيق أنها جاءت لحمايته وحماية نظامه عندما قمعت الثورة عليه، والحقيقة التي لا مراء فيها أنها وجدت الفرصة لتحتل قناة السويس، أي أنها جاءت من أجل مصالحها.

وكانت بريطانيا قد احتلت جزيرة مالطا سنة ١٨٠٠ ميلادية وقد تأكد ذلك الاحتلال بموجب قرارات مؤتمر فيينا لصالح بريطانيا سنة ١٨١٥م، وهذه الجزيرة (مالطا) كان نابليون بونابرت قد احتلها لمدة قصيرة عندما قام بحملته الشهيرة على مصر، كذلك كانت إنجلترا قد احتلت جبل طارق سنة ١٧٠٤ ميلادية، وإذا كان نابليون قد احتل تلك الجزيرة عندما كان يقوم بحملته على الشرق فإن الأمر لا يمكن أن يخفى على بريطانيا وهي تعد للسيطرة على الشرق أيضا.

إذن، تلك هي المحطات الثلاث من وجهة النظر البريطانية التي تحكم منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط (جبل طارق - مالطا - قبرص)، قلنا إن تركيا تخلت أو هي تركت قبرص للإنجليز رغبة أو مجبرة، ولكن القبارصة لم يهاجروا موطنهم رغم تخلى تركيا عنهم في ذلك الوقت (القبارصة الأتراك) وعلى

الرغم من تخليها لم يكن ضمن شروط واضحة أو معلنة، ولم يكن هناك من هؤلاء أي موقف عدائي ضد بريطانيا، كذلك لم تكن لهم مواقف عدوانية ضد القبارصة اليونانيين شركائهم في الوطن والمصير، ولكن القبارصة اليونانيين وإن رحبوا بالإدارة البريطانية لقبرص إلا أنهم طالبوا بأن تسلم الجزيرة إلى اليونان حتى تتحقق الوحدة مع الأرض الأم التي ما فتئوا يطالبون بها منذ عشرات السنين، وبطبيعة الحال فإن بريطانيا لم تأخذ الجزيرة لتحقيق الوحدة للقبارصة اليونانيين مع أهمهم اليونان وإنما لتتخذ منها قاعدة عسكرية لها تحرس منها قناة السويس ومصر وبذلك تحرس الطريق إلى الهند وتسيطر بها على سائر حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ولهذا فإن بريطانيا أصمت أذنيها عن المطلب القبرصي اليوناني الذي تعلم أنه لن يتحقق ولا تريد له أن يتحقق، فالجزيرة وبحكم الواقع ليست يونانية خالصة فجانب منها تركي وهى ومن الناحية الدستورية ليست إلا متولية لحكمها باسم السلطان ونياية عنه على إنها حتى لو تجاهلت هذا وذلك فإنها ليست على استعداد للتخلي عنها لليونان ولا لغير اليونان فموقعها الاستراتيجي يجعل من البقاء عليها بيدها ثروة تقتضيها مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية.

هكذا الحال، واقع دستوري شاذ وغريب، فالجزيرة عثمانية ولكن الباب العالي لا سلطان له عليها والإنجليز هم حكامها فعلا ولكن بالوكالة وبتفويض، وأهل الجزيرة قبارصة، لا أتراك ولا يونانيون وإنما هم مزيج ممن يتحدثون اللغة اليونانية واللغة التركية وينحازون انتماء لا ولاء لإحدى الجنسيتين، ومع أن نسبة القبارصة الأتراك إلى القبارصة اليونانيين هي أقل من الثلث (حوالي ربع السكان) إلا أن تجاهلهم والإغضاء عنهم مستحيل استجابة لرغبة الثلاثة أرباع من القبارصة اليونانيين ذلك أن القضية لا تحسم بحكم الأغلبية وإنما حينما يكون الأمر متعلقا بالدين واللغة والمصير، ولقد حاولت بريطانيا الاستفادة من الوضع لصالحها فرضت لغتها على اللغتين الآخرين ولكن اثنين أصرتا (المقصود الطائفتان) على رفض ذلك وكانت تخاطبانهما في أي شأن باللغة الفرنسية (لغة الحضارة في ذلك الوقت) ولجأت بريطانيا في ممارسة سلطاتها إلى استغلال هذه الفئة أو تلك بحسب

الظرف والحال ولم تبذل أي جهد في إصلاح حال البلاد والناس كعادتها في كل مكان لأنها في الواقع حتى المنشآت أو المباني التي تقيمها تكون من البناء المؤقت الذي لا يعمر ولا يستفيد منه أحد.

وقد استمر هذا الوضع الشاذ الغريب حتى سنة ١٩١٤ ميلادية وانتهى بدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الإنجليز والفرنسيين، وقد اغتنم الإنجليز الفرصة فأعلنوا سيادتهم التامة على قبرص وحكموها كمستعمرة من المستعمرات إلا أنهم وفيما يتعلق بسكان الجزيرة فشلوا فشلا ذريعا في عزل الفئتين عمن ينتمون إليهما (الأتراك عن تركيا واليونانيون عن اليونان) إذ كان في نيتهن في الحقيقة فعل ذلك على أننا نرجح أن الإنجليز قد شجعوا سرا اتجاهات الطائفتين لأن خلافهما يمثل قنبلة موقوتة تحرس بريطانيا على زرعها دائما في أي مكان تحكمه أو تحاربه.

ولقد اضطرت بريطانيا في نهاية الأمر أن تتخلى عن قبرص وفق مقررات مؤتمر زيورخ ولندن في آخر سبتمبر سنة ١٩٦٠م وكان ذلك لعدة أسباب، أولها المقاومة العنيفة التي أبدتها القبارصة ضد الوجود البريطاني، وثانيها الظروف الدولية المتغيرة، وثالثها وضع بريطانيا المالي والاقتصادي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتغير موازين القوى العالمية على الرغم من أن بريطانيا احتفظت في قبرص بقاعدتين عسكريتين هامتين هما قاعدتا (أكروتيري وديخيليا) واللتان تأخذان في الاتجاه إلى تأجير أجزاء منهما للقوات الأمريكية وتستخدم طائرات التجسس الأمريكية نوع (يو٢) قاعدة ديخيليا وربما تستعمل الأخرى في أغراض غير واضحة.

أسباب تخلى بريطانيا عن قبرص :

تحدثنا عن أهمية الجزر في منطقة البحر الأبيض المتوسط وكيف كانت سببا في الصراع بين الدول الراغبة في السيطرة على هذا البحر الذي يمثل عصب وشريان التجارة العالمية قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح واكتشاف أمريكا، ثم كيف أن هذا الممر المائي قد اكتسب أهمية جديدة خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقبرص واحدة من أهم الجزر فيه لموقعها الجغرافي فهي لا تبعد إلا حوالي

٤٠ ميلا عن سواحل الأناضول في تركيا (وتركيا مع سواحلها ومناقصها تمثل مدخل ومخرج ذلك الدب الروسي الذي لا يرغب الغرب في أن يراه قد تفرغ في المياه الدافئة لا ماضيا ولا حاضرا) وهى على مسافة حوالي ٦٠ ميلا من ميناء اللاذقية بسوريا (وهذه مفتاح الشرق الأوسط ومدخل إلى أراضي بيت المقدس) وكذلك هي على مسافة حوالي ٢٣٨ ميلا من بورسعيد في مدخل قناة السويس الرابط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر، ولكل هذه الأسباب وغيرها فإن قبرص تمثل موقعا خطيرا يمكن أن يقفز منه العدو، ولقد كانت قبرص على طول تاريخها معبرا ومنطقة نزاع دولي، من الفينيقيين إلى المصريين إلى الفرس إلى اليونان ومن الرومان إلى البيزنطيين والعرب والبنادقة والأتراك، وقد استولت عليها بريطانيا مرتين الأولى بالقوة عندما ألحقها ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد بالتاج البريطاني سنة ١١٩١ ميلادية أثناء فترات الحروب الصليبية ثم باعها وبعد ذلك أعيدت إليه مقابل دين يطلبه ثم باعها مرة أخرى، والمرة الثانية عندما استأجرتها بريطانيا من تركيا على إثر الحرب التركية الروسية سنة ١٨٧٨ ميلادية، وهذه المرة أيضا كانت في نظير مساعدتها لتركيا في تلك الحرب، ثم اعتبرتها رسميا تابعة لها أثناء الحرب العالمية الأولى، وأثناء الحرب العالمية الأولى وعدت بريطانيا ملك اليونان قسطنطين بأن تتنازل له عن قبرص إذا هو انضم إليها في تلك الحرب أي إلى جانب الحلفاء ولكن ملك اليونان انحاز إلى جانب ألمانيا ذلك أن إمبراطور ألمانيا كان صهره والله وحده يعلم كيف كان يمكن أن يكون مصير جزيرة قبرص وسكانها لو حدث ذلك وصدقت بريطانيا في وعدها وهى في الغالب لا تصدق لأن التاريخ يذكرنا بأنها قدمت الكثير من الوعود أثناء الحروب أو الأزمات الدولية دون أن تصدق أو تلتزم بوعدها واحد، ومما يؤكد أنها لن تصدق في ذلك الوعد حتى لو وافق ملك اليونان على طلبها ما حدث بعد ذلك، حيث ظهرت إيطاليا الفاشية وكانت لها أهداف كبيرة في الشرق الأوسط وفي شمال أفريقيا وبالتالي في البحر الأبيض المتوسط وما كان لبريطانيا أن تترك قبرص في مثل ذلك الظرف مهما كانت الوعود حيث إن إيطاليا أنشأت قواعد عسكرية في رودس وفي جزر الدودكانيز وصارت

تشرف على المناطق الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وتهدد مصالح بريطانيا وخصوصا النفطية منها، ولأهمية قبرص على ضوء الظرف الدولي الجديد حكم الإنجليز قبرص وفق سياستهم التقليدية بأن تركوا لأهل الجزيرة حرية الاعتقاد والإشراف على وسائل التعليم، وكانت لغة التعليم اليونانية والديانة هي الأرثوذكسية وإن كان القبارصة اليونانيون يطلبون في كل مناسبة أن تقوم بريطانيا بالتنازل عن جزيرتهم لليونان باعتبارها البلد الأم كما كانوا يقولون، والواقع أن هذا الطلب كان لدى كل القبارصة اليونانيين في كل وقت وخصوصا أولئك المتعصبين القوميين ولو حدث ذلك لكانت قبرص قد انقسمت إلى جزئين رغم أنهم يحاولون تجاهل وجود أقلية قبرصية تركية وكان ذلك التجاهل أحد أسباب التوتر وأحد الأسباب التي أدت فيما بعد إلى قتال الطائفتين، وتجاهلت بريطانيا ربما لأنها تدرك استحالة تحقيق ذلك الطلب، تجاهلت مطالب القبارصة اليونانيين فتقدم رجال الكنيسة الصفوف وشجعوا الأهالي على الثورة ضد بريطانيا، ومن المعروف أن رجال الدين في قبرص أكثر تأثيرا على الناس من غيرهم لشدة تعلق العامة بالكنيسة.

نشبت الثورة سنة ١٩٣١م بزعامة المطران الأرثوذكسي (كيرلس) وقد هاجم المواطنون قصر الحاكم الإنجليزي في نيقوسيا وأحرقوه ولهذه الأسباب أوقفت بريطانيا العمل بالدستور وقامت بإبعاد رجال الدين إلى المنفى بمن فيهم المطران (كيرلس) وكان العلم الذي يرفع في قبرص هو العلم اليوناني فمنعت القوات البريطانية رفع ذلك العلم وحظرت التجمعات وراقبت بشدة كل تحرك أو نشاط ولكن تطور الأحداث الدولية بعد تلك الانتفاضة أو الثورة القبرصية غير موقف القبارصة من بريطانيا خصوصا بعد أن اتضحت مطامع إيطاليا في منطقة البحر الأبيض المتوسط واحتلالها لأثيوبيا سنة ١٩٣٦م ونظرا إلى أن العلاقات قد تحسنت فقد أعادت بريطانيا العمل بالدستور وأفرجت عن رجال الدين ولإثبات حسن النية تعاون القبارصة مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية التحق العديد منهم بخدمة القوات البريطانية، وكانوا يمتدحون أن في انتصار بريطانيا في الحرب تحقيقا لرغباتهم، ولكن هذه كانت تفضل مصالحها على صداقتها، ونظرا إلى أن روسيا قد

خرجت هي الأخرى منتصرة في تلك الحرب (صارت تسمى الاتحاد السوفيتي)، وذلك بعد ثورة سنة ١٩١٧م البلشفية وبالتالي فإنها لا بد أن تمد نظرها إلى أبعد من حدودها الدولية، وبريطانيا لا بد لها أن تراقب ذلك عن قرب، ومن هنا بقيت أهمية قبرص قائمة ذلك أن بريطانيا لن تسمح للاتحاد السوفيتي بالوصول إلى المياه الدافئة، ولم تكافئ بريطانيا القبارصة على مساندتهم وخدماتهم لها في الحرب الأولى إلا بزيارة قام بها رئيس وزرائها في ذلك الوقت السيد ونستون تشرشل ولم ينتج عن الزيارة شيء يرضى هؤلاء الذين كانوا يريدون تقرير مصيرهم غير كلمات تناقض بعضها تلفظ بها رئيس الوزراء الزائر إذ كان قد تحدث عن المطامح الوطنية والقومية وتحدث عن الأرض الأم اليونان وإسهامات اليونانيين في التاريخ والحضارة والفلسفة ولكنه مسح هذا بالقول إنه لا يمكن تجاهل حق أقلية تشارك في البلاد، وهو كمن يقول : يجب أن تتساو مسألة الوحدة التي تتحدثون عنها وترفعون شعاراتها، وتأسست جمعية وطنية بعد الزيارة كانت مهمتها مراجعة دستور البلاد ليتلاءم مع الوضع الجديد ونشطت الكنيسة من جديد حيث قامت بإجراء استفتاء عام بشأن الوحدة مع اليونان، وهكذا تشكلت وفود لتحقيق مطالب الشعب إلا أن الردود من أثينا وبريطانيا لم تكن مشجعة، وفي سنة ١٩٥١م تولى رئاسة الكنيسة القبرصية الأسقف مكاريوس وهو أحد المتحمسين لمطلب الوحدة القومية مع اليونان فأجج ذلك المطلب مرة ثانية وبمث فيه حماسا زائدا وتكاثفت الجهود لكن بريطانيا لم تستجب وقد أدرك مكاريوس وغيره أن الحل لا بد أن يكون بالقوة بحيث تجبر بريطانيا على الإصغاء، وهكذا تكونت منظمة عسكرية سرية تدعى (أيوكا - أ) كان زعيمها الروحي الأسقف مكاريوس وزعيمها العسكري الجنرال (قريفاس) وهو ضابط يوناني (من أصل قبرصي) كان قد اشترك في حرب التحرير في اليونان أثناء الحرب العالمية الثانية ضد الإيطاليين والألمان، وبدأت العمليات العسكرية ضد القوات البريطانية في الجزيرة ووجهت عمليات القبارصة والإجراءات الصارمة مثل الاعتقالات الجماعية والإعدامات وتوقيع الغرامات على مناطق وقرى بكاملها عقابا لها على انطلاق عيار أو قنبلة منها إلخ، ونظرا لتصاعد عمليات الهجوم من طرف

منظمة (أيوكا - أ) عين ضابط إنجليزي برتبة عالية يدعى (هارينج) حاكما جديدا للجزيرة وكان أول عمل يقوم به هذا الحاكم الجديد هو نفي الأسقف مكاريوس على اعتبار أنه متورط في أعمال عنف وإرهاب، وكان نفيه إلى جزيرة سيشل سنة ١٩٥٦م وضاعف من قوات القمع الإنجليزية للقضاء على منظمة (أيوكا - أ) وكان هذا اسمها آنئذ، وكانت تركيا تدعم السياسة البريطانية تلك، لأنها ترى أن مطلب الوحدة مع اليونان ضد مصالح الجالية القبرصية التركية في الجزيرة وأن هذه الجزيرة أصلا كانت مؤجرة من طرف تركيا لبريطانيا فإذا تخلت بريطانيا عنها فلا بد أن تعود لتركيا وهذا بطبيعة الحال مطلب تعجيزي فإذا كان القبارصة اليونانيون يطالبون بالوحدة مع اليونان فإن تركيا تطالب بالجزيرة كلها، وإذا كانت تركيا قد أجرت الجزيرة لبريطانيا سنة ١٨٧٨م فإن بريطانيا قد ضمتها رسميا إليها سنة ١٩١٤م ميلادية بمعنى أن الأخيرة لم تعد تعترف لتركيا بحقوقها في الجزيرة والواقع أنه بصرف النظر عن موقف كل الأطراف يونانيون وأتراك وقبارصة من الطائفتين فإن بريطانيا كانت لها خطط ومصالح أخرى وليس هناك في السياسة البريطانية مجاملة، ذلك أن المثل الذي قاله السير ونستون تشرشل لم يكن من فراغ (ليس هناك صداقات دائمة وإنما هناك مصالح دائمة) وهذا صحيح في كل وقت بالنسبة لهذه الدولة وربما لغيرها، وكانت القوات البريطانية قد ألقت القبض على بحارة يونانيون جاءوا بقارب يحمل أسلحة ومتفجرات في منظمة بافوس (وهي المنطقة التي تقع غرب الجزيرة) وكان ذلك خلال شهر يناير ١٩٥٥م وعندها تمت محاكمة أولئك اليونانيين اتضح أن لدى أحدهم رسالة فهم منها أن هناك منظمة تسمى (أماك) تعمل على تحرير قبرص بالقوة وتوحيدها مع اليونان وتؤمن بشعار (أونسيس) أي الوحدة وهو شعار (منظمة أيوكا - أ) الذي رفعته طيلة فترة النضال ضد القوات البريطانية إلى أن تحقق الاستقلال القبرصي، وبعد نفي مكاريوس ورفاقه بموجب ذلك القرار الذي اتخذته الحاكم الجديد لقبرص وأصدره رئيس وزراء بريطانيا السيد إيدن تزايدت وانتشرت العمليات الحربية في كل مكان في الجزيرة الشيء الذي أثار كثير من التكهات حول فائدة ذلك العمل الذي أقدمت

عليه القوات البريطانية بأمر من (هاردينج) وإن كانت منظمة «أيوكا» بعد مدة من نفى مكاريوس عرضت هدنة مع القوات البريطانية، ولكن هذه لم تكن راغبة في التفاوض مع منظمة تعتبرها إرهابية ولم تقبل بالهدنة وإنما طلبت التسليم، وهكذا استمرت العمليات الحربية من طرف الوطنيين القبارصة وزاد القمع البريطاني.

ورأت بريطانيا أن تتجاوز منظمة أيوكا بأن تعرض إصلاحات دستورية للبلاد ولذلك عينت خلال شهر يوليو ١٩٥٦م خبيراً أسمته المندوب البريطاني للإصلاح الدستوري في قبرص ويدعى اللورد (راديكليف) وفي هذه الفترة راحت الصحف البريطانية تشن هجوماً متواصلاً على جمال عبد الناصر ومصر مذكرة أنه وراء العمليات الإرهابية في قبرص^(١) وإن قواته قد دربت القبارصة اليونانيين وزودتهم بالسلاح من مختلف الأنواع وكذلك مختلف المتفجرات، والواقع أن جمال عبد الناصر كان يؤيد جميع حركات التحرير في المنطقة، أي في الشرق الأوسط وأفريقيا، وكان يرى أن قبرص يجب أن تكون محايدة وحرّة، ذلك أن أي هجوم على مصر يمكن أن يأتي منها إذا كانت تحت سيطرة دولة أخرى (وهذه هي الحقيقة هي نفس النظرية القديمة حول تقدير موقع قبرص الجغرافي) وكان النضال في مصر وفي قناة السويس تحديداً على أشده ضد القوات البريطانية ومن هنا فإن جمال عبد الناصر لا بد له أن يؤيد ويساند أولئك الذين يؤمنون بنفس المبدأ ويناضلون ضد بريطانيا التي تحتل أرض مصر، قدم (راديكليف) مذكرته بشأن الإصلاح الدستوري في قبرص خلال شهر ديسمبر، والمذكرة عرفت باسم (الكتاب الأبيض) وبارش وزير المستعمرات البريطاني مناقشته مع حكومتي اليونان وتركيا، وكان لا بد لليونان ومن ثم منظمة أيوكا أن ترفض ذلك المقترح لأن ما قدمه السيد راديكليف يهدف في الواقع إلى تقسيم جزيرة قبرص وأن على المدى البعيد، وربما كانت بريطانيا فعلاً تعمل على ذلك خصوصاً أن تركيا قد قبلت فحوى مذكرة راديكليف، كما أن بريطانيا

(١) لقد سمعت من مكاريوس شخصياً أن أول مجموعة من الفدائيين القبارصة قد تدربوا في مصر وأن أول شحنة سلاح جاءت هدنة من مصر، وأيد هذا الكلام فيما بعد رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي السيد ليساريس وهو ما زال على قيد الحياة، ومن المتوقع أنه سيذكر تفاصيل ذلك في مذكراته التي قال إنه يكف على كتابتها .

ربما كانت ترى أنه لن يكون هناك أي حل إلا بالتقسيم طالما كان هناك إصرار قبرصي يوناني على الوحدة مع اليونان، وسواء كان ذلك ما رآه الساسة الإنجليز أم لا فإن الحقيقة بقيت وتبقى كذلك، فلن يكون هناك حلماً لم يتخلى كل طرف عن أفكار الوحدة مع أي بلد لأن الوحدة غير ممكنة وكذا التقسيم، وبعد رفض مذكرة راديكليف ورفضها من طرف اليونان اسمر القتال في الجزيرة بين القوات البريطانية والمنظمة، وكان نص مشروع الإصلاح الدستوري الذي اقترحت راديكليف كما يلي :

(يحتفظ الحاكم العام في قبرص بحق التصرف في شؤون الدفاع والخارجية والأمن العام وتكون الأمور الأخرى من اختصاص مجلس وزراء قبرص الذي يكون مسئولاً أمام مجلس تشريعي منتخب، وتكون هناك سلطتان لوضع القوانين وإدارتان مختلفتان للأمور الإدارية، ومجلس استشاري مشترك بين الطائفتين على أن يكون المجلس التشريعي متكوناً من ٣٦ عضواً منهم ٢ عضواً من القبارصة اليونانيين منتخبين و ٦ أعضاء قبارصة أتراك متمثلة في وزير يختاره الحاكم العام من بين الأعضاء الأتراك المنتخبين يشرف على مكتب يسمى شؤون الأتراك ويكون هذا الوزير عضواً في مجلس الوزراء والمجلس التشريعي)، ولقد أعلنت بريطانيا أنه في حالة قبول الإصلاح الدستوري سوف تجري انتخابات عندما تهدأ الأوضاع وينتهي العنف وبعد أن يتكون نظام الحكم الذاتي فإن بريطانيا سوف تنظر في مطلب حق تقرير المصير على ضوء الوضع الدولي.

وعندما فشل مشروع الإصلاح الدستوري توتر الموقف بين تركيا واليونان وجرت أحداث ومظاهرات في كل منهما وكانت بريطانيا قد قدمت مقترحاً جديداً عرف باسم (خطة السبع سنوات) وتقول الخطة إن نظاماً يستحدث يتمثل في تكوين مجلسين نيابيين منفصلين للقبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين في الجزيرة كل على حده ويحتفظ كل من الأتراك واليونانيين بحق الحكم الذاتي في الشؤون المحلية الخاصة بكل من الجاليتين، وبعد مدة السنوات السبع تقتسم بريطانيا واليونان

وتركيا السيادة في قبرص شرطا أن تحتفظ بريطانيا بقواعدها العسكرية خارج السيادة وتلتزم كل من تركيا واليونان بتقديم كل التسهيلات اللازمة لهذه القواعد، وحدث نفس الشيء فقد رفضت الخطة كل من اليونان ومكاريوس.

والشيء الغريب في هذا المقترح الذي أعدته بريطانيا وهى تعرف تماما أنها تضع العربة أما الحصان أنها بدلا من أن تجعل قبرص واحدة للقبارصة وبدلا من الوضع القائم في قبرص وإن كان موترا جعلت خطتها تقوم على تقسيم الجزيرة إلى عدة أجزاء، وبدلا من الاستقلال فإن قبرص ستكون تحت سيادة ثلاث دول إضافة إلى اقتطاع أراضى منها للقواعد البريطانية، كما أن المشروع لا يضع قبرص فقط في خدمة بريطانيا وقواعدها إنما أيضا كل من تركيا واليونان اللتين اشترط عليهما المشروع أن تقدموا المساعدة اللازمة للقواعد البريطانية.

وفى بداية سنة ١٩٥٧م تم إطلاق سراح مكاريوس ورفاقه شرط ألا يمودوا مباشرة إلى قبرص، وبعد إطلاق سراحه ذهب مكاريوس إلى الأمم المتحدة في نيويورك ليعرض قضية بلاده على الجمعية العامة والمجتمع الدولي، وكانت تلك هي المرة الثانية التي تعرض فيها قضية قبرص على الأمم المتحدة، ولم تغز القضية بالتأييد المطلوب في هذه الأثناء إذ لاحقتها الخلافات الدولية والتنافس والمصالح والاستقطاب هناك في أروقة الأمم المتحدة بل وحتى في الجلسات الرسمية، وبعد ذلك غيرت بريطانيا سياستها المتسلسة حيث استبدلت الحاكم العسكري بحاكم جديد كان مدينا، وظهرت بوادر الانفراج في الأزمة حيث هدأت الأوضاع في الجزيرة، وبرزت الدعوة لعقد مؤتمر التباحث في حق تقرير المصير، وتقرر أن يكون المؤتمر في زيورخ خلال شهر فبراير سنة ١٩٥٩م تشترك فيه الأطراف المعنية، وكان أول بيان صدر عن ذلك المؤتمر يقول إن اللقاء كان وديا ناجحا وأنه استهدف العمل من أجل رفاهية ووحدة شعب قبرص، وأعلن كل من زعيم القبارصة الأتراك السيد فاضل كوتشوك وممثل مكاريوس ترحيبهما بنتائج المؤتمر (كان كوتشوك هو زعيم القبارصة الأتراك في ذلك الوقت وقد أصبح فيما بعد نائبا للرئيس) كذلك أعلن

الأسقف مكاريوس نفسه أن المؤتمر قد وضع أسس يمكن أن تؤدي إلى الهدوء والاطمئنان وإيجاد حل نهائي للمشكلة القبرصية، وكانت نصوص الاتفاق الذي تم التوصل إليه في هذا المؤتمر كما يلي :

١ - خلال عام من توقيع الاتفاقية بين الطرفين التركي واليوناني في ١١ فبراير سنة ١٩٥٩م يتم إعلان قبرص جمهورية مستقلة.

٢ - يكون رئيس الجمهورية قبرصيا يونانيا بالانتخاب.

٣ - يكون نائب رئيس الجمهورية قبرصيا تركيا وينتخب من طرف جاليته.

٤ - ينشأ حلف دفاعي مشترك بين كل من بريطانيا واليونان وتركيا تتعهد بموجبه الدول الثلاث بحماية استقلال جزيرة قبرص ومقاومة أي تدخل خارجي يهدد استقلالها.

٥ - تتنازل بريطانيا للشعب القبرصي عن قبرص مع احتفاظها بمنطقتين لقواعدها في الجزيرة.

٦ - ينوب كل من وزيرى خارجية تركيا واليونان عن كل من الأسقف مكاريوس والسيد فاضل كوتشوك بقبول ما نصت عليه معاهدة زيورخ حول استقلال قبرص.

٧ - تعمل الدول المشاركة في المؤتمر وفق هذا البيان).

وكان مؤتمر زيورخ قد ابتدأ أعماله في يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٥٩م وحضره كل من رئيس وزراء اليونان السيد قسطنطين كارامانليس ورئيس وزراء تركيا السيد عدنان مانديريس وبعيد الانتهاء تم الاتفاق على نقل المباحثات إلى لندن ليتم التوقيع على المعاهدات الثلاث وعلى الدستور، وهناك في فبراير يوم ١٩ سنة ١٩٥٩م تم التوقيع رسميا على تلك المعاهدات وهى كما يلي :

أولا : معاهدة التحالف وبموجبها يسمح لتركيا بإرسال عدد ٦٥٠ جنديا وليونان بعدد ٩٥٠ جنديا وهؤلاء الجنود يقيمون في قبرص لفرض محدد وهو تدريب الجيش القبرصي.

وثانيا : معاهدة الضمان وهى تنص على حماية قبرص واستقلالها وقد وقعت من طرف بريطانيا وتركيا واليونان وبموجبها فإن أي من هذه الدول مجتمعة أو منفردة تحافظ على وضع الجزيرة وتمنع (مثلا، الوحدة أو التقسيم).

ثالثا : بشأن الرئيس ونائبه ومجلس الوزراء ومجلس النواب ونصت الاتفاقية على أن جهاز الشرطة يتكون من ٧٠٪ قبارصة و ٣٠٪ قبارصة أترك ولا يزيد عدد أفراد الجيش على ألفين جندي منه ٦٠٪ قبارصة يونانيون و ٤٠٪ قبارصة أترك، وبعد التوقيع تم الإعلان عن الاتفاق في وقت واحد في كل من أثينا وأنقره ونيقوسيا ولندن وكان ذلك في يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٩م.

وقبل كل هذه التطورات كان مكاريوس قد ذكر في أكثر من مناسبة وخصوصا مع المسؤولين اليونانيين أنه يفضل حل مشكلة قبرص باستقلال الجزيرة، وربما كانت بريطانيا تحس بنفس الشيء ذلك أن موقف الاتحاد السوفيتي ومشكلة برلين كانت ضاغطة، وقد حصلت بريطانيا على موافقة الولايات المتحدة الأمريكية وتأييد حلفائها في حلف شمال الأطلسي وكان الرأي العام البريطاني والصحافة البريطانية يمارسان ضغطا شديدا على الحكومة من أجل حل لمشكلة قبرص، بمعنى أن الظروف الدولية والإقليمية والمحلية كانت مهية للوصول إلى حل يرضى القبارصة وينهى القتال في تلك الجزيرة التي كانت دائما موضوع صراع وتنافس محلي ودولي.

وقد نفذ الاتفاق في ١٦ أغسطس سنة ١٩٦٠م وفى الوقت نفسه انتخب مكاريوس رئيسا لجمهورية قبرص وانتخب الدكتور فاضل كوتشوك نائبا له، وقبلت قبرص عضوا في رابطة الكومنولث في مارس ١٩٦١م وأصبحت العضو التاسع والتسعين في هيئة الأمم المتحدة، ويذكر القارئ الكريم أننا ذكرنا أن منظمة (أيوكا - أ) كان لها قائد عسكري يدعى قريفاش وهو يوناني وكان عسكريا مقاتلا في فترة حرب التحرير في اليونان أثناء الحرب العالمية الثانية ضد الإيطاليين والألمان، وما كادت ملامح الاتفاق تظهر حتى أعلن هذا أن لن يتوقف عن القتال من أجل الوحدة (اينوسيس) وأصدر بيانا بذلك المعنى في يوليو ١٩٦١م أي حتى قبل نفاذ الاتفاقيات

التي وقعت في لندن، ولذلك فهو يكون قد خرج عن الاتفاق وخالف نص المادة الثانية من معاهدة الضمان التي وقعت عليها الدولة التي ينتمي إليها والتي يريد توحيد قبرص معها، ونذكر أن النص يقول : (إن الدول الثلاث الموقعة على المعاهدة مجتمعة أو منفردة تحافظ على وضع الجزيرة وتمنع الوحدة أو التقسيم) وهذا النص صريح وواضح، وبعد بيان قريفاش أعلن مكاريوس ردا على البيان منددا بمن أسماهم الانتهازيين والذين لا يريدون الاستقرار للشعب القبرصي، ودعا القبارصة إلى الالتفات حول قيادته وعدم الاهتمام بما جاء في بيان قريفاش الذي يسعى إلى الشهرة والمصالح الشخصية، كذلك أبد فاضل كوتشوك زعيم القبارصة الأترك موقف مكاريوس ذلك وهذه أولى المشاكل التي واجهت معاهدات زيورخ ولندن ويتضح منها أن الوضع لن يستقر لأن هناك من يرفض ويخرج على الشرعية واتفاق الدول الثلاث.

ولأن الأسقف مكاريوس قد حاز على الأغلبية الساحقة في انتخابات رئاسة الجمهورية التي نافسه فيها مرشح قبرصي يوناني آخر هو السيد كلاريدس والد السيد قلافكوس كلاريدس رئيس جمهورية قبرص الحالي (١٩٩٦م) فإنه كان وثاقا من أنه سوف يتغلب على الجنرال المتمرد قريفاش على الرغم من أنه كان يدرك أن هناك بعض الأنصار لهذا الجنرال وهم يعيشون من الحرب ضد الإنجليز بدعوى العمل من أجل الوحدة مع دولة هي نفسها وقعت على معاهدة الضمان التي أشرنا إلى بندها الثاني الرافض للوحدة.

ومن المعروف أن مكاريوس كان قد اعترض على بعض بنود اتفاقية لندن ولكن الحكومة البريطانية أبلغته بأنه يجب أن يقبل بالاتفاقية كما هي أو أن يتحمل مسئولية فشل المباحثات، ورغم أنه كان يرى أن اتفاقية الضمان تعتبر تدخلا في شئون قبرص الداخلية كذلك فإن الصلاحيات التي أعطيت للأتراك جعلت الدستور غير قابل للتطبيق، إلا أنه بتفكير سياسي المدرك للأوضاع الدولية فقد قبل على أمل أن يحدث تفاهم بين أصحاب البلد الواحد والمصير الواحد.

وقبل الانتخابات وإعلان الاستقلال كانت قد جرت مفاوضات طويلة وصعبة

فيما يتعلق بالجانب الدستوري في اتفاق زيورخ ذلك أن كل طرف يرى فيه ما لا يراه الطرف الآخر وخصوصا في توزيع الاختصاصات والسلطات بين الرئيس ونائبيه، وبعد فترة تم التوصل إلى اتفاق نص على :

١ - بشأن الرئيس ونائبيه :

يكون رئيس الجمهورية رئيسا للدولة ويمثل البلاد في كل المحافل الرسمية ويوقع على الاتفاقيات والمعاهدات ووثائق الاعتماد، ويكون نائب الرئيس نائبا لرئيس الدولة وله الحق في حضور كل المهام كذلك له حق الاعتراض.

٢ - بشأن السلطات التنفيذية :

رئيس الجمهورية ونائبيه يتوليان السلطات التنفيذية يعاونهما مجلس وزراء يتكون من ٧ وزراء يونانيين يصدر بشأن تعيينهم قرار من رئيس الجمهورية و ٣ وزراء أتراك يعينهم نائب رئيس الجمهورية، وكانت مهام مجلس الوزراء تتمثل في إدارة الشؤون العامة للدولة والإشراف على إدارات الحكومة والشؤون الخارجية والأمن والدفاع والخدمات العامة التي تكون من اختصاص المجالس البلدية بكل طائفة، وقراراته تكون بالأغلبية ويجوز للرئيس أو نائبيه الاعتراض على القرارات وإعادتها إلى مجلس الوزراء للبحث فيها مرة ثانية ويمكن لهما رفض أو إلغاء القرارات التي تصدر عن مجلس الوزراء وتتعلق بالأمن أو الدفاع الوطني..

نلاحظ منذ البداية أن الاتفاقية التي تم التوصل إليها في زيورخ كانت موضع خلاف بين الطرفين، القبرصي اليوناني والقبرصي التركي، وأن الاتفاق الذي تم أيضا بين الطرفين في شأن تحديد الاختصاص جعل الخلاف أكثر بروزا ذلك أن ما يمكن أن يوافق عليه الرئيس قد يرفضه نائبه وغير ذلك.

وكان مكاريوس أول رئيس لجمهورية قبرص الفتية وكان عليه أن يكون في غاية الحذر ذلك أنها جمهورية هشة قامت منذ البداية على التناقض بين سكانها ولن تكون أصابع بريطانيا بعيدة عن اللعب في مصيرها، بدأ موعد الاستقلال في

منتصف ليل ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٩م وقد رفع العلم وأطلقت المدافع تحية لمولد الجمهورية، ووجه مكاريوس خطابا إلى الشعب القبرصي قال فيه :

(لقد أصبحت قبرص دولة مستقلة حرة بفضل جهود وتضحيات أبنائها وعلينا جميعا أن نتمسك بالاستقلال وأن نتحلى بالحكمة وضبط النفس وتقدير الموقف والمسؤولية حتى نتقدم جمهوريتنا وتزدهر، وعلينا جميعا أن نتعاون ونعمل لبناء المستقبل).

ومن قراءة كلمات مكاريوس القليلة يدرك أي إنسان أن رئيس هذه الجزيرة التي وضعتها الأقدار في مهب الريح، يعرف صعوبة الوضع وعظم المسؤولية، فبالرغم من الظروف المحلية والوضع الشاذ فإن هناك قاعدتين بريطانيتين كما أن هناك وضعاً جغرافيا يفرض كثيرا من المشاكل والتعقيدات خصوصا أن الوضع في منطقة الشرق الأوسط في الوقت الذي ولدت فيه جمهورية قبرص كان وضعاً مضطربا ولا بد أن ينعكس ما يجري في هذه المنطقة عليها، ومن المعلوم أن حذاء الجندي الإنجليزي الثقيلة تجثم على صدر الإنسان القبرصي منذ أكثر من تسعة عقود، أي منذ استأجرت بريطانيا الجزيرة من تركيا سنة ١٨٧٨م إذا استثنينا فترة الحكم الإنجليزي إبان عهد الملك ريتشارد قلب الأسد (وهي لم تكن طويلة إذ إنه باعها و لم يعرف قيمتها) ومن الغريب أن ينص على أن القاعدتين العسكريتين البريطانيتين في قبرص هما جزء من الأرض البريطانية، الشيء الذي يخالف كل قواعد القانون والاتفاقيات الدولية.

وصارت قبرص وجمهوريتها أمام تجربة غاية في التعقيد، فالطائفتان لم تنفقا على أي شيء ولم تتألفا إطلاقا وكتناهما تقصد الثقة في الأخرى كما أن الدولتين اللتين تنتمي إليهما الطائفتان متعاديتان على الرغم من أنهما عضوان في حلف واحد تحشده وتشرف عليه الولايات المتحدة الأمريكية وهو حلف شمال الأطلسي (الناتو) ولقد حدث الصدام بين المواطنين والخلاف بين القيادات قبل أن تبدأ المسيرة في الجمهورية الوليدة أي قبل مرور سنوات ثلاث، ويروى الأحداث مؤلف كتاب الصراعات العالية السيد (دونيلان) على الوجه التالي يقول :

في يوم ١٩ يونيو سنة ١٩٥٨م أعلنت الحكومة البريطانية خطة السبع سنوات، (الخطة الجديدة) وهي أن الجزيرة ستدار بواسطة مجلس يتكون من الحاكم وممثلين عن الحكومتين اليونانية والتركية ومن وزراء من الجاليتين القبرصيتين، التركية واليونانية ويكون لكل طائفة مجلس نواب، ولقد قبلت تركيا الخطة مع تعديلات طفيفة ورفضتها الحكومة اليونانية على أساس أنها أجلت الحكم الذاتي وأعطت سلطات للحكومة التركية في حكومة قبرص وهذا في الواقع (فيتو) على الوحدة، وعندما ظهر الوضع برزت فكرة الخروج من المأزق، ففي خريف سنة ١٩٥٨م بدأ مكاريوس يلعب في مناسبات خاصة للحكومة اليونانية أنه يريد حلا للمشكلة القبرصية بالاستقلال وكانت الحكومة اليونانية مهية لأن تصل إلى نفس النتيجة، وكان ذلك تمهيدا للاستقلال.

ويضيف المؤلف في مكان آخر :

في سنة ١٩٦١م وصل الاحتكام قمته عندما وضع ممثلو الطائفة القبرصية التركية في مجلس النواب (فيتو) على قانون الضرائب الجديد، وفي ديسمبر سنة ١٩٦٢م عندما عارض القبارصة اليونانيون استمرار حكومات البلديات المنفصلة، وإلى هنا كانت الحكومة المركزية وكذا المحلية قد عجزت تماما، وصار الطرفان يقيمان القوة المسلحة، وأخيرا في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٣م قدم الأسقف مكاريوس إلى الدكتور فاضل كوتشوك مذكرة تحوى ثلاثة عشر تعديلا مقترحا في الدستور وكان ذلك يستهدف قيام الدولة الواحدة مع ضمانات للأقلية التركية وكامل الحقوق التي أعطتها لهم اتفاقية لندن، وفي ١٦ ديسمبر أعلنت الحكومة التركية أن المقترحات غير مقبولة، وفي ٢٢ ديسمبر بدأ تبادل إطلاق النار^(١). كان فيه البوليس القبرصي يحاول تفتيش سيارة تركية، ولقد انتشر القتال على الفور وقام الرئيس مكاريوس ونائبه كوتشوك بتوجيه نداءات لإيقاف القتال دون جدوى، وفي يوم ١٤ ديسمبر طلب القبارصة الأتراك من الحكومة التركية المساعدة وقد ردت هذه أنها

(١) كتاب الصراعات الدولية، تأليف السيد دونيلان .

سوف تتدخل إذا لم يتوقف القتال وذلك بموجب نصوص اتفاقية الضمان، واستمر القتال من يوم ٢٠ إلى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٣م وسميت المعركة بمعركة الأيام الستة وبذلك حدث أول انفصال بين الطائفتين إذ استولى الأتراك على منطقة شمال نيقوسيا مع منطقة كايبرينيا وأقاموا حكما ذاتيا وخرجوا على الحكومة المركزية.. انتهى (الواقع أن الذي استولى عليه الأتراك في كايبرينيا إنما هو جزء فقط وليس المنطقة كلها في ذلك الوقت).

ولقد استمرت المناوشات والصدامات بين وقت وآخر من الطرفين في كل من نيقوسيا العاصمة وكوكينا والقديس ثيودورس وبافوس وهذه الأخيرة أبعد بلدة في الجزيرة إلى ناحية الغرب، وكانت قرى الجزيرة مختلطة السكان كاختلاط السكان في البلد الواحد وهكذا فقد حدث التقاتل بين البيوت وفي الشوارع، وفي الأول من شهر يناير ١٩٦٤م أعلن الرئيس مكاريوس أنه ينوى أن يلغى اتفاق لندن إلا أن الحكومة البريطانية تدخلت لإقناعه بغير صيغة الإعلان وقال إنه يرغب في الغائها ووافق على مباحثات تجري في لندن بين ممثلي الطائفتين تبدأ خلال منتصف شهر يناير ويحضرها ممثل عن الأمم المتحدة كمراقب إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى أي نتيجة إذ تمسك كل منهما بموقفه، وحدث قتال آخر في ليماسول وهنا هددت تركيا مرة أخرى بالتدخل إلا أن بريطانيا وافقت على عرض المشكلة على مجلس الأمن، كان ذلك في يوم ١٥ يناير سنة ١٩٦٤م، وفي ٤ مارس وافق مجلس الأمن بإجماع على مشروع تقدمت به الدول ذات العضوية غير الدائمة في المجلس يقضى بإرسال قوة أمن تابعة للأمم المتحدة وتعيين وسيط دولي، وكان القرار بشأن القوة الدولية لمدة ثلاثة أشهر إلا أنه استمر يمدد لفترات متتالية.

في هذا الوقت كان القبارصة الأتراك قد أقاموا حكما ذاتيا خاصا بهم وأصدروا قوانين خلاف القوانين السارية في الشطر الآخر من الجزيرة، على أن الحكومة المركزية لم تعترف بتلك الإجراءات، وأصدرت الأمم المتحدة العديد من القرارات وأجرت الكثير من المباحثات والاتصالات كذلك قام المسئولون من الطائفتين ببذل جهود توفيقية بحثا عن حلول لمشاكلهم ولكن جميع الجهود فشلت،

ورغم أن المفاوضات قد طالت لمدة سنوات فإن المسئولين الأتراك قد انسحبوا من الجانب القبرصي اليوناني، وزراء ونوابًا ومسؤولين آخرين.

وعندما تدخلت قوات حفظ السلام كان عليها في حالة الفوضى تلك أن ترسخ الأمر الواقع بحيث تحول بين الطائفتين وتمنع الصدام والتقاتل، وهكذا أقامت الحواجز ونقاط المراقبة وبذلك تقسمت المدن والقرى، ويلاحظ الزائر لقبرص أن الشارع في نيقوسيا العاصمة التي كان يفترض أن تدار منها شؤون الدولة الواحدة صار مقسومًا بين الطرفين هنا قبرصي يوناني وهناك قبرصي تركي وبينهما حاجز تابع للقوات الدولية ولا يمكن لأحدهما أن يتجاوز الحد الفاصل، وإذا حدث فإنه سيموت فوراً برصاص هذا الطرف أو ذاك، ولا يمكن لأحد أن يغير من هذا الواقع الذي يتعد كل يوم.

ولقد كانت قبرص قبل الاستقلال بلداً واحداً فصارت بعد الاستقلال اثنتين، والواقع أن ما حدث ويحدث ليس قاصراً على التناقص فقط أو الخلاف والاختلاف المحلي أو هو صراع بين طائفتين مختلفتين في الأصل والدين واللغة والتاريخ وإنما هو إضافة إلى هذا صراع بين قوى خارجية ومصالح أجنبية، إنها بريطانيا وتركيا واليونان ثم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (سابقاً) روسيا الآن، وغير هذه وتلك، والشيء الوحيد الذي لم تعرف أسبابه حتى الآن هو لماذا غير الأسقف مكاريوس موقفه، عندما كان في أثينا وقبل الاستقلال كذا قبل أن يصبح رئيساً كان يرى أن الحل الوحيد لمشكلة بلاده هو الاستقلال بمعنى أنه لم يعد مؤيداً للوحدة مع اليونان، وهذا يدل على أنه أدرك حقيقة الوضع ولم يرد لقبرص أن تقسم بين تركيا واليونان وربما بريطانيا لأنها لا بد أن تحتفظ بقواعدها العسكرية هناك، ولقد اختلف مع الضابط اليوناني قريفاً الذي قاد العمل العسكري أثناء فترة النضال ضد الإنجليز في قبرص، كذلك لا بد أنه اختلف مع تلك القوى المؤيدة لما عرف باسم (اينوسيس) أي الوحدة مع اليونان، وعلى الرغم من أن تلك القوى كانت مؤثرة في قبرص إلا أن مكاريوس كان له من الرصيد الشعبي ما يجعله قادراً على التقلب عليها، أسئلة كثيرة في هذا الشأن قد نعود إليها في مكان آخر من هذا الكتاب.

الفصل الرابع

الاستقلال وما بعده، أو اللعب بالبيضة والحجر

« الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه ».

من وصية المنصور لابنه

قبل أن نتحدث عن الاستقلال وما بعده من أحداث وتطورات لعله من المفيد أن نقدم للقارئ الكريم وصفاً لقبرص وموقعها، ذلك أنه ليس السمع كالعيان كما يقولون، ولقد أفاء الله علينا بنعمة السفر والتجوال فزرننا أغلب بقاع العالم، وتلك نعمة نحمدة عليها ونشكره.

تقع قبرص في زاوية من شرق البحر الأبيض المتوسط، يميل رأسها في اتجاه آسيا الصغرى بامتدادها الطولى بين الغرب والشرق، وهي من الناحية الجغرافية تنتمى إلى القارة الآسيوية وهي عرقياً ومناخياً ولغوياً تشترك مع آسيا وأوروبا، وربما اسمها كان قد جاء من اسم المعدن الثمين آئذ الذي اكتشفه واستثمره تجارياً الفينيقيون منذ آلاف السنين وهم الذين أقاموا على شواطئها المحطات التجارية، ولأنها كانت جميلة كوردة الربيع قدمها (يوليوس قيصر) هدية لامرأته الجميلة أيضاً (كليوباترا) واعتُرف لها بالسيادة (ماركو انتونيو) وزين جمالها (أغسطسوس) عندما أعيدت إلى روما ببناء تمثال الملكة (أفرودايت) هذا التمثال الذي كان قد هدمه الزلزال، واعتُق فيها الملك الروماني (سيرجيو يوليوس) الدين المسيحي.

ريبعها زاهر خلال شهرى فبراير ومارس بحيث تتحول إلى أرض خضراء مرصعة بالورود الرائعة الصفراء والحمراء والبنفسجية، شتاؤها قصير مريح خلال ديسمبر ومنتصف فبراير، حيث يطل المطر مدراراً ويقوم فلاحوها بحرق الأرض وزراعتها بمختلف الحبوب مستخدمين الآلات الحديثة بدلا من المحاريث القديمة التى كان يستعملها أجدادهم، وفى خريفها يجنون حبوب الزيتون وثمار الخروب، ومع دخول شهر مايو يبدأون فى الحصاد وهو موسم عمل دؤوب، وقبرص خصيبة

كانما فعلا حقيقة القول إن قطعة الخشب التي أهدتها الملكة (هيلين) للجزيرة والتي قيل إنها قطعة من الخشب الذي صلب عليه السيد المسيح وقد أبعدت هذه القطعة عن الجزيرة وإلى الأبد شبح الجفاف الذي كان يصيبها بين وقت وآخر، وهي جزيرة في البحر أهلها ذوو كرم وضيافة يجمعون بين أدب الغرب وأخلاق الشرق، تتألهيم وعاداتهم ضاربة في أعماق التاريخ، ومن شعور الحب نقول إنه شعب قبرصي فلا يجب أن يكون يونانيا ولا تركيا ذلك أن الأتراك القبارصة واليونانيين القبارصة الحاليين يمكن أن يكونوا خليطا من الأعراق والأجناس، ورغم أن اللغة التركية قد حافظ عليها الذين يسمون أنفسهم أتراكا، واللغة اليونانية حافظ عليها الذين يسمون أنفسهم يونانيين، فإن هؤلاء وأولئك قد اختلطوا بالفرانجة المصريين وبالفرس والروم والبيزنطيين والجنوبيين والعرب والأتراك، ومع ذلك فإنهم قبارصة في بلد واحد ولا بد أن يكون مصيرهم واحداً.. وهذا شيء يدركه كل من زار أو تعامل مع المواطنين القبارصة العاديين وناقشهم وأطلع على أحوالهم ولقد كنت أحد أولئك الذين عاشوا في قبرص لفترة من الزمن حيث كنت سفيرا لبلادي في قبرص على فترتين من الزمن بدأت الأولى سنة ١٩٧٣ م وهي الفترة القلقة جدا من تاريخ قبرص المعاصر، وكنت على اتصال وثيق مع الرئيس (مكاريس) الذي حبانى بمعاملة خاصة واهتمام كبير ربما لم يحدث بين سفير أجنبي ورئيس دولة، وذلك لعدة أسباب منها أنني أمثل بلدا صديقا فتح أبوابه على مصاريعها للتجارة والتعاملات المختلفة القبرصية وكانت أسواقه تستوعب أغلب المنتجات القبرصية حتى أنه في فترة قصيرة بلغ المرتبة الثانية في مستوى التجارة مع قبرص بعد المملكة المتحدة، ومنها أنني عرّيت لجيل فترة جمال عبد الناصر ونهوض الثورة الفلسطينية وكان الرئيس مكاريس يحمل الكثير من التقدير والإعجاب لجمال عبد الناصر والعطف على الشعب الفلسطيني إلى جانب التأييد لثورته الفتية، وفي خلال الفترتين تكلمنا رأيت وسمعت وشاركت في الكثير من الأمور والأحداث السياسية وإن لم يكن بالمستطاع الآن البوح بالمعلومات الحساسة جدا المتصلة بوضع قبرص والظروف التي جرت فيها ومنها الانقلاب العسكري سنة (١٩٧٤م) أسبابه ودوافعه

وأولئك الذين خططوا له أو وقفوا وراءه بتوفير المال والمعلومات ثم التأييد أو حتى المشاركة، كذلك كيف كان يفكر الرئيس مكاريس قبل الانقلاب وكيف تصرف بعده، وأذكر (وهذا ليس سرا) أن بلاده كانت السند القوي للثورة الفلسطينية ماديا ومعنويا وحتى بشريا، وأذكر بكل التقدير أن مكاريس عندما كانت تحدث بعض التعقيدات أو الأخطاء التي تمس أمن بلاده مباشرة لم يكن يتأخر في المساعدة وتجاوز الأخطاء والصفح عن أي عثرة إذا ما عرف أن ذلك يخدم القضية الفلسطينية العادلة وكان في أصعب المواقف وأكثرها إثارة يسأل هل هذا يخدم الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية؟ وعندما يسمع كلمة (نعم) يتخذ الإجراء والقرار الحاسم الجريء فوراً، ويمكنني أن أؤكد أن ما لا يقل عن ٧٥ ٪ من المساعدات للشعب الفلسطيني كانت تمر عبر قبرص وتحت سمع وبصر سلطاتها العسكرية والمدنية، وأعرف كذلك أن القادة الفلسطينيين يعلمون ذلك، وإنني إذ أكتب هذا لأرجو أن يذكره كل فلسطيني بل ربما كل عربي مقدراً للرئيس مكاريس والشعب القبرصي تلك المواقف تجاه قضيتهم العادلة ونضاله الدائم من أجل الحق والعدل والحرية. هذه لمحة كان لا بد منها قبل الحديث عن ولادة الدولة القبرصية، تلك الولادة التي كانت عسيرة سنة (١٩٦٠م) ذلك لأنها دولة نشأت في ظل حماية ثلاث دول هي (بريطانيا وتركيا واليونان) وقد جسدت تلك الحماية رمزيا بتواجد عسكري قوامه (١٥٠٠) جندي للدولتين أي نسبة ٦٠ ٪ لليونان (٩٥٠ جندياً) ونسبة ٤٠ ٪ لتركيا أي (٦٥٠ جندياً) وقاعدتان حريبتان لبريطانيا مساحتها ٩٩ ميلا مربعا علما بأن مساحة الجزيرة بكاملها هي (٣٥٧٢ ميلا مربعا) وتقرر أن يكون لهذه الدولة الوليدة رئيس من القبارصة اليونانيين (الأسقف مكاريس) ونائب له من القبارصة الأتراك الدكتور (فاضل كوتشوك) ووزعت النسبة في تشكيل مجلس الوزراء أي (الثلاث والتثلث) وفي المجلس التمثيلي كذلك (٣٠ - ١٥) وفي الجيش نفس النسبة، وتكونت إدارات محلية بنفس القاعدة والأسلوب مع مراعاة الواقع الاجتماعي والديني في الأحوال المدنية والتعليم، ونلاحظ أن دولة تقوم على توازن كهذا لا يسهل عليها أن تمارس سلطاتها دون قيود ولا منافسات أو تنازع فيها وفيما لا

مراعاة للنسبة فيه كالاقتصاد، ومع هذا فقد عاشت هذه الدولة رغم الصعوبات حتى سنة (١٩٧٤ م) ثم حدثت الأزمة السياسية التي تحياها الجزيرة حتى الآن، وربما إلى وقت طويل قادم ما لم يحدث وفاق دولي أو اختلال في توازن القوى الدولية وخصوصا بين (الأمريكان والسوفييت) القوتين الأعظم في العالم، وكان تفجر الأوضاع الأمنية والسياسية فيها بسبب التدخل الخارجي (اليوناني والتركي) وتأليب كل منهما للجانب الذي ينتمي إليه (القبرصى التركى والقبرصى اليونانى) كذلك فإن تضارب المصالح والسياسات الدولية قد لعب ويلعب دوراً كبيراً في تعقيد الأزمة القبرصية هذه، ومع استمرار المشاكل والتعقيدات والتجاذب ومرور الزمن تحت ظروف وواقع جديد لا يمكن أن يساعد في المستقبل على إيجاد حل لما تعانیه البلاد وأهلها، فمثلاً لقد نشأت دولة أخرى سميت باسم (الجمهورية القبرصية التركية الشمالية) أعلنت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٣ إعلاناً رسمياً، وصارت لهذه الدولة أجهزة وإدارات ووزراء ونواب وأحزاب.. إلخ، وعلى الرغم من أن العالم لم يعترف بها حتى الآن فيما عدا تركيا فإنها في الواقع موجودة بجيشها وشرطتها وما إلى ذلك، وحدث تزايد في الوجود العسكري التركي في الجانب التركي من الجزيرة وتزايد عسكري يوناني في الجانب اليوناني، ومع توقعات وتصورات مكتسبة من تجارب الماضي صار كل طرف يبحث عن أنواع من الأسلحة والمعدات كي يستخدمها ضد الطرف الآخر عندما يحين الوقت، وقبل أن ينشأ ما عرف بالدولة القبرصية الشمالية أي الجزء الخاص بالقبارصة الأتراك، وبعد القتال الضارى الذي حدث بعيد الاستقلال مباشرة أي خلال فترة الثلاث سنوات بعد الاستقلال، وكان المؤمل أن تتماثل الدولة القبرصية الموحدة والتي ولدت كما قلنا ولادة قيسرية نتيجة لما ذكره مكاريوس قبل الاستقلال لأن الرجل أدرك مبكراً أن الحل لمشكلة قبرص كما كان قد قال (يتمثل في الاستقلال) وقد جرت مباحثات ومفاوضات لكنها جميعاً لم ينتج عنها إلا المزيد من الخلاف، ومما يرسخ التقسيم أنه قد حدث في أحد تلك الاتفاقات الموافقة على انتقال المواطنين كل إلى منطقته أي أن ينتقل الأتراك إلى المناطق التركية واليونانيون إلى المناطق اليونانية (ربما رغبة في التقليل من

الحساسيات أو التصادم، لكنها في الواقع كلمة حق أريد بها باطل) ولقد حاول الرئيس مكاريوس بعد الاستقلال أن يتغلب على المشاكل التي كانت كامنة في الاتفاقيات التي وقعت قبيل الاستقلال على الرغم من أنه لم يستطع الاعتراض عليها قبل التوقيع لأنه كان يعرف أن تلك الإجراءات قد ميزت بين المواطنين القبارصة أي بين القبرصى التركى والقبرصى اليونانى وبذلك خلقت واقعا جديداً، وإن لم يتضح أنه قد اعترض على اتفاقية الضمان الثلاثى وهى أخطر المعاهدات الثلاث ربما أيضاً لأنه اعتقد أن بريطانيا سوف تكون في مواقفها أقرب إلى اليونان منها إلى تركيا على اعتبار أن اليونان دولة أوروبية جغرافياً ومسيحية دينياً (نقول ربما) وقد تساعد على تغنت النظام التركى عسكرياً كان أو مدنياً (سيجد القارئ نصوص تلك الاتفاقيات في ملحقات هذا الكتاب) وعمل الرئيس مكاريوس بداية على توثيق علاقات قبرص بدول عدم الانحياز حيث كانت حركة عدم الانحياز ودولها تلعب في ذلك الوقت دوراً هاماً في السياسة الدولية خصوصاً أن سياسة الاحتواء كانت على أشدها بين الغرب والشرق وكان الصراع شديداً بين الطرفين (ربما يمكن القول إنه كان بين العقيدة الشيوعية والعقيدة الرأسمالية) وهكذا عمل مكاريوس على إدخال بلاده في مجموعة دول عدم الانحياز لإبعادها عن التجاذب الدولى وهى في بداية نموها وتحقيق سيادتها واستقلالها، ولعله يمكن القول إن اهتمامه بالسياسة الداخلية كان أقل من اهتمامه بالسياسة الخارجية ولذلك فإن قوى الوحدة (الأيونيسيس) في الداخل كانت تعمل بنشاط (وهو الشعار التي رفعته جماعة الجنرال قريفاش رغبة في تحقيق الوحدة مع اليونان) وهو الشيء الذي بعث الشك والخوف لدى الطرف الآخر (الجانب التركى) بمعنى أنه إذا كان القبارصة اليونانيون يسعون إلى الاتحاد أو الوحدة مع اليونان فلماذا لا يسعى القبارصة الأتراك للوحدة مع تركيا؟ وكان نائب الرئيس الدكتور فاضل كوتشوك يمارس بشكل متعطر حق الاعتراض الذي منحه له اتفاق الاستقلال ودستور البلاد وقد امتد ذلك إلى الوزراء والنواب الأتراك الذين يشاركون في الحكم وبذلك فإن الأرض كانت مهياة وممهدة لأى حدث وفي أى وقت (وتلك واحدة من خبث الإنجليز الذين

يزرعون القنابل الموقوتة في أي مكان وجدوا فيه) وكان الرئيس مكاريوس يود أن يوطد علاقات بلاده مع تلك الدول التي كانت تساعد قبرص أثناء فترة نضال شعبها من أجل الاستقلال، مثل مصر، بينما كان نائبه يرى عكس ذلك تماما بل إنه لم يكن يوافق على سياسة عدم الانحياز، ومجمل القول إن السفينة كانت تحت قيادة ثائية ومن هنا فإنها لا يمكن أن تصل إلى بر الأمان على ذلك الشكل، ولقد حدث الانفجار وتأججت النار التي كانت تحت الرماد، وتأهبت كل الأطراف الخارجية صاحبة المصالح لتقديم المساعدة والتدخل المباشر إذا لزم الأمر، فتركيا ترى أن الأتراك في خطر لأنهم أقلية وهي ملزمة بحمايتهم عرقيا ودينيا وكذلك طبقا لنصوص معاهدة الضمان التي وقعت عليها مع بريطانيا واليونان، واليونان كانت تجد نفسها ملزمة بالوقوف إلى جانب القبارصة اليونانيين لأنهم يقولون إنها البلد (الأم) وكانوا ومازالوا يرفعون علمها قبل العلم القبرصي وينتظرون الساعة الموعودة للوحدة معها، أما الضامن الثالث أي بريطانيا وهي التي تحرك الخيوط من طرف خفى فقد كانت تتربع مطمئنة في قاعدتين عسكريتين لها في البلاد، كذلك كانت الصحف الغربية والأمريكية بشكل خاص تكتب بين وقت وآخر عن الثروات النفطية الهائلة في منطقة بحر (إيجا) وهذه مناطق بحرية متنازع عليها بين تركيا واليونان وكلما علت أصوات الإعلام اشتد الاستعداد وأثير الانتباه في البلدين لأنه بسبب الخلاف لا يمكن لأى منهما أن يسمح للآخر باستغلال تلك المناطق، وهجأة حدث الانقلاب العسكري في اليونان خلال شهر أبريل سنة ١٩٦٧م وكان يقود ذلك الانقلاب عقدا جيش لم يعرف لهم في ذلك الوقت أى اتجاه أو لون سياسى، ومن العادة أن أصوات العسكريين أكثر من أعمالهم وهكذا بدأ الضجيج في أثينا ووجدا صدها الهائل في نيقوسيا، وقبل ذلك الانقلاب كانت قبرص قد تزودت بالعديد من الضباط اليونانيين من أجل تدريب الحرس الوطنى القبرصى (كما قيل) أى أن وجودا عسكريا محسوسا من داخل الوحدات النظامية القبرصية كان منظورا، وقد احتفل أولئك الضباط بحدوث الانقلاب في أثينا رغم أنهم يجب أن يكونوا خاضعين لسلطة الحكومة القبرصية لا ما يحدث في بلادهم الأصلية وكان ذلك قد أعطى مؤشرا خطيرا وملحوظا لدى الجانب التركى في قبرص وأنقرة.

وبعد الانقلاب اليونانى ساد الاعتقاد بأن هؤلاء العسكر قد يرغبون في تسوية سريعة لمعضلة قبرص تحقق نوعا من الدعم الشعبى لهم في أثينا (التي ربما لم يقبل مواطنوها إلا على مضض ذلك الانقلاب لأن المعروف عن الإغريق أنهم أهل الديمقراطية، في الماضى على الأقل) دخل العسكر الذين قاموا بالانقلاب في مباحثات لم ينتج عنها شيء، وفي شهر أكتوبر، أى بعد حوالى ستة أشهر على انقلابهم أعلنوا أنهم يفضلون وحدة قبرص مع اليونان، وبعد هذا الإعلان مباشرة أي خلال شهر نوفمبر حدث هجوم مسلح من طرف القبارصة اليونانيين (كما قيل) على مركز شرطة قبرصى تركى في (أيوس ثيودوروس) وهكذا دخلت أزمة قبرص فجأة في مأزق جديد، ولقد ارتبط ذلك الحادث بإعلان العسكريين ذاك في أثينا، أي أنه كما لو كان موعزا به لتجسير الوضع، وأعلنت تركيا أنها ستحل مشكلة قبرص حالا نهائيا، وهذا يعنى أنها تلمح باستخدام القوة المسلحة، ومن هنا بدأت الاستعدادات العسكرية في اليونان وتركيا، وقد وجد الانقلابيون في أثينا فرصة يتعلقون بها ويشغلون بها الناس في اليونان بحيث يتوارى مطلب الديمقراطية التي تؤرق العسكر في كل مكان ناهيك عن اليونان نفسها، وكذلك الحال في تركيا التي تعاني الكثير من المشاكل الداخلية الاقتصادية والسياسية والأمنية وهي في حاجة إلى ما يصرف النظر عن تلك المشاكل، ومن المعروف أن الجيش التركى يلعب دورا أساسيا في السياسة التركية منذ الانقلاب الذى قام به مصطفى أتاتورك خلال الربع الأول من القرن العشرين بمعنى أن الأزمة في هذه البلدان وضعت بين أيدي العسكر في كل من اليونان وتركيا، وبقيت قبرص تبحث عن مخرج فهي بالتأكيد ستكون الضحية في أى صراع عسكرى يحدث بين البلدين في حين أن بريطانيا كانت تنظر بنصف عين لأنها تدرك أن أغلب الانقلابات العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية صارت من صنع حليفتها القوية (الولايات المتحدة الأمريكية) ولابد أن وراء الانقلاب العسكرى اليونانى أزمت قادمة وهي لا يهمها في قبرص شيء غير قواعدها العسكرية التي أصبحت في نفس الوقت أمريكية أيضا حيث إن بريطانيا

وافقت من زمن على استخدام هذه القواعد بواسطة طائرات (يو ٢) الأمريكية التي تقوم بالتجسس على منطقة الشرق الأوسط وجنوب الاتحاد السوفيتي.

وفى أثناء هذه الأزمة أعلنت تركيا أنها أرسلت سفينة أبحاث إلى منطقة بحر (إيجا) وأنها ستبدأ التنقيب عن النفط هناك وفى نفس الوقت ردت أثينا أنها لن تسمح بذلك لأن تلك الجزر تقع فى الأراضي اليونانية وإن كانت فى البحر وبذلك فإن السيادة عليها لليونان، والجزر هى (غاليبولى وسامتراكى وأميروس وتندوس ولىنوس وطاشور) والجزر هذه تحاصر مدخل بحر مرمرية من الجانب الغربى قرب الدردنيل، ولعله من المفيد أن نعرض بالقارئ الكريم على اليونان وتركيا بهذه المنطقة من البحر الأبيض المتوسط وتحديدًا شرقى هذا البحر، فقبل ثورة اليونان التى عرفت باسم ثورة الإغريق سنة ١٨٢٢ م ظهر ما عرف فى المصطلحات السياسية (بالمسألة الشرقية) وقد انعقد لها مؤتمر فى (فيينا) سنة ١٨١٥ م بحث فيه موضوع المسألة الشرقية تلك ووضع مضيقى الدردنيل والبسفور على ضوء هزيمة نابليون أمام الحلفاء فى موقعة (واترلو) وكان الغرض بطبيعة الحال وكالعادة على إثر أى حرب وضع خريطة جديدة لأوروبا، وكان قيصر روسيا فى ذلك الوقت (الإسكندر الأول) يرى أنه مبعوث العناية الإلهية للقضاء على نابليون، ولم يكن يرغب فى تدخل الدول الأوروبية فى شئون تركيا أو مستقبل الدولة العثمانية رغم ما بينها وبين بلاده من مشاكل وما حدث من حروب، ذلك أن هذه المسألة إذا صدرت بشأنها قرارات ربما تحد من طموحات روسيا فيها وبالتالي قرر أن يقف ضد أى ضمانات يحاول مؤتمر فيينا أن يقرها، وكان أحد بنود جدول أعمال المؤتمر موضوعًا يقول: (صيانة حقوق الملوك وأصحاب الحقوق الشرعية ضد الثورات) ولذلك فإن وضع تركيا لأبد أن يبقى معلقًا، كذلك فإن تركيا ما كان لها أن تشارك فى مؤتمر يقوم على أساس الإخاء المسيحى ويتسمى باسم (التحالف المقدس) ولذلك بقيت مشكلة المضائق دون بحث أو ضمانات، وكانت دولة البحر الأولى (بريطانيا) فى ذلك الوقت تسيطر على مدخل البحر الأبيض المتوسط من الغرب (جبل طارق) وأقر لها مؤتمر فيينا حقها فى الاستيلاء على جزيرة مالطا، وبذلك أوجدت لأساطيلها محطة فى الطريق إلى

الشرق، وبعدها استولت على جزر (الأيونيان) وهى (زنتة وكورفو وأفالونيا) بحيث تكون إضافة إلى سيطرتها على البحر الأبيض مطلة على منطقة البلقان التى تمر بالأحداث والتطورات، وبعد ذلك قامت الثورة الإغريقية التى كانت ربما بمساعدة وتأييد أو على الأقل تشجيع بريطانيا سنة ١٨٢٢ م ونظرا لما كان يتوفر للإغريق من إمكانيات بحرية ومساعدات أوروبية، ونظرا للفوضى التى كانت تسود الوضع العثماني سيطر الإغريق على منطقة بحر (إيجا) حيث هزموا القوات البحرية التركية مما جعل السلطان محمود الثانى يلجأ إلى طلب مساعدة والى مصر عندما أدرك أن أوروبا المسيحية تقف مع الإغريق، وبتدخل مصر تغير الوضع تماما وكان ذلك سنة ١٨٢٤ م إذ بتلك الحملة تغلب الأتراك على الثوار الإغريق واحتلوا جزيرة (كريت) وبعض المناطق الأخرى، ولقد انحصر الإغريق فى بحر إيجا وهنا تدخلت الدول الأوروبية وعلى رأسها روسيا ودعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر فى لندن من أجل إيقاف الحرب بين تركيا واليونان، وأرادت بريطانيا أن تظهر الحرب على أنها حرب بين المسيحية والإسلام (مثلما تعمل الولايات المتحدة الأمريكية فى الوقت الحاضر) واجتمعت الدول الثلاث (بريطانيا وفرنسا وروسيا) فى مؤتمر لندن سنة ١٨٢٧م لوقف الحرب ومنح اليونان حق الاستقلال الذاتى، ولقد قرروا أنه إذا امتنعت إحدى الدولتين المتحاربتين عن إيقاف الحرب تدخلت دول مؤتمر لندن بالقوة، ولذلك تشكلت قوة بحرية طبقا لما عرف بمعاهدة لندن بقيادة أمير البحر البريطانى (كندنجتون) وكانت النمسا قد امتنعت عن الاشتراك مع هذه الدول، وامتنعت تركيا عن الالتزام بقرارات مؤتمر لندن وبذلك دخل أسطول تلك الدول خليج (نوفارين) واستخدم القائد البريطانى القوة فورًا وقيل إن ذلك حدث نتيجة سوء فهم، لكن سوء الفهم ذاك دمر الأسطول المصرى فى (نوفارين) سنة ١٨٢٧ م إذ قضى على أغلب السفن المصرية والتركية خلال ساعات، وعلى ضوء هذا التطور دعا سلطان تركيا جميع المسلمين إلى الجهاد ضد روسيا، ولهذا بدأت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٢٩ ، ولكن الروس هذه المرة تقدموا فى هذه الحرب وهددوا القسطنطينية نفسها مما دعا السلطان إلى طلب الصلح، وقبل مقررات مؤتمر لندن

بكل شروطها واعترف باستقلال اليونان، وسبحان الله فإن أحداث التاريخ تكرر نفسها أو يكررها أولئك الذين صنعوها فما نحن نرى بريطانيا وفرنسا قد كررتا نفس الموقف ونفس الحيلة بعد مرور قرابة قرن ونصف القرن من ذلك التاريخ، فقد حدث أنه سنة ١٩٥٦ م عندما اعتدت إسرائيل على أراضى مصر أعلنت أنها تطلبان من الطرفين المتقاتلين إيقاف الحرب وإن لم يحدث ذلك تدخلتا بالقوة. ومع الفارق في الزمن والفارق بين إسرائيل واليونان لأننا لا ندين اليونان بشيء مثل العدوان، فإن بريطانيا وفرنسا بعد أن تأمرتا مع إسرائيل بترتيب مسبق وعندما قامت هذه بالغزو والاحتلال طلبتا من المعتدى عليه أن يوقف الحرب وإن لم يفعل تدخلتا بالقوة لأنهما تحرصان على سلامة الملاحة في قناة السويس وكانتا تعرفان تماما أن المعتدى عليه لا يمكنه إيقاف الحرب إذ كانت أساطيلهما تمخر عباب البحر للمشاركة في العدوان مع إسرائيل، هكذا هو منطق القوة !!

ظهرت اليونان بعد أن استقلت كقوة بحرية جديدة لها شأن في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط وصارت تناوش تركيا لما بينهما من عداة قديم بينما تتعاون مع بريطانيا وفرنسا، وحدث أن تصاهرت الأستراتان اليونانية والإنجليزية وبذلك تنازلت بريطانيا لليونان عن جزر (الأيونيان) سنة ١٨٦٣م وكانت المناسبة تولى الأمير الدنماركى (جورج) عرش اليونان وكان هذا الأمير شقيق زوجة ولى العهد البريطانى في ذلك الوقت والذي صار فيما بعد ملكا على بريطانيا وهو الملك (إدوارد السابع) وتمكنت اليونان سنة ١٩٠٨ م من ضم جزيرة (كريت) وبعد ذلك بعدة سنوات أى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ضمت بعض الجزر فى بحر (إيجيا) وكانت تتطلع إلى جزر أخرى، منها مثلاً جزر (قبرص والدوديكانيز) وبعد الحرب العالمية الثانية ضمت جزر (الدوديكانيز) وتطلعت إلى أن تلحق فيما بعد جزيرة قبرص وربما أخرت ذلك نظرا لوجود جالية تركية فى هذه الجزيرة وربما أيضا رغبة فى عدم إثارة تركيا فى ظلف لعله غير مناسب.

ومن غرائب الأمور أن روسيا التى كانت قد اقتضت مع بريطانيا وفرنسا بأن

حرب سنة ١٨٢٤ م بين تركيا واليونان هى حرب بين الإسلام والمسيحية وكانت قد اشتركت فى مؤتمر لندن وقوة التحالف الغربية التى قررها ذلك المؤتمر عادت فتحالفت مع السلطان وتركيا عندما وقعت الحرب بين تركيا ومصر سنة ١٨٢٢ م وكان السلطان قد طلب مساعدة بريطانيا عندما اجتازت جيوش مصر جبال (طوروس) وهزمت الأتراك فى معركة (قونية) واتجهت بقيادة (إبراهيم باشا) قاصدة القسطنطينية إلا أن بريطانيا هذه المرة قد امتنعت عن تلبية طلب السلطان لأسباب لم تعرف فى ذلك الوقت (والإنجليز لا يفوتون فرصة سانحة) فطلب السلطان مساعدة روسيا التى سارعت إلى تلبية طلبه وأرسلت القوات، ولقد عرف فيما بعد أن روسيا وافقت على المساعدة مقابل موافقة السلطان بموجب معاهدة سرية سميت (معاهدة هنكيار - أسكس) وقد وقعت سنة ١٨٢٣ م والتى بموجبها وافق السلطان على أنه فى مقابل المساعدة الحربية التى وافق عليها القيصر أن يقوم بإغلاق مضيق (الدردنيل) في وجه السفن الحربية لجميع الدول ويذكر أنه حدد (الدردنيل) فقط وهذا يعنى أنه يغلق المضيق من جهة الغرب بينما يبقى بحر (مرمرة) مفتوحا من جهة الشرق أى أن يبقى (اليسفور) مفتوحا كأنما هناك موافقة ضمنية على دخول الأساطيل الروسية، ورغم أن الدول الغربية (فرنسا وبريطانيا) قد احتجتا على هذه المعاهدة عندما عرفتا بما جاء فيها فإنه لم يكن هنالك ما تقومون به آنئذ، ومن هنا نتبين أن المصالح وليست الأديان هى التى تحكم العلاقات بين الدول غالبا.

وقبل الحرب العالمية الثانية وفى مؤتمر (لوزان سنة ١٩٢٣) أقر المؤتمر حق تركيا فى السيطرة على المضائق وعلى جزيرتين من جزر بحر (إيجيا) العديدة وهما جزيرتا (تندوس وأمبروس) المواجهتان لبحر مرمرة من ناحية الغرب كما منح نفس الحق لليونان فى استعمال جزيرتين أخريين من هذه الجزر وهما (لنوس وسامتراكي) وهذه أيضا قريبة من مدخل الدردنيل وقبل هذا الوقت عندما سمح مؤتمر (منترو سنة ١٩٢٦م) لتركيا بأن تقوم بتحصين المضائق وتسليحها أقامت تركيا فى نفس الوقت تحصينات ووضعت معمدات عسكرية على الجزيرتين

المذكورتين، ولم تفعل اليونان نفس الشيء في الجزيرتين الأخريين نظرا لأن العلاقات بين البلدين كانت ممتازة وكان هناك وفاق بينهما، ونرى أنه حتى وقتنا الحاضر هنالك خلاف قائم بين البلدين وكلاهما يدعى الحق في هذه الجزر وكلما أريد لهما أن تختلفا أشير مباشرة أو غير مباشرة إلى هذه الجزر في بحر إيجه، وهذا حدث تماما بعد الانقلاب العسكري الذي حدث في اليونان سنة ١٩٦٧م، وعندما أرسلت تركيا سفينة الاستكشاف وتحدثت الصحف الأمريكية عن الثروة البترولية الهائلة تحت مياه بحر إيجه، وبعد أن أعلنت تركيا عن إرسال تلك السفينة كأنها تبلغ اليونان بنواياها أعلن العسكريون في اليونان أنهم لن يسمحوا بالاعتداء على تلك الجزر أو استغلالها وقد عبأوا قواتهم وحشدوها هناك، وتوترت العلاقات بين الدولتين (تركيا واليونان) وكلتاهما تهدد باستخدام القوة لمنع الأخرى من البقاء أو الاستغلال وكان القضية وليدة الساعة والتو وأن النفط على وجه الأرض وأن الكرامة الوطنية قد جرححت في هذا الطرف أو ذاك !!

وفي قبرص وصلت معلومات إلى الرئيس مكاريوس تقول إن ضباط الحرس الوطني القبرصي يتآمرون وسوف يطيحون بنظامه، ومن المعروف أن أولئك الضباط هم من اليونان وإذا كان الانقلاب في اليونان قد حدث فلماذا لا يحدث في قبرص بحيث يكون هناك نظامان عسكريان يمكن أن يلتقيا ويقيما الوحدة المنشودة ؟

وهنا أعلن الرئيس مكاريوس أنه سيطرد جميع الضباط اليونانيين وقيل إنه وجه مذكرة إلى النظام العسكري الجديد في أثينا يطلب فيها سحب أولئك الضباط وأن هؤلاء الذين يقبضون على نظام الحكم في اليونان قد رفضوا الطلب وردوا باستعلاء قائلين إنه لا يحق لمكاريوس أن يطرد هؤلاء الضباط أو يتخذ أى إجراء قبل موافقة أثينا ذلك أن إرسال الضباط اليونانيين تم على أساس اتفاق بين البلدين ولا يمكن طردهم أو إنهاء عملهم إلا باتفاق مائل، وكان هذا الرد من طرف أثينا إهانة لرئيس بلد مستقل وخارج عن اللياقة الدبلوماسية، ولابد أن سبب ذلك اعتقادهم بأن قبرص تابعة بالضرورة لليونان، لكن الرئيس مكاريوس أصّر على

رغبته ولابد من تنفيذ قراره وهو الرجل القوي الذي يجمع بين الدين والدنيا (أى أنه رئيس الكنيسة والدولة في وقت واحد) ويذكر أن المعلومات عن التآمر التي سربت إلى المخابرات القبرصية وبالتالي إلى الرئيس مكاريوس قد جاءت عن طريق مخابرات غربية (ربما المخابرات المركزية الأمريكية) ولابد أن الولايات المتحدة صاحبة مصلحة في إحداث تلك المشاكل وما كان يمكن أن تتطوع بالمعلومات إذا صح أنها هي التي سربتتها إلا لغرض وهدف مرغوبين ومتوقعين، ومن المؤكد أن مكاريوس قد أراد أن يتصرف كرئيس لبلد مستقل وذلك حقه بينما كان العسكريون في أثينا يرون أن ذلك البلد ليس إلا جزءا من اليونان وإن كان اسمه (جمهورية قبرص) وكأن الحلم قد تحقق فتوحدت الجزيرة مع اليونان بجرة قلم وحسب رغبة قريفاً ودراميكية انقلاب العسكر على النظام الديمقراطي في اليونان.

كانت أخبار الترتيبات للانقلاب على نظام مكاريوس قد تسربت أو هي سُرِبت إلى أغلب الدوائر ومنها البعثات الدبلوماسية في نيقوسيا وقد تحدث البعض مع الرئيس مكاريوس بطرق غير مباشرة في هذا الشأن ولكنه كان لا يصدق أنه يمكن لأحد أن يتجرأ على القيام بعمل من ذلك النوع لأن شعبيته غير قابلة للشك أو المناقشة (وحقيقة أن شعبيته كانت طاغية وحبه عميقاً في قلوب القبارصة اليونانيين) وإن كان موقفه من تلك الأخبار يعد نوعاً من الكبرياء لأن القوى التي تدبر الانقلاب أقوى وأكبر مما يتوفر لشعبه حتى لو افترضنا أن الشعب يمكن أن يقوم بأى شيء إذا ما رفعت البنادق وانتهكت الشرعية ودقّت الأجراس، وقد تحدثت مظاهرات أو احتجاج وذلك في الواقع موقف عاطفى لا يجدى نفعاً، وليس مستغرباً أن تتغلب قوى الظلام التي تسخر عادة من طرف أجهزة وقوى أجنبية، وما حدث بين تركيا واليونان في شأن منطقة بحر إيجه كتهية للانقلاب في قبرص حدث مثله كثير في السابق وحدث مثله في اللاحق، من غرائب الأمور أن السيناريو يكاد أن يكون واحداً ولندلل على ما حدث في قبرص ولعبة الكراسى الموسيقية التي تقوم بها أجهزة المخابرات في الدول الكبرى، وهنا نذكر مثالا قريبا منا شبيهاً بما حدث في منطقتنا، جاء بعد أحداث قبرص بعدة سنوات وفي مكان بعيد وإن كان بنفس

الأسلوب، ذلك هو انقلاب الأرجنتين وقصة جزر المالفيناس التي عرفت باسم (جزر الفولكلاند) أى أن الحدث بعيد فى جنوب الأطلسى ولكن تغييرات كانت لازمة هناك، وهذه قصتها كما يلي:

كانت تلك الجزر قد ضمتها بريطانيا إليها سنة ١٨٣٣م واعتبرتها جزءا من أراضيها ونقلت إليها بعض الناس ليستوطنوها وهى فى الواقع أراض أرجنتينية، ومنذ ذلك الوقت نظر إليها على أساس أنها جزر متنازع عليها فى شأن السيادة بين الأرجنتين وبريطانيا كحالة جزر بحر إيجا تماما، وجرت العديد من اللقاءات والمفاوضات بين الطرفين بإشراف الأمم المتحدة وبدونها ولم يحدث أى تغيير فى الموقف البريطانى يسمح بموجبها للأرجنتين بإقامة اتصال مع تلك الجزر وتقديم بعض الخدمات وإنشاء مطار مدنى، وفجأة بدأت وسائل الإعلام الغربية تتحدث عن الثروات البترولية فى جزر المالفيناس وما حولها وكان ذلك سنة ١٩٧٠م، وفى تقرير حول مصادر الطاقة والنفط فى العالم قدم إلى مجلس الكونجرس الأمريكى خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٨٠م أشير فيه إلى أن المنطقة الوحيدة التي تتوفر فيها كميات هائلة من النفط خارج منطقة (أوبيك) وخارج المنطقة التي تقع تحت سيطرة الدول الشيوعية هي (حوض المالفيناس) الواقع بين الأرجنتين وجزر الفولكلاند، الشيء الذى لفت انتباه السلطات الأرجنتينية فأصدرت إعلانا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧٥م يحرم على أى دولة أجنبية البحث أو استغلال ثروات المنطقة التي تعتبرها جزءا من الجرف القارى الأرجنتيني (جاء ذلك بعد الأخبار التي نشرها الإعلام الغربى وقيل التقرير الذى قدم إلى الكونجرس) ومباشرة بعد ذلك أعلنت الحكومة البريطانية أنها قررت إرسال بعثة استكشاف إلى جزر المالفيناس برئاسة اللورد (شاكلتون) وكان ذلك فى ٣ يناير سنة ١٩٧٦م كان الحكم عسكريا فى الأرجنتين وهو مكروه من طرف الشعب هناك ومن هنا صار يبحث عن مبرر لعمل عسكري قد يحقق به بعض المجد وإلهاء الناس (وربما تكون جهة ما قد أوعزت له بذلك على اعتبار أن بريطانيا سوف لن ترد بشيء غير الاحتجاج) فسير العسكر حملة مسلحة لاحتلال جزر الفولكلاند وكان ذلك فى ٢ أبريل سنة ١٩٨٢م وكانت بريطانيا وهى الدولة التي لم

تكن تغرب عنها الشمس أيام كانت إمبراطورية قد اعتبرت ذلك العمل عدوانا مسلحا عليها وهو إهانة لدولة كبرى وسابقة خطيرة فى تاريخ العلاقات الدولية لا يمكن أن تسمح بها، وهنا قررت السيدة الحديدي (رئيسة وزراء بريطانيا آنئذ تاتشر) تأديب أولئك العسكر، (وربما كانت تريد التأكيد فعلا على أنها سيدة حديدي) وهكذا حدث، فقامت السفن والطائرات البريطانية بتدمير قوات الأرجنتين وهزيمة ذلك الجيش حيث أعادت الوضع إلى ما كان عليه فى السابق، وكانت النتيجة أن سقط الحكم العسكري الأرجنتيني مباشرة وعانت الخزينة البريطانية عجزا ماليا لفترة طويلة وإن ثبت أن قم الأسد مازالت به أسنان .. سيناريو واحد لم يختلف فيه إلا الزمان والمكان، ونعود إلى قبرص وأحوالها المضطربة .. الانقلاب العسكري والإطاحة بنظام الرئيس مكاريوس عند قرابة الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم ١٥ يوليو ١٩٧٤م كانت جميع الاتصالات مع قبرص مقطوعة وتوقفت المواصلات الجوية والبحرية مع الجزيرة وبذلك تكون قد عزلت تماما عن العالم وربما كان هذا أول انقلاب يحدث فى مثل هذا التوقيت، ذلك أن الانقلابيين فى العالم الثالث (وهو مسرح مغامرات العسكر) عادة يخرجون مع انبلاج الفجر أو يتحركون بالليل، وكان الرئيس مكاريوس بلباسه الأسود تتدلى على صدره صلبان الأسقفية وهو يجلس على مقعده وراء طاولة صغيرة بالقصر الجمهورى فى نيقوسيا، هذا المكتب الذى يستعمله عادة ويستقبل فيه كبار الزوار والسفراء، ويكون قد خرج مبكرا من الكاتدرائية التي ينام فيها ساعتين تقريبا، وفجأة سمع دوى الانفجارات وأطلقت مدافع الدبابات على القصر الجمهورى وقد ارتفعت أعمدة الدخان فى نفس الوقت من نقاط ومراكز الشرطة كما فى القصر وإدارة المخابرات، ومكاريوس ببساطته رجل دين لا يستخدم الكثير من الحراس بينما لا يقفل باب البوابة الرئيسية فى القصر إلا نادرا، وهذا القصر يقع على ريوه عالية محاطة بغابة من أشجار السنوبر التي تكاد تخفى مباني الرئاسة التي يسكنها بعض الوزراء وكبار المسؤولين، والمبانى جميعا بما فيها القصر الجمهورى قديمة ومقامة على طريقة البناء الإنجليزي المقوس، ولقد لاحظ المارة سحب الدخان تخرج من بين الأشجار

بينما كانت بعض الدبابات تطلق قنابلها والعربات المصفحة تصطف على الطريق، وهؤلاء الناس لم يألّفوا منظر التجمعات العسكرية وليس لهم عهد بالانقلابات التي تحدث صباح كل يوم في العالم الثالث مثل أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، ولهذا كان هناك من يقف متفرجا دون أن يشعر بخوف أو قلق.

أعلن عن قيام الانقلاب وعن مقتل الرئيس مكاريوس وتعيين السيد (سامبسون) رئيسا لقبرص وهذا كان صحفيا رأس صحيفة تسمى (المعركة) وهو كذلك مالك هذه الصحيفة وهي يومية مناصرة لمنظمة (أيوكا - أ) ثم صارت مناصرة للمنظمة الجديدة التي كانت قد ظهرت عندما قامت ببعض الأعمال العسكرية وتسمت باسم (أيوكا - ب) أي الثانية، واتضح منذ اللحظة الأولى أن الذين قاموا بالانقلاب هم الضباط اليونانيون الذين يديرون أفراد الحرس الوطني القبرصي، ولم تكن هناك مقاومة تذكر ولقد لجأ رؤساء الأحزاب وبعض الوزراء ومسؤولو المخابرات إلى مقار بعض البعثات الدبلوماسية كل حسب ميوله وعلاقاته، وقد سيطر الانقلابيون على البلاد خلال ساعات معدودة واتضح أن الرئيس مكاريوس قد استطاع الهرب من طريق سرى في القصر الجمهوري حيث ذهب إلى مسقط رأسه (مدينة بافوس) غرب الجزيرة والتي يتوقع أن أنصاره يتركزون بها، ولا أحد يعرف بالتحديد كيف أمكن أن يخرج مكاريوس من القصر الجمهوري وكيف أمكنه أن يتخفى وهو الرجل الذي لا يمكن أن يخفى على أحد، وكيف قطع المسافة بين نيقوسيا وبافوس دون أن يقبض عليه رجال الانقلاب وأعوانهم خصوصا أن بافوس هي أبعد مدينة عن نيقوسيا في اتجاه الغرب، ولابد أن ذلك الطريق الطويل كان مراقبا أو أن هناك نقاط تفتيش ودوريات عسكرية ولقد أشيع أنه أوقف سيارة صغيرة كانت بالمصادفة مارة في الطريق وانتقل بها إلى بافوس، وربما نعود للبحث في هذه الأسئلة في فصل لاحق على ضوء بعض المعلومات التي ظهرت فيما بعد ..

وإذ اتضح أن مكاريوس لم يقتل (كما أشاع الانقلابيون) وأنه موجود في مدينة بافوس فقد كان متوقعا أن يقوم بعمل ما من هناك، وفعلنا وجه خلال اليوم الثاني

نداء من إذاعة سرية طالب فيه الشعب بالصمود ومقاومة الانقلابيين ووعده بأنه سوف يتمكن من القضاء على الخونة الذين تآمروا عليه وعلى مستقبل البلاد والشعب، وعندما عرف قادة الانقلاب بوجوده في بافوس وجها مصفحاتهم إلى هناك، وفي بافوس أيضا لم تكن هناك مقاومة تذكر رغم احتمال وجود مناصرين وأعوان للرئيس مكاريوس ولهذا كان على مكاريوس أن يغادر المكان كيلا يقبض عليه ويقتل وبالتالي ينجح الانقلاب، وقد بعث في طلب المساعدة من أقرب قاعدة عسكرية بريطانية، وقرر البريطانيون على الفور (وتلك مفاجأة) إرسال طائرة هليكوبتر لنقله من بافوس إلى القاعدة الإنجليزية تلك حيث يكون في مأمن، وهذا الأمر أيضا يحتاج إلى كثير من البحث والمناقشة، وأقل ما يقال فيه مبدئيا أن بريطانيا تصرفت كدولة تجاه رئيس بلد مستقل طلب المساعدة في ظرف صعب.

ومن القاعدة البريطانية قرر مكاريوس أن يخرج حيث يمكن أن يعرض وضع بلاده على بعض الأصدقاء وكذلك على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبخروج مكاريوس هذا الوضع بدأ الانقلابيون في إجراءات ترتيب الأمر (اعتقادا منهم أن كل شيء أصبح في أيديهم) فشكّلوا وزارة مؤقتة برئاسة رئيس الجمهورية الجديد الصحفي (نيكوس سامبسون) وبقي هذا رئيسا لمدة ثمانية أيام فقط، وفي هذه الأيام كان رجال منظمة (أيوكا - ب) بلحاهم الكثيفة ولباسهم المرقع ومظاهر الخشونة التي اكتسبوها من وجودهم في الجبال والغابات مدّا طويلا قد دخلوا المدن وصاروا يبحثون عن أنصار الرئيس مكاريوس من وزراء ومسؤولين سابقين ورؤساء أحزاب وقد حاولوا اغتيال رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الدكتور (فاسوس ليساريدس) بينما كان خارجا من مقر السفارة الليبية التي كان قد التجأ إليها أثناء الانقلاب وكان في طريقه لحضور جلسة طارئة لمجلس النواب الذي لم يكن قد صدر قرار بحله، ومن المعروف أن ليساريدس من أقوى أنصار مكاريوس بل هو في فترة ما كان طبيبه الخاص، ولم يعترف أحد بالنظام الانتقالي الجديد، وكما ذكرنا فإن الضامنين لاستقلال قبرص الثلاثة كانوا في أوضاع ومواقف غريبة، فبريطانيا وهي إحدى الدول الثلاث ولديها من القوات في الجزيرة ما يكفي

لاحتلال البلاد كلها ومواجهة أى طارئ لم تحرك ساكنا غير استقبال مكاريوس فى واحدة من قواعدهما وكذلك السماح للمواطنين القبارصة المدنيين باللجوء إلى أى من قاعدتيها العسكريتين الكبيرتين فى الشمال والشرق إذا ما رغبوا فى اللجوء، بينما كانت تركيا واليونان كل منهما تحشد القوات فى منطقة بحر إيجه استعدادا للمواجهة العسكرية بينهما هناك حيث كان التوتر على أشده بينهما، وكانت بالتأكيد الولايات المتحدة الأمريكية قد ضاقت ذرعا بالعسكريين وحكمهم فى أثينا أولا لأنهم ارتكبوا الكثير من الأعمال الوحشية ضد مواطنيهم وبلغت تلك الوحشية ذروتها عندما سحقوا الطلبة بالمدابيات فى شوارع أثينا، وثانيا لأن الشعب اليونانى بطبيعته وموروثاته لا يحب الدكتاتورية مهما كانت، كذلك فقد كان رئيس الوزراء السابق المخضرم (قوسطنطين كارامانليس) ينتظر تطور الأوضاع فى منفاه بباريس، وكان يعرف أنه لابد أن يعود هو والنظام الديمقراطى إلى اليونان ولا أحد يعرف ما إذا كان هنالك أى نوع من الاتفاق أو التنسيق والتشاور بينه وبين المخابرات المركزية الأمريكية (وهذا أمر طبيعى فى مثل هذه الحالة) وإذا كانت المخابرات تلك وراء توتر الأوضاع (وهذا احتمال) بين اليونان وتركيا فى منطقة بحر إيجه وهما عضوان فى الحلف الذى تشرف عليه وتوجهه فى أعمالها، فإنها تكون بذلك قد دفعت الاثنتين إلى المواجهة العسكرية وهما عضوان هامان فى (حلف شمال الأطلسى) وإن لم يكن الأمر كذلك فإنها لابد أن تكون على الأقل تعلم بتدبير الانقلاب فى قبرص ذلك أن صحافتها أولا هى التى كتبت بإطنان عن الثروات النفطية الهائلة (كما قلت) فى منطقة بحر إيجه، وهى تعلم علم اليقين أن المنطقة عليها خلاف حاد بين البلدين ولا يمكن لأى منهما أن يسمح للأخر باستغلال تلك المنطقة، وثالثا أن المعلومات التى وصلت المخابرات القبرصية وبالتالي الرئيس مكاريوس حول مؤامرة الضباط اليونانيين الشئ الذى جعل الرئيس يتخذ قرارا بطردهم كانت بالتأكيد آتية من جانب المخابرات المركزية تلك، ورابعا فإن عملية الغزو التركى لقبرص التى جاءت مباشرة بعد الانقلاب توحى بلا أدنى شك أن تركيا كانت تعد لذلك الغزو منذ فترة طويلة أى أنها كانت تعلم بما سيحدث فى قبرص مسبقا (مما أيضا يلحق ضوءا)

على خطة التآمر الأمريكية وأهدافها) وإذا كانت أبعد نقطة من أراضى تركيا عن قبرص لا تزيد على ستين ميلا فإن أقرب موقع لليونان من قبرص لا يقل عن ثمانمائة ميل ناهيك عن حشد القوات اليونانية فى منطقة بحر إيجه استعدادا للعمليات العسكرية المتوقعة هناك أى أن الخطة كانت ناجحة فى لفت انتباه عسكر اليونان بعيدا عن المسرح الحقيقى للغزو (أى قبرص) ويمكننا أن ندرك أهمية الوضع الجغرافى بين البلدين فى هذه الظروف، كذلك نحن نعرف أن كليهما (تركيا واليونان) ضامنان لاستقلال قبرص طبقا لاتفاقية لندن وهكذا فإن كلا منهما ملزم وملتزم بحماية الطائفة التى تنتمى إليه، فتركيا لابد لها أن تحمى القبارصة الأتراك، واليونان لابد لها أن تحمى القبارصة اليونانيين ومن لا يقيم بذلك فلا بد أن يخسر كل شيء لأنه يكون قد عجز عن أداء واجب وطنى، ويجمع المراقبون العسكريون والمختصون فى الاستراتيجية العسكرية أن الغزو التركى ما كان ولا يمكن أن يكون نتيجة استعداد سريع إذ لا يمكن لتركيا أن تقوم بهجوم جوى وبحرى بذلك العدد من الجند والمعدات ما لم تكن قد أعدت واستعدت لذلك منذ شهور لا تقل عن ستة.

ولقد خرج الرئيس مكاريوس وسيطر الانقلابيون فى الأيام الأولى على البلاد وشكّلوا وزارة مؤقتة وكذلك عينوا رئيسا للجمهورية، وكان على كل الأطراف (بريطانيا وتركيا واليونان) أن تواجه ما يترتب على هذه الأحداث والتطورات، والجدير بالملاحظة أن مجلة (نيوزويك الأمريكية) وهى قريبة جدا من إدارة المخابرات المركزية الأمريكية كانت قد نشرت مقالا على شكل تحقيق طويل عن كميات النفط المتوفرة فى منطقة بحر إيجه وذلك فى أوائل سنة (١٩٧٢م) كذلك كان الكونجرس الأمريكى قد كلف لجنة سميت (لجنة تقصى الحقائق والوضع السياسى فى منطقة شمالى البحر الأبيض المتوسط ومدى تأثير المصالح الأمريكية بتلك الأحداث والأوضاع) وكانت الاضطرابات فى اليونان قد تزايدت وتكررت فى شكل مظاهرات تطالب بتصفية القواعد العسكرية الأمريكية فى اليونان كما أن عمليات القمع التى كان يقوم بها الحكم العسكرى هناك قد بلغت مداها الأقصى فى العنف، ولقد قدمت لجنة الكونجرس تلك دراستها إليه فى واشنطن يوم ٢٢ يناير ١٩٧٤م

ونوقشت الدراسة رسمياً يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٤ م، وكانت فى واحدة من فقراتها تقول: (إن الحكم العسكرى فى اليونان يجب ألا يستمر طويلاً لأنه وإن كان أمريكياً فإن غياب وغطرسة هؤلاء الجنرالات سوف تحول كل اليونانيين ضد المصالح الأمريكية فى المنطقة وإن الديمقراطية لابد منها ولا بد من عودتها إلى الشعب الذى يعبد الديمقراطية ويتبنى بها ..) انتهى.

وعلى الرغم من أن الدراسة لم تحدد الكيفية التى يجب أن يغير بها الحكم العسكرى اليونانى (لأن ذلك من واجب جهات أخرى بطبيعة الحال) إلا أن المؤكد أن النقطة الحساسة فى هذا الشأن هى قبرص وقضيتها، فإذا حدث عمل ما (غزو مثلاً) وعجز النظام العسكرى فى اليونان عن مواجهته فى قبرص فإنه لابد أن يسقط، وهو الشئ الذى حدث، وعن ذلك الحكم العسكرى اليونانى اقترح الجانب اليونانى الوحدة مع تحديد قواعد فى قبرص تمثل ضماناً للقبارصة الأتراك ومنطقة تلحق بتركيا كتمويض لها إلا أن رئيس الوزراء التركى السيد (ديميريل) رفض الفكرة وانتهى الاجتماع بلا نتائج، وكانت حكومة العسكرين فى أثينا قد اقترحت على الجانب التركى إجراءات ضد الشيوعيين فى البلقان ولأن تركيا لم تكن ترغب فى اتفاق فقد قام (ديميريل) بإبلاغ الروس بذلك الأمر عند زيارته لموسكو، وبعد ذلك جاءت فكرة أخرى من الرئيس التركى الجنرال (سوناي) يتم على ضوءها مناقشة قضية قبرص فى اجتماع بين اليونان وتركيا تشترك فيه بريطانيا، ولكن الفكرة عارضها الرئيس مكاريوس بشدة .. انتهى.

هذا ملخص لفقرة من كتاب السيد (كوستاس) وهو يوحى بأن هؤلاء العسكر كانوا يعملون بتوجيهات من أمريكا أو على الأقل يحاولون خدمة المصالح أو الأهداف الأمريكية فى حين أننا نرى أن أمريكا لم تجد فيهم نفعاً لمصالحها كما جاء فى المذكرة التى قدمت للكونجرس الأمريكى.

يقول مؤلف كتاب تاريخ قبرص السيد (كوستاس ب كيريس) تحت عنوان (فترة حكم الجونتا من ٢١ أبريل إلى يوليو ١٩٧٤، الطريق إلى الدمار) ما يلى:

(شكل القبارصة الديمقراطيون واليساريون فوراً بعد يوم ٢١ / ٤ / ١٩٦٧ م لجنة مضادة للدكتاتورية فى مسرح (أبوللو) بنيقوسيا فى الوقت الذى بدأ فيه عسكر اليونان من خلال الصحافة السجينة هناك والإذاعة فى أثينا حملة يومية محمومة على القبارصة الذين ضد الوحدة (اينيسيس) بالأسماء أو الإشارات الواضحة من أولئك الذين كانوا من أقرب المتعاونين مع مكاريوس، وبعد أن أرسل الأخير برقية تهنئة إلى حكومة العقداة فى أثينا يوم ٢٠ مايو، بدأت تلك الحكومة فى الإعداد لمؤتمر من أجل حل لمشكلة قبرص من خلال الحوار طبقاً لبروتوكول باريس فى (١٧/١٢/١٩٦٦م) وكان الأول هو إبعاد أولئك الخونة الذين يقفون ضد الوحدة من تحقيق الأمل العظيم، ومع ذلك فإنه بعد زيارة قام بها الوزير (جورج بابادولوس) إلى قبرص فى ٩ أغسطس أعلن أنه لم يجد فى قبرص أعداء للوحدة، وهذا الوزير الذى عمل طويلاً فى قبرص كضابط معلومات للجيش اليونانى جاء فى الواقع لإقناع مكاريوس من أجل إظهار ضبط النفس تجاه الانتهاكات التركية وقد قوبل هذا الموقف من جانب أنقرة بإشارات تهتم إذ لعل الحكومة العسكرية فى أثينا قد غيرت موقفها ورأيها، وفى ٥ يوليو تشكلت جبهة قبرصية من المعجبين بحكومة العقداة فى أثينا للعمل من أجل الوحدة، وتم اجتماع بين أطراف من الحكومة اليونانية والحكومة التركية حيث الانقلاب ومكاريوس وقبرص.

فى اليوم الذى أعلن فيه ضباط الحرس الوطنى القبرصى أنهم أسقطوا نظام الرئيس مكاريوس (١٥ يوليو ١٩٧٤م) كانوا قد قدموا مصير قبرص على طبق من فضة إلى تركيا وزعيمها الجديد الذى يبحث عن دور يؤديه، وما أجمل أن يجد السياسى التركى والعسكرى التركى ميدان حرب، وكان عسكر اليونان قد أعطوا تركيا المبرر القوى والقانونى والشرعى للتدخل فى شئون قبرص ذلك أنهم انقلبوا على النظام الشرعى القائم فى البلاد عندما أطاحوا بنظام الرئيس المنتخب ديمقراطياً مكاريوس، ولأنهم ضباط فى الحرس الوطنى وهم يونانيون فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن الانقلاب بتخطيط ومباركة العسكرين الذين يحكمون اليونان (وهكذا تعتقد تركيا) ولها كل الحق فى هذا الاعتقاد، ولقد انتهزت تركيا

الفرصة الذهبية تلك ذلك أن اتفاقية الضمان الثلاثي (بريطانيا وتركيا واليونان) ومعاهدة زيورخ الموقعة في لندن القاضيتين باستقلال قبرص تنصان على (أنه في حالة حدوث أى خرق للمعاهدات يجب على الأطراف الثلاثة مباشرة التشاور فوراً وإذا تبين أن عملاً مشتركاً ومنسقاً هو غير ممكن فإن كل واحدة من القوى الضامنة تحتفظ بحقها في التصرف المنفرد بهدف إعادة الوضع إلى الحالة التي تنص عليها المعاهدات وفقاً لمقررات مؤتمرى (زيورخ ولندن)^(١).

وكانت تركيا مستعدة تماماً للعمل العسكى كأنما هي تعلم منذ زمن أن انقلاباً سيحدث وأنها ستضطر إلى التدخل، وقد اتضح للحكومة التركية أن ما نصت عليه المعاهدات (العمل المشترك المنسق) غير ممكن، ذلك أن بريطانيا قد اعتذرت عن المشاركة في أى عمل عسكى ضد الانقلابيين (ولا أحد يعرف لماذا، وهي موقعة على المعاهدتين وصاحبة اقتراح تلكم النصوص الواضحة في المعاهدتين وخصوصاً تعبير العمل المنفرد) ولقد قررت تركيا أن تتدخل دون أن تنتظر وذلك (كما تقول) حماية للطائفة القبرصية التركية وقامت قواتها الجوية بإنزال عسكى وكذلك إنزال بحرى على الشواطئ الشمالية القبرصية أى على منطقة (كايرينيا) وهذه المدينة يعتبرها القبارصة الأتراك عاصمتهم القديمة، وطوّقت القوات التركية شواطئ قبرص بالمدمرات من جميع الجهات كما بدأت الطائرات الحربية التحليق في سماء الجزيرة، وهكذا فقد منعت أى امتداد يمكن أن يتوقع لمساعدة قادة الانقلاب في قبرص وسرعان ما قضت تلك القوات الغازية على الوحدة العسكرية اليونانية التي كانت ترابط في جبال (كايرينيا) (وتلك قوات نصت عليها اتفاقية لندن) ولم يخرج منها جندي واحد، ثم تقدمت القوات البرية التي أنزلت من الجو وصارت الطائرات تقتصف كل ما يتحرك على الأرض وإن استهدفت في الحقيقة معسكرات الحرس الوطنى القبرصى الذى لم يكن يملك مضادات لهذه الطائرات، ولقد سيطرت القوات التركية على المنطقة الشمالية من كاييرينيا إلى نيقوسيا

(١) نص الاتفاقيتين اللتين وقتنا من جانب كل من تركيا وبريطانيا واليونان يجده القارئ مع الملاحق.

واحتلت المطار المدنى الدولى والواقع على بعد عدة كيلو مترات غربى العاصمة نيقوسيا، وما كاد مجلس الأمن الدولى يصدر قراراً بإيقاف القتال حتى كانت القوات التركية قد احتلت جميع المرافق والمناطق المستهدفة، وعندما تأكد رئيس الوزراء التركى (بولنت أجاويد) (أحياناً ينطقون الاسم أتشافيد) حتى أصدر بياناً من أنقرة أعلن فيه قبول قرار مجلس الأمن بشأن إيقاف القتال والواقع أنه لم يكن هناك قتال بالمعنى المفهوم لا لأن القوى غير متكافئة فحسب بل لأن الحرس الوطنى القبرصى لا يملك سلاحاً ضد الجو ولا ضد الدروع ولا كان معداً إعداداً جيداً ومدرباً تدريباً كافياً قتالياً بحيث يواجه تلك الحرب المفاجئة أو تلك العملية العسكرية الكبيرة التي قام بها جيش مدرب ومسلح بكل معدات الحرب، وكانت قبرص قد طلبت المساعدة من اليونان ولكن أولئك الجنرالات كان يستهويهم النفط فحشدوا قواتهم في منطقة بحر إيجة لمنع تركيا من التقيب هناك عن تلك المادة الثمينة ١ وما كان في مقدورهم تحويل القوات إلى قبرص من تلك المناطق البعيدة وحتى لو حاولوا فإن الوقت يكون قد فات، ومن المشكوك فيه أن يكون بلد كتركيا قادراً على تجهيز جيش قوامه ثلاثون ألفاً بكامل معداته ونقله إلى ميدان القتال خلال عدة أيام، (كما أوردنا سابقاً) ولذلك فإن العسكريين المحايدين قد شككوا في قدرة تركيا على فعل ذلك مما يوحي بأن المخابرات الأمريكية كانت قد أعلمت تلك البلاد في وقت مبكر عن الانقلاب وموعده وقادته كذا أسبابه وشجعته على ذلك الغزو (ولا يعقل أن يقول لنا أحد إن لدى تركيا مخابرات قادرة على أن تخترق أجهزة الولايات المتحدة وتطلع على ما تخطط تلك الدولة) ونعتقد أنه لم يكن هناك من مناص أو خيار أمام تركيا أن تفعل غير ما فعلت ولابد لها في هذه الحالة أن تقوم بعمل عسكى مهما كانت النتائج حتى لو لم تكن تعلم مسبقاً، كذلك فإنه أثناء محاكمة السيد (نيكوس سامبسون) الذى عينه الانقلابيون رئيساً مؤقتاً قد تسربت معلومات عن أموال دفعت من طرف المخابرات الأمريكية للضباط الذين قاموا بالانقلاب (لم نتأكد من تلك المعلومات بإثبات رسمى) وبعد قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال تقرر أن يلتقى وزيراً خارجية كل من تركيا واليونان في جنيف لبحث الوضع الناشئ عن الانقلاب

والغزو، ولا بد للمنتصر دائماً أن يفرض الشروط التي يرى أنها تحقق الغرض الذي من أجله قام بالغزو أو دخل الحرب، فكان الوفد التركي قد جاء للقاء جنيف وفي حقيقته شروط ومطالب ومن وجهة النظر العسكرية في هذه الحالة حيث يلتقي وفد تركيا واليونان فإن تركيا هي الجانب المنتصر، وقد عرض الوفد التركي الشروط والمطالب التالية والتي كان يرى أنها يجب أن تقبل ويجب أن تكون أساساً للبحث، (وهي، إنشاء ستة كتونات للجالية القبرصية التركية التي تعرضت للخطر عند حدوث الانقلاب، وكلمة (كتون) هي تعبير مخفف لكلمة (محميات) ويكون أحد هذه المحميات أو الكتونات ممتداً من الجزء الشمالي في مدينة نيقوسيا إلى مدينة كايبرنيا، أي الجزء الكبير من عاصمة البلاد للقبازصة الأتراك إضافة إلى الكتونات الخمسة الأخرى وتكون في (لارنكا وبافوس وليماسول وكراپاسيا ولاهكا).

ولم يكن الوفد اليوناني مخولاً بالرفض أو القبول وربما لم يكن يتوقع مثل تلك المطالب بل وحتى لم يقدم شيئاً في الاجتماع الذي جاءه، ولهذا طلب مهلة مدتها ست وثلاثون ساعة (ربما لمراجعة أثينا) وإن كان رئيس الوفد قال إنها للتفكير، ولكن وزير الخارجية التركي كان لا يريد تشاوراً ولا تفكيراً فهي شروط، ولهذا جمع أوراؤه وأغلق حقيقته وقفل راجعاً إلى أنقرة .. وبعد أن عاد الوفد التركي وكانت تلك فترة تجميع للقوات وتزويد بالمعدات ذلك أن كل معركة يحدث بعدها إعداد واستعداد جديدين، تحركت القوات التركية الغازية لتفرض الأمر الواقع وتحقق بالقوة ما طلبه الوفد التركي في لقاء جنيف (وللأتراك باع طويل في هذه الأمور لأن دولتهم دخلت الكثير من الحروب والمفاوضات) وقد تقدمت القوات التركية في المرحلة الثانية من الغزو شرقاً في اتجاه (فاماقوستا) وغرباً في اتجاه (بافوس) بينما احتلت الشمال كله وفي الشمال الغربي أخصب المناطق الزراعية ومنايع المياه أي في منطقة (مورفو) كذلك احتلت منطقة (كاراباسيا) الصناعية، وبشأن هذه المنطقة كان الوفد التركي في لقاء جنيف الفاشل قد طلب كتونا فقط، كما احتلت تلك القوات الزاحفة مدينة ومنطقة (فاماقوستا) وهذه من أجمل المناطق السياحية في قبرص كلها، وكانت الدولة القبرصية في عهد ما قبل الانقلاب قد استثمرت

فيها بلايين الدولارات في بناء الفنادق والاستراحات الفخمة على طول الشاطئ الرملى الجميل والخلجان البحرية الخلابة وجعلتها مدينة مفتوحة بكل معنى الكلمة حيث صارت مركزاً سياحياً وتجارياً ربما لا مثيل له آنئذ في الشرق الأوسط، وهذه المدينة الجديدة تأتي من حيث الأهمية بعد مدينة (كايبرنيا) ذات القلاع والمباني القديمة والتي احتلتها القوات التركية منذ ساعة الإنزال الأولى في الغزو.

وفيما بعد أعلن الأتراك أن مقدار ما احتلوه في قبرص يصل إلى نسبة ٣٦٪ وأن الجالية القبرصية التركية تستحق ما نسبته ٢٣٪ من اجمالي أرض جزيرة قبرص حسب نسبة عدد السكان وحسب الامتلاك التاريخي، وأن هناك ما يثبت ذلك قانوناً، في الوقت الذي يذكر فيه الجانب القبرصي اليوناني أن ما احتل من الأرض يساوي ٤٠٪ من كامل الأراضي القبرصية وأن المناطق التي احتلت هي من أهم وأغنى الأراضي زراعياً وسياحياً وصناعياً (وهذه في الواقع الحقيقة، أعنى الأهمية الزراعية والصناعية والسياحية) أما الحق التاريخي فإن كل طرف يمكنه أن يدعى كيفما شاء ويمكن أن تقرر حقيقة أي طرف المحاكم والإجراءات القانونية الدولية.

وبإتمام مرحلة الغزو الثانية احتل الأتراك ما كانوا يريدونه دون خسائر أو عقبات كبيرة ولم يكن هناك من يقاوم في تلك المرحلة، فيما عدا مقاومة قليلة بأسلحة عادية خفيفة في الأيام الأولى من الغزو وواقع الحال أنه لم يكن ممكناً مقاومة ذلك الغزو الكبير إلا لمن يريد الانتحار، وقبرص دولة تعتمد على الزراعة والسياحة وليست دولة محاربة إضافة إلى أنها حديثة العهد بتكوين الدولة، وربما مقارنة سريعة في الإمكانات والقدرات العسكرية للبلدان الثلاثة (تركيا واليونان وقبرص) تلقى ضوءاً على الكيفية التي كانت عليها القوات مع الوضع في الاعتبار البعد الجغرافي بالنسبة لتركيا واليونان عن قبرص (أي مسرح العمليات) لأن ذلك عامل مهم في حالة الحرب.

القدرات العسكرية القبرصية :

- ١ - حرس وطنى حديث التدريب عدد أفرادہ بين عشرة إلى ثمانية آلاف جندى يقوده ضباط معارون من اليونان.
- ٢ - اعتمادات التسليح المالية لا تزيد على ثلاثين مليون دولار أمريكى فى ذلك الوقت.
- ٣ - كتيبتان للاستكشاف - مشاة ميكانيكية.
- ٤ - ١٦ وحدة مدفعية.
- ٥ - ٢٠ كتيبة مشاة.
- ٦ - ٢٥ دبابة متوسطة وعدد من حاملات الجنود غير المدرعة.
- ٧ - ٣ عربة مصفحة متنوعة، ٨٨ - ١٢٠ مدفعا من عيار ١٠٠ وعيار ١٠٥ ، و٢٥ مدفعا هاوتزر عيار ٧٠ ، و ٤٠ مدفعا مضادا للجو.
- ٨ - ٢ زورق دوريات بحرية.
- ٩ - احتياطى الحرس الوطنى من المجندين حوالى عشرين ألفا مع ملاحظة أن هؤلاء جميعا لم يحدث أن دخلوا حربا.
- (المصدر، المركز الدولى للوثائق والدراسات، باريس).

قدرات اليونان العسكرية :

- ١ - نفقات الدفاع قرابة بليونى دولار.
- ٢ - عدد أفراد الجيش ١٥٠ ألف جندى منهم ١٢٣ ألف إلزامى.
- ٣ - فرقة مدرعات.
- ٤ - ١١ فرقة مشاة (بعضها ميكانيكى).
- ٥ - لواء مدرع.
- ٦ - لواء قوات مظلية خاصة.
- ٧ - لواء مشاة مدرب على الخدمة فى البر والبحر.
- ٨ - بطارتان مزودتان بثمانية صواريخ أرض أرض نوع هوتست جون.
- ٩ - بطاريات صواريخ سام مزودة بعدد ١٢ صاروخ هوك محسنة.
- ١٠ - ٣٠٠ دبابة أم ٤٧ و ٥٢٠ ناقلة جنود مصفحة أ - أ . م أكس ٣٠ منها متوسطة و ١٧٠ أم ٢٤ خفيفة.
- ١١ - ٤٦٠ ناقلة جنود مصفحة أم ٥٩ و ٥٢٠ ناقلة جنود مصفحة أ . م ١١٣ ،
- ١٢ - ١٠٠ مدفع هاوتزر عيار ٧٠ ملم و ٨٠ مدفع هاوتزر عيار ١٠٥ ملم و ٢٤٠ مدفع هاوتزر عيار ١٥٥ ملم ومدافع هاوتزر ذاتية الحركة من مختلف العيارات.
- ١٣ - ٥٥٠ مدفعا عديم الارتداد عيار ١٠٦ ملم.
- ١٤ - صواريخ موجية مضادة للدبابات طراز أس - اس ١١ ونوع كوبرا وتاو وميلان.
- ١٥ - مدافع مضادة للجو عيارات ٤٠ - ٧٥ - ٩٠ ملم.
- ١٦ - طائرات سوبر كينج.
- ١٧ - طائرات ايرو كوماندر.
- ١٨ - ٢٠ طائرة نوه ال ١٧ .
- ١٩ - ١٥ طائرة نوه ال ١٢ .
- ٢٠ - ٥ طائرات هليكوبتر نوع بل ٤٧ ج.
- ٢١ - ٢٠ طائرة هليكوبتر أ . ب ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- ٢٢ - ١٠٠ دبابة أ ام أكس ٣٠ متوسطة وعربات قتال مشاة ميكانيكية أ ام أكس ١٠ ب .
- ٢٣ - احتياطى الجيش ١٥٠ ألف جندى.
- ٢٤ - ١٨٠ عربة مصفحة أ . م ٨ .

معدات الاسطول البحرى :

- ١ - ٧ غواصات أمريكية نوع جوبى دوبلاو.
 - ٢ - ١٢ مدمرة أمريكية نوع جبرنج فيلتسرى وكركلاس.
 - ٣ - ٤ فرقاطات نوع كانون.
 - ٤ - ١٠ زوارق دوريات سريعة مزودة بالصواريخ الموجهة نوع ٨ كومباتنت واكسوزيت.
 - ٥ - ١٦ زورق طوربيد سريع.
 - ٦ - ٢ زارعة ألغام ساحلية.
 - ٧ - ٥ زوارق دورية ساحلية.
 - ٨ - ١٣ كاسحة ألغام.
 - ٩ - ١٦ سفينة إنزال.
 - ١٠ - ٦ سفن إنزال معدات.
 - ١١ - سرب طائرات تضم ٤ هليكوبتر نوع اكويث ٣.
 - ١٢ - ٤ غواصات فئة ٢٠٩ و ٦ زوارق سريعة مزودة بالصواريخ.
 - ١٣ - احتياطى الأسطول البحرى ٢٠ ألف جندى.
- القوات الجوية ٢٢٦٠٠ جندى (منهم ١٥ ألف جندى إلزامى) ومعداتهم :
- ١ - ٢٥٧ طائرة قتالية.
 - ٢ - ٦ أسراب مقاتلات هجوم.
 - ٣ - ٥ أسراب مقاتلات اعتراضية.
 - ٤ - ١ سرب طائرات استكشاف.
 - ٥ - ١ سرب طائرات استكشاف بحرى.

٦ - ٢ سرب طائرات نقل.

٧ - ٣ أسراب طائرات هليكوبتر.

٨ - صواريخ جو جو أنواع (سبارو - سايدوندر - فالكون).

٩ - بطاريات صواريخ أرض أرض نوع هيروكليز.

١٠ - احتياطى القوات الجوية ٢٠ ألف جندى. (نفس المصدر)

القوات المسلحة التركية، الجيش ٣٩٠ ألف جندى (٣٠٠ ألف جندى إلزامى) ومعداتهم:

- ١ - فرقة مدرعة.
- ٢ - فرقتان مشاة ميكانيكية.
- ٣ - ١٤ فرقة مشاة.
- ٤ - ٥ ألوية مدرعة.
- ٥ - لواء مظلات.
- ٦ - ٤ بطاريات صواريخ أرض أرض.
- ٧ - لواء قوات خاصة.
- ٨ - ٢٨٠٠ دبابة أنواع إم ٤٧ - إم ٤٨ .
- ٩ - ١٦٥٠ ناقلة جنود مصفحة.
- ١٠ - ١٥٠٠ مدفع هاوتزر من مختلف العيارات.
- ١١ - ٣٦٥ مدفعًا ذاتى الحركة من مختلف الأنواع.
- ١٢ - ١٧٥٠ مدفع هاون من مختلف العيارات.
- ١٣ - ١٨ صاروخ أرض أرض نوع هوتسجون.
- ١٤ - ١٢٠٠ مدفع عديم الارتداد عيارات ٥٧ ملم، وعدد ٣٩٠ مدفعًا عديم الارتداد ١٠٦ .

١٥ - ٨٥ صاروخاً موجهاً ضد الدبابات.

١٦ - ٩٠٠ مدفع مضاد للجو عيار ٤٠٠ ملم.

١٧ - طائرات نوع دي هـ سى ٢ .

١٨ - ١٨ طائرة نوع يو ١٧ .

١٩ - ٧ طائرات نوع دي و ١٧ .

٢٠ - ٢٠ طائرة نوع بيتش بارون.

٢١ - ٩ طائرات نوع دي و ٢٨ .

٢٢ - ١٠٠ طائرة هليوكوبتر نوع بيل ٤٧ ج - ج.

٢٣ - ٢٠ طائرة هليوكوبتر نوع أ - ب ٢٠٥ - ٢٠٦ .

٢٤ - ٤٨ طائرة هليوكوبتر نوع أد يو أتش.

٢٥ - احتياطي الجيش يبلغ (٥٠٠ ألف جندي).

الأسطول البحري ، عدد أفراد ٤٥ ألف رجل منهم (٣١ ألف إلزامي) المعدات:

١ - ١١ غواصة فئة جيرينج وفئة فيتشر.

٢ - فرقاطتان.

٣ - ١٣ زورق دورية سريعاً مزوداً بالصواريخ الموجهة.

٤ - ٨ زوارق دورية مزودة بصواريخ أرض أرض.

٥ - ٤١ زورق دورية كبيراً.

٦ - ٤ زوارق دورية ساحلية.

٧ - ٤ كاسحات ألغام قرب الشاطئ.

٨ - ٨ سفن زراعة ألغام.

٩ - ٤ سفن إنزال دبابات.

١٠ - ٢٥ سفينة إنزال جنود.

١١ - ٢٦ سفينة إنزال معدات.

١٢ - فيلقان مضادان للغواصات مزودة بطائرات هليوكوبتر.

١٣ - ١٠ طائرات هليوكوبتر مزودان بصواريخ أرض أرض.

١٤ - احتياطي الجيش البحري (٢٥ ألف جندي).

القوات الجوية ومعدات، عدد الجنود ٥٠ ألف جندي (٣٠ ألف إلزامي):

١ - ١٣ سرب مقاتلات هجوم أرضي.

٢ - سريان يضمن ٤٩ طائرة إف ٤ أ.

٣ - أربعة أسراب تضم ١٠٠ طائرة إف ٥ أ.

٤ - ١٠ طائرات إف ٥ ب.

٥ - سريان يضمن ٣٢ طائرة إف - ت إف ج.

٦ - سريان يضمن ٣٠ طائرة إف - ١٠٤ س.

٧ - ٣ أسراب تضم ٥٠ طائرة إف - ١٠٠ س د - إف

٨ - سرب طائرات اعتراضية يضم ٣٠ طائرة إف - ١٠٤ .

٩ - ٣ طائرات إف - ١٠٢ أ.

١٠ - سربا استكشاف يضمن ٣١ طائرة أر - إف ١٥ .

١١ - ٤ طائرات إف ٥ ب.

١٢ - ٤ أسراب تضم ٧ طائرات س ١٣٠ .

١٣ - ٢٠ طائرة نوع ترانزال .

١٤ - عدد من طائرات التدريب من مختلف الأنواع.

(نفس المصدر، المركز الدولي للوثائق والدراسات - باريس).

وفيما يتعلق بعدد السكان والدخل القومي للبلدان الثلاثة يقول التقرير:

١ - قبرص:

- عدد السكان ٦٢٥ ألف نسمة

- الدخل القومي الإجمالي ١٥٤ مليون دولار سنة ١٩٧٧ م.

٢ - اليونان:

- عدد السكان ٩,٢٨٠,٠٠٠ تسعة ملايين ومائتان وثمانون ألف نسمة.

- الناتج الإجمالي تقديريا ٢٦,٣ بليون دولار أمريكي سنة ١٩٧٧ م.

٣ - تركيا:

- عدد السكان ٤٢,١١٠,٠٠٠ اثنان وأربعون مليوناً ومائة وعشرة آلاف نسمة.

- الناتج القومي الإجمالي ٦٤,٦ بليون دولار أمريكي سنة ١٩٧٧ م.

وبنظرة سريعة ندرك الفوارق الكبيرة في عدد السكان والناتج القومي والقدرات العسكرية جنداً وسلاحاً، فإذا أضفنا إلى كل هذه المقومات الخبرة في الحرب والسياسة عرفنا نتيجة الحرب أو المواجهة بين الدولتين الأكبر (تركيا واليونان) ولهذا فقد غزت تركيا واحتلت ما كانت تريد احتلاله، والذي دفع الثمن هو الشعب القبرصي التركي واليوناني، دفعه اقتصاداً وأمنًا واجتماعاً، خسر الشعب القبرصي بشكل خاص في هذه الحرب وذلك الانقلاب الغشيم اللذين لا ناقة له فيهما ولا جمل الكثير والكثير، فقد خسر المناطق السياحية والصناعية والأثرية وصار يواجه مشكلة لاجئين قتلوا كل شيء إضافة إلى خيرة رجاله وشبابه بين قتل ومفقود، وعادة فإن الحرب عندما تنتهي أو تقف يبدأ الكل يحسب مقادير الخسارة والريح، ويحدث أن المهزوم هو الذي يقدم التنازل لتلو التنازل ليحافظ على ما بقى

من كرامة وثروة وهي عادة ما تكون قليلة وضئيلة، وربما يمكن القول إن الشعب اليوناني قد كسب جولة الديمقراطية حيث سقط أولئك العسكر الذين جاء بهم انقلاب ماجور، وربما أيضاً كسبت تركيا جولة في حرب لم ينتج عنها إلا الكراهية والكثير من التعقيدات وما يمكن أن يتعلل به السياسيون الأتراك وهو الحفاظ على أرواح وممتلكات القبارصة الأتراك التي واجهت الخطر بسبب الانقلاب اليوناني ذلك، وإن كان الشعب القبرصي بجهد وسمعة الرئيس مكاريوس آنئذ قد كسب عطف العالم سياسياً ولعله لم يحدث أن أصدر مجلس الأمن الدولي ذلك العدد الكبير من القرارات في أي قضية أخرى غير القضية القبرصية بعد الانقلاب والحرب (لقد أصدر مجلس الأمن واحداً وعشرين قراراً أغلبها خلال نفس سنة الأحداث وإن كان بعضها بشأن التجديد لقوات الأمم المتحدة هناك).

بدأت المفاوضات في جولات متعددة ومتعاقبة، وكان على السيد (كلاريدس) أن يواجه السيد (دنكتاش) حيث إن كليهما كان يتحدث باسم طائفته بعد أن كان الكلام بين تركيا واليونان نيابة عنهما وطائفتيهما، وقبل الحديث عن جولات المحادثات تلك ربما يكون مفيداً أن نخرج على بعض المقترحات الدولية المتعلقة بالطائفتين وقضية قبرص والتي كانت قبل الانقلاب والغزو قائمة ومثارة، ومن الغريب أن المناقشات فيها كانت كثيرة وفي كل مرة كان الذي يرفض هو إما تركيا أو اليونان ثم يأتي الموقف الذي تتخذه تبعاً لذلك الطائفة التابعة لهذه أو تلك، وهو أمر محير ولابد أنه يعود إلى الثقة المفقودة بين الطائفتين صاحبتى الحق في البلاد (قبرص) ولأن كليهما تطلب الحماية من إحدى الدولتين عند الخطر فإن الأمر قد تحول إلى تكلم الدولتين اللتين سلبتا الطائفتين حق القول أو التصرف ولا نقول حق القبول أو الرفض أو التقرير!

يقول مؤلف كتاب (الخلافات الدولية) السيد (دونيلان ومعاونيه السيد قريف) في هذا الشأن ما يلي:

(بعد القتال العنيف الذي حدث بين الطائفتين في ٦ أغسطس سنة ١٩٦٤م)

فى (كوكينا) قامت تركيا بتوجيه نداء إلى مجلس الأمن فى يوم ٧ أغسطس وفى نفس الوقت أرسلت طائفة مقاتلة لإطلاق النار كتح ١ ير، وفى ٨ أغسطس هاجمت تلك الطائفة القوات القبرصية اليونانية وهنا توجه مكاريوس إلى مجلس الأمن ببناء للتدخل فى الوضع، وفى ٩ أغسطس اعتمد مجلس الأمن مشروع قرار تقدمت به بريطانيا يدعو إلى إيقاف القتال، وفى ١٥ أغسطس التقى ممثلون عن الجاليتين ليبحثوا مع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة السيد (قالو بلازا) وهو من الإكوادور، وكان هذا ممثلا للأمين العام منذ شهر مايو وصار وسيطا منذ شهر سبتمبر، وفى تقريره الذى قدمه يوم ٣٠ مارس ١٩٦٥ م نصح قائلا: (إن اتفاق لندن والوحدة مع اليونان أو التقسيم أو الفيدرالية كلها ثبت عدم جدواها وأن أفضل سبيل للطاقتين فى الجزيرة أن تستمر فى التفاوض إلى أن تجدا حلا مقبولا للمشكلة بدلا من التباحث نيابة عنهما) ولقد رد مكاريوس وكذلك الحكومة اليونانية بالموافقة فى حين أن الحكومة التركية وكذلك الطائفة التركية رفضتا هذه الفكرة وإن كانتا فى هذا الوقت قد اعترفتا أن دستور سنة ١٩٦٠ لم يعد صالحا ويفضل بدلا منه نوع من الفيدرالية ولكن وفوق كل شىء أصرتا على اتفاق لندن الخاص بالضمان الثلاثى وحق تركيا فى التدخل لصالح الطائفة التركية، وأخيرا استقلال ممثل الأمين العام السيد (قالو بلازا) وفى مايو سنة ١٩٦٦ م قام الأمين العام للأمم المتحدة السيد يوانث بتقديم فكرة إلغاء اتفاقية لندن واستبدال الضمان الثلاثى بضمان من مجلس الأمن لاستقلال قبرص وحماية الطائفة التركية، ومع ذلك فإن هذه الفكرة لم تؤد إلى أى نتيجة نظرا للمعارضة العامة لها وخصوصا من طرف اليونان، وفى مباحثات تركية يونانية جديدة خلال ذلك الشهر لم يحدث أى تقدم، وهكذا كان كل طرف يتمسك بما يراه مناسباً له ويرفض غير المناسب من وجهة نظره، وعلى نفس الأساس فشلت جهود ممثل الأمين العام السيد (ساكارى توموجا) وهو من فنلنده عندما عقد اجتماعات مع الأتراك واليونانيين فى جنيف، وفشلت جهود وسيط رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت السيد (ليندون جونسون) عندما أرسل وزير

خارجيته السيد (دين أتشيمسون) لأن مكاريوس أدان المشروع الذى تقدم به وزير الخارجية (ذاك) .. انتهى.

ولقد نجح الانقلاب العسكرى القبرصى اليونانى فى البداية وفشل سريعا حيث نجح الغزو التركى فى تحقيق أغراض تركيا وتغليب كفة الطائفة القبرصية التركية وقبله خرج مكاريوس على إثر الانقلاب من الجزيرة بطائرة بريطانية، وعندما لم يتمكن الحكم العسكرى فى اليونان من مواجهة تركيا وحماية الجزيرة التى يعتبرها جزءا من اليونان سقط وجاء بعده السيد (كارامانليس) وهو سياسى كبير ومن أعمدة الديمقراطية فى بلد الديمقراطية، وفى المقابل تألق نجم رئيس وزراء تركيا آنئذ وإن إلى حين السيد (بولنت أجاويد) فى تركيا وفى الجزء الشمالى من قبرص على إثر نصر عسكرى هو الأول من نوعه بالنسبة للجيش التركى فى العصر الحديث.

وهكذا انتهى حكم العسكر فى اليونان وجاء حكم مدنى ديمقراطى وبقيت القواعد العسكرية الأمريكية فى اليونان (بمعنى أن ما جاء فى تلك المذكرة إلى الكونجرس قد تحقق وهو ضرورة إنهاء الحكم العسكرى من أجل المصالح الأمريكية فى شمال البحر الأبيض المتوسط) وبعد الغزو التركى يتدعم الحكم المدنى فى تركيا حيث اعتبر الأتراك السيد (أجاويد) زعيم الحزب الحاكم بطلا (أى أتاتورك جديد) أو ربما يكون أتاتورك الثانى (ذلك أن الأتراك بطبيعتهم يعيشون الحروب وخصوصا إذا انتصروا فيها وربما راجع ذلك إلى تراثهم فى عهد الإمبراطورية العثمانية) ثم وأخيرا عاد الرئيس مكاريوس رئيسا لجمهورية قبرص زعيما وطنيا وعالميا ولا بد أنه صار يحمل الكثير من الآلام ضد البلد الذى كان يقال عنه أنه (الأم) لكنه مع الأسف لم يعيش طويلا ..

بقيت القواعد العسكرية الأمريكية فى كل من تركيا واليونان عملاً بنصيحة لجنة تقصى الحقائق فى شمال البحر الأبيض المتوسط وشرقه، تلك اللجنة التى كان الكونجرس الأمريكى قد كلفها بتلك الدراسة، وراحت أمريكا بعد هذه الأحداث

والتطورات المدوية والدامية تلعب دور الوسيط بين الجاليتين القبرصيتين حيث قام السيد (فانس) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بزيارة الشرق الأوسط خلال شهر فبراير ١٩٧٧م ثم جاء بعده المبعوث الأمريكى السيد (كليقورد) الذي زار قبرص فى ٢٣ فبراير ١٩٧٧م كما زارها قبل المبعوث الأمريكى السيد (فالداهليم) الأمين العام للأمم المتحدة فى ١٢ فبراير ١٩٧٧م، ومن هنا نرى أن الوساطات قد بدأت كما بدأت المباحثات، وساطات من أجل الحفاظ على المصالح، ومباحثات من أجل الوصول إلى حل أو حلول ربما ترضى هذه الأطراف التى لم ترض عن أى شيء قبل هذه المناسبة، مأساة شعب يدفع ثمن التفتت والتعصب والأخطاء أو ربما يمكن القول إنه ليس التفتت فقط وإنما الاستجابة لرغبات أطراف دولية متعددة وأهمها طرفان رئيسيان لهما مصالح ووجود وأعوان هما (الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية) فالولايات المتحدة الأمريكية ترى أن صيانة مصالحها لا بد من رعايتها ولو بالدم (ربما فى أى مكان من العالم وخصوصا تلك المناطق ذات الأهمية) بينما الاتحاد السوفيتى يرى أن الصراع فى هذا البلد (وأىضا لو على حساب البشر) يخلق شرخا وتوترا بين شريكين فى حلف غربى يرى أنه يهدد مصالحه ووجوده فى العالم (حلف شمال الأطلسى) ومن أثر هذه العنتريات حلت بالشعب القبرصى محنة (تتالوس)^(١)، على الرغم من أنه شعب منتج وأرضه خصبة معطاءة، وما كان يعانيه الشعب القبرصى نتيجة أخطاء السياسيين وتعصب بعض القوميين وتعتت أكثر العسكريين لم ينته بعد عودة الرئيس مكاريوس، هذا الرجل الذى مارس السياسة والدين وجمع بين الدولة والكنيسة وقد حظى بحب وتأييد القطاع الأكبر من مواطنيه ربما بشكل لم يحدث قبله ولا حدث فى مكان آخر لرجل يجمع بين الدين والدنيا، وأذكر أنه فى أحاديثه الخاصة كان لا يميز ولا يفرق بين القبرصى اليونانى

(١) محنة تتالوس فى أوديسة هوميروس تقول :

وقع تتالوس فى محنة شديدة إذ كان واقفا فى حوض يقترب ماؤه عند ذقنه ولكنه إذا ما اشتد به العطش وأراد أن يشرب لم يتمكن من ذلك لأن الماء كان يفيض كلما انحنى ليشرّب وتظهر الأرض تحت رجليه وكانت تتدلى فوق رأسه أشجار شبيهة الشر فكان الكمثرى والرمان والتفاح بهجة للناظرين وكان منها الذين الحلو والزيتون ولكنها كانت كلما مد نحوها يده تحملها الرياح بعيدا حتى أنها كانت تصل بها إلى السماء.

والقبرصى التركى، ومما أذكره فى هذا الشأن أن الحكومة الليبية قد قررت ذات مرة إقامة مركز ثقافى إسلامى وتوابعه فى أرض اشترتها السفارة الليبية آنئذ هناك فى الجانب التركى وعندما شرع فى البناء بدأت الضجة والنقد بل والتهجم والاتهام، كتابات صحفية وتعليقات إعلامية وغير ذلك فكان أن طلبت مقابلته لأشرح له الغرض من إقامة ذلك المركز الإسلامى فى المنطقة التركية أى (الجانب التركى من مدينة نيقوسيا) وما سمعت منه إلا القول: (إن هذا شعبى وذلك كذلك ولا فرق بينهما) ثم علق ضاحكا بالقول: (من طبيعتنا أنك إذا أعطيت القبرصى اليونانى ٩٩٪ وأعطيت القبرصى التركى ١٪ فإن القبرصى اليونانى ينسى الـ ٩٩٪ ويحتج على الـ ١٪) وكرر القول: (بالتنسبة لى فإن الكل قبارصة) ولقد كانت لى علاقة جد حميمية مع الرئيس مكاريوس وكنت ألتقيه كلما رغب ذلك وأشهد له بالكثير من المواقف النبيلة تجاه قضيتنا العربية (القضية الفلسطينية) وكانت له دائما أحاديث وذكريات جميلة عن الرئيس جمال عبد الناصر وأيديه البيضاء (رحمهما الله) وقد يأتى الظرف المناسب للحديث عن تلك الأمور تفصيليا لأن بعضه ما زال من أسرار الوظيفة.

كان الرئيس مكاريوس رجل دين ودولة يدرك كبر وأهمية رصيده لدى الشعب القبرصى لكنه فى الواقع لم يستفد من ذلك الرصيد الكبير بحيث يعلن على الملأ (أن لا وحدة وإنما نعم للاستقلال) ذلك أن قبرص لن تكون إلا لقبارصة أترাকা ويونانيين، وربما لم يساعده أيضا أولئك الساسة الأتراك فى الجانب الآخر الذين كانوا يظهرهم الكثير من الفطرسية ربما لأنهم لا يريدون حلا للمشكلة التى يستفيدون منها ليلًا ونهارًا أو ربما سيطرت عليهم عقد الماضى والخوف من تكرار المأسى، لم يقل الرئيس مكاريوس ذلك فى العلن أبدا رغم إيمانه به (ربما) لأنه كان يخشى القوى المعارضة أمثال بقايا أعضاء منظمة أيوكا، وكان المتطرفون يرفضون رفع العلم القبرصى وبدلا منه يرفعون العلم اليونانى على المباني الحكومية وحتى على مقدمة سيارة الرئاسة، وفى المناسبات والأعياد كانوا يعرضون أعلاما يونانية كبيرة على بيوتهم ومحالهم، وهذا الشيء دفع بالقبارصة الأتراك إلى رفع العلم

التركي (ذلك أن التحدي يقابل عادة بالتحدي) والمثل العربي يقول: (العناد يولد الكفر) ولقد كان الرئيس مكاريوس يدرك تماما الخطر الذي يمثله التدخل اليوناني في بلاده ومصيرها وكان كذلك يعرف أن منظمة (أيوكا - ب) أي الثانية والتي ظهرت بعد الاستقلال مدعومة من النظام العسكري في أثينا، كما كان ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص من الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني القبرصي والقضاء على تلك المنظمة، ولكن كما يقال (تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن) ولقد كانت الرياح كلها ضد رغبته، الرياح الآتية من أثينا والأخرى المندفعة من أنقرة والزوابع التي تثار من الداخل (في قبرص) نتيجة لتلك الرياح الآتية من كل جانب وهي عاتية (ومكاريوس بطبيعته كرجل دين يتحرك ببطء ولا يتخذ أى إجراء إلا بعد تأن ودراسة وهذه أحيانا تكون مضرة) وهذا ما نجده في تلك الرسالة الهامة والبلغية التي وجهها إلى الجنرال (جيزيكس) الرئيس اليوناني آنئذ والحاكم العسكري والتي نورد جزءا منها هنا تأكيدا لما نقول وكانت قبل الانقلاب مباشرة وعندما توفرت لديه المعلومات المخبرانية، تقول الرسالة :

(نيقوسيا في ٢ يوليو ١٩٧٤م)

السيد الرئيس، إنه مع عميق الأسف أن أجد نفسى مضطرا لإبلاغكم عن أسباب وحقائق غير مقبولة والتي أرى أن الحكومة اليونانية مسئولة عنها، ذلك أنه منذ وصول الجنرال (قريفاس) السرى إلى قبرص خلال شهر سبتمبر ١٩٧١م تواترت شائعات وهناك عدة مؤشرات تؤكد أن مجيئه إلى قبرص كان بتشجيع من بعض الدوائر في أثينا، منها أنه منذ الأيام الأولى لمجيئه إلى قبرص كان على اتصال مع ضباط يونانيين يعملون في الحرس الوطني وهم الذين يقدمون له المساعدة والمساندة في محاولاته من أجل تكوين منظمة غير شرعية بادعاء النضال من أجل الوحدة، ولقد تكونت منظمة إجرامية (أيوكا - ب) وهي التي كانت سببا ومصدرا للعديد من الأمراض لقبرص، وإن نشاطات هذه المنظمة التي كانت تحت ادماء الوطنية وشعارات الوحدة قد ارتكبت اغتيالات سياسية والكثير من الجرائم الأخرى

المعروفة لدينا جيدا، ولقد كان الحرس الوطني الذي يقوده ويشرف عليه ضباط يونانيون منذ البداية المزود الأساسي (لأيوكا ب) بالرجال والمعدات هذه المنظمة التي يقوم أعضاؤها بأعمال مسيئة ويسمون أنفسهم وحديين ومجندين للوحدة، وفي كثير من المناسبات كنت أفكر في سؤال يقول : (ما فائدة منظمة غير شرعية مخربة تحدث الانقسام والتوتر الداخلى وتجعل الجبهة الداخلية تختلف وتدفع القبارصة اليونانيين إلى الحرب الأهلية في قبرص ؟) الشيء الذي يجد التأييد من طرف الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني، وتساءلت في كثير من الحالات كما فكرت فيما إذا كان هذا العمل موافقا عليه من جانب الحكومة اليونانية، وتجول في ذهني أفكار ووقائع ومؤشرات تدفعنى إلى الاقتناع بوجود جواب منطقى لشكوكى وتساؤلاتى، ومن الطبيعى أنه لا يمكن أن يقوم أي جواب مدعوم بأسس منطقية إلا على أساس تأييد ومساندة الضباط اليونانيين لمنظمة غير شرعية هي (أيوكا - ب) وهذا يكون في الواقع حقيقة لا يمكن إنكارها، كذلك فإن معسكرات الحرس الوطني والمناطق القريية منها تزينها شعارات مؤيدة لقريفاس ومنظمة أيوكا ب، وهما ضد الحكومة القبرصية وبشكل خاص ضد شخصى في حين أن الضباط اليونانيين يقومون بالدعاية داخل معسكرات الحرس بشكل علنى، كذلك فإنهم من المعروف والمعلن ولا يمكن إنكاره كون الصحافة المعارضة التي تؤيد (أيوكا ب) ونشاطاتها تعمل من طرف أثينا وهي توجه وتحصل على معلوماتها من أشخاص مسئولين في المكتب وهيئة الأركان ومكتب المعلومات الرئيسي اليونانى في قبرص، والواقع أننى كلما أرسلت شكوى إلى الحكومة اليونانية عن اتجاهات ومواقف وتصرف بعض الضباط اليونانيين ألقى الرد الذى يقول إننى لا يجب أن أتردد في الإبلاغ عن أسماء ذلك النوع من الضباط مع إيضاح الاتهامات ضدهم بحيث يمكن إعادتهم من قبرص ولقد قمت بذلك خلال مناسبة واحدة رغم أن ذلك لا يسعدنى لأن الشر لا يمكن التعامل معه بتلك الطريقة والمهم معرفة ذلك الشر وعمقه وكيفية التعامل معه ومنه، وبكل بساطة يؤسفنى أن أقول السيد الرئيس، إن جذور الشر عميقة جدا وهي تمتد إلى أثينا ومن هناك تنفذ ومن

هناك تنمو كشجرة شر وهى التي يذوق ثمارها المرة القبارصة اليونانيون اليوم، ومن أجل أن أكون أكثر وضوحا وتحديدا لأبد أن أذكر أن عناصر من النظام العسكرى اليونانى يؤيدون ويوجهون الأنشطة الإرهابية لمنظمة (أيوكا ب) وهذا يبينه اشتراك الضباط اليونانيين فى تلك العمليات غير الشرعية والمؤامرات والأوضاع غير المقبولة، إن الأدلة المدينة لدوائر النظام العسكرى توجد بالوثائق التي ضببت في حيازة أشخاص قياديين في منظمة (أيوكا ب)، إن الأموال الكثيرة التي ترسل من المركز الوطنى لتمويل احتياجات هذه المنظمة معروفة، ولقد حدث أنه بعد وفاة قريفاست واستدعاء الرائد (كاراسوس) الذي كان قد جاء معه صدرت الأوامر بشأن قيادة المنظمة، وعموما فإن كل الأنشطة تأتى من أثينا وليس من الممكن الشك في صحة هذه الوثائق ذلك أن في طباعتها بعض التصحيحات بخط اليد وكتابتة الذي أصدرها معروفة جيدا (أرفق إليكم كمثال على ذلك واحدة من هذه الوثائق... انتهى الجزء الأول من الرسالة).

وكانت فرصة الرئيس مكاريوس التي استخدمها بشكل مثير ومؤثر قد جاءت مباشرة عندما يخرج إلى الأمم المتحدة بعد الانقلاب عليه فألقى خطابا طفق بكل ما كان يثور في وجدانه من مرارة وألم ونظرا لطول الخطاب فإننا نلخص منه بعض الفقرات (ويجده القارئ الكريم في ملاحق الكتاب).

مجلس الأمن الدولى، نيويورك، ذلك كان المسرح.

التاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٤م، كان الزمان والحدث يظهران متمثلين في ملامح وجه الرئيس مكاريوس الرجل الذي كان بشوشا دائم الابتسام سماحة وتسامح رجل الدين يحكمنا تصرفه وحتى حركة يديه وتلك الصلبان المتدلية على صدره، يتحدث رئيس مجلس الأمن في تلك الدورة فيقول: إن مجلس الأمن سوف يستمر في النظر للبند الذي على جدول أعماله وأنا الآن أشرف بأن أعطي الكلمة إلى صاحب القداسة الأسقف مكاريوس رئيس جمهورية قبرص..

الرئيس مكاريوس: إننى أعرب عن شكري لأعضاء مجلس الأمن على اهتمامهم البالغ الذي أظهِروه في الظرف العصيب الذي طرأ في قبرص بعد

الانقلاب الذي نظمته الحكم العسكرى اليونانى ونفذه الضباط اليونانيون العاملون في قيادة الحرس الوطنى القبرصى (استعمل تعبير عصاة العسكر في اليونان) وأنا ممتن جدا إذ وافق مجلس الأمن بشكل خاص على تأجيل اجتماعه حتى أحضر إلى هنا ليتيح لى فرصة التحدث عن المسألة والحدث المدوى الذي حل بقبرص حاليا، وما حل في قبرص منذ صباح يوم الإثنين الماضى إنما هو كارثة حقيقية ذلك أن الحكم العسكرى في اليونان قد انتهك بشكل فاضح استقلال الجمهورية القبرصية، والحقيقة أنه منذ بعض الوقت كان توجههم واضحا، ولقد قام الحكم العسكرى في اليونان بتوسيع دكتاتوريته إلى قبرص وكان الشعب القبرصى يدرك منذ مدة أن الانقلاب الذي يعد من طرف الحكم العسكرى في اليونان صار ينضج وهذا الشعور صار يتعمق خلال الأسابيع الماضية عندما حدث وجددت المنظمة الإرهابية (أيوكا ب) التي تستقر جذورها غير الشرعية في أثينا وتحصل على تمويلها من هناك، وكنت على بينة أن الضباط اليونانيين الذين يعملون في الحرس الوطنى القبرصى كانوا يجندون أعضاء لهذه المنظمة وكانوا يساعدونها ويوفرون لها السلاح والعتاد من مخازن الحرس الوطنى، وكانوا في معسكرات الحرس الوطنى يقومون بالدعاية علنا لصالح المنظمة غير الشرعية وقد حولوا الحرس الوطنى من أداة للدولة إلى أداة للتمرد، وعندما كنت بين وقت وآخر أشكو هذه التصرفات إلى أثينا - التصرفات التي يقوم بها الضباط اليونانيون بين أفراد الحرس الوطنى - كان الرد يجيء دائما إنه إذا توفر لدى البرهان المؤكد فإن أولئك الضباط الذين يثبت أنهم مذنبون سوف ينقلون وكنت من خلال كل تصرفاتهم أصل إلى الموقف الذى لا خطأ فيه وهو القائل إن أولئك الضباط أبرياء (هذا من طرف أثينا) ومنذ أيام وصل إلى سلطات الأمن القبرصى عديد من الوثائق تدل على أن منظمة (أيوكا ب) هى ذيل للنظام العسكرى في أثينا ذلك أن أموالا كانت تحول من أثينا لأعمال هذه المنظمة وأن تعليمات محددة من أجل عملياتها كانت تعطى لها، ومن هنا رأيت أن أوجه رسالة إلى رئيس النظام العسكرى اليونانى الجنرال (جيزيكس) طالبا منه أن يصدر تعليماته لإيقاف الشغب وإراقة الدماء التي تحدث بفعل منظمة أيوكا هذه وطلبت

منه أن يستدعى الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني القبرصى مضيفا إلى ذلك رغبتى فى تقليل عدد هذه القوة وجعلها أداة للدولة القبرصية، وكان انطباعى أن النظام العسكرى اليونانى لا يرغب فى تخفيض تلك القوات ناهيك عن سحب الضباط اليونانيين وقد طلب السفير اليونانى فى قبرص مقابلتى ليشرح أن التقليل من القوات أو سحب الضباط اليونانيين سوف يضعف القدرة الدفاعية لقبرص فى حالة الخطر من طرف تركيا، وكان هذا الأمر على الرغم من وجهاته غير مقنع لأننى كنت أعرف أن وراءه أغراضاً خفية وقد رددت عليه أنه بناء على التطورات فإننى أرى أن الخطر من تركيا أقل بدرجات من خطر هؤلاء الضباط ولقد تأكد أن مخاوفي كانت حقيقية، وفي ١٣ يوليو عقد مؤتمر برئاسة الجنرال (جيزيكس) فى أثينا استمر لعدة ساعات وحضره رئيس أركان القوات المسلحة اليونانية والسفير اليونانى فى قبرص وقائد الحرس الوطنى القبرصى وعدد آخر من الرسميين وكان الغرض من ذلك هو البحث فى الرد على رسالتى وكما اتضح من بيان لهذه المناسبة صدر فى نهاية المؤتمر أن مؤتمراً آخر سيعقد فى يوم ١٥ يوليو، ولقد كانت الإشارة على عقد المؤتمر مرة أخرى خادعة، وبينما كنت أنتظر رداً على رسالتى يوم الإثنين ١٥ يوليو جاء ذلك الرد وكان انقلاباً عسكرياً، وفى ذلك اليوم رجعت من بيتى الصيفى فى جبال ترودوس حيث كنت أقضى عطلة نهاية الأسبوع، وكنت عند الساعة الثامنة صباحاً فى مكتبى بالقصر الرئاسى وبعد ذلك بفترة نصف ساعة كنت أستقبل مجموعة من الشباب والشابات أعضاء الجالية الأرثوذكسية فى القاهرة الذين جاءوا إلى قبرص فى ضيافتى لعدة أيام وبينما كنت أرحب بهم بدأت تسمع أولى القذائف ثم تتابع القصف وأبلغنى الحرس الرئاسى عن عربيات مصفحة ودبابات قد دخلت ساحة القصر الذى كان يهتز من جراء القصف وسرعان ما تعقد الموقف وقد حاولت أن اتصل بالإذاعة لغرض إصدار بيان فاكشفت أن خطوط الهاتف قد قطعت... انتهى.

ويستمر الرئيس مكاريوس فى سرد قصة الانقلاب وكيف استطاع الإفلات حيث غادر القصر الرئاسى من طريق قال إنه سرى خلف القصر وكيف وصل إلى

مدينة (بافوس) وهى مسقط رأسه ومقر مؤيديه وأنصاره من القبارصة اليونانيين، ونظراً إلى أن الخطاب طويل فإننا نكتفى بعدة ملاحظات على ما جاء فيه، ويجد القارئ الكريم نصه مترجماً ضمن ملحق الكتاب، والملاحظات هى :

١- أن الرئيس مكاريوس اتهم علناً وبوضوح الحكم العسكرى اليونانى الذى يصفه بالدكتاتورية بتدبير الانقلاب عليه وورد ذلك عدة مرات فى خطابه ذاك.

٢- يصف منظمة (أيوكا ب) بالإرهاب، علماً بأن (أيوكا أ) قد ناضلت من أجل الاستقلال التام لقبرص وكان مكاريوس مرشدها الروحى بينما كان قائدها العسكرى الفعلى العقيد (قريفاس) والذى صار يوصف بقلب (الجنرال) كما ورد سابقاً، فمكاريوس يصف هذه المنظمة التى ظهرت بعد الاستقلال وأسمت بذلك الاسم على اعتبار أنها نسخة ثانية من أيوكا الأولى على أنها إرهابية وغير شرعية (وهى فعلاً كذلك) ولقد كانت هى وقائدها ضد مكاريوس وضد الاستقلال، ولذلك فإن مكاريوس يتهمها بإثارة الشغب والإرهاب ويقول إنها ذيل للحكم الدكتاتورى فى أثينا..

٣- يقول فى واحدة من فقرات الخطاب ما نصه : (قد يقال إن حكومة قبرص هى التى استدعت الضباط اليونانيين ليقودوا الحرس الوطنى القبرصى وأنه ليؤسفنى أن أقول إنه كان خطأ منى أن أضع فيهم الكثير من الثقة وتوقع المصادقية، وقد أساءوا استغلال تلك الثقة والأمانة فبدلاً من أن يساعدوا فى الدفاع عن استقلال الجزيرة وسيادتها ووحدة أراضيها أصبحوا هم أنفسهم المعتدين، وأنا مجبر على القول إن سياسة النظام العسكرى فى أثينا تجاه قبرص وخصوصاً القبارصة اليونانيين لم تكن صادقة وإنما كانت سياسة مخادعة (ونلاحظ هنا مراعاة التعبير).

وشدد مكاريوس فى ذلك الخطاب على كلمة (الاستقلال) استقلال قبرص ووحدة أراضيها مما يعنى أنه كان على قناعة بأنه لا حل لمشكلة قبرص إلا بالاستقلال، أى أنه صار ضد الوحدة وهذا بالتأكيد ما كان يضمه أى أنه أسلاً لم يكن يرى إمكانية تحقيق مطلب تلك الوحدة وإن لم يملن ذلك لأسباب كثيرة وربما

كان ينتظر الوقت المناسب (والمقصود هنا بالوحدة هي وحدة قبرص مع اليونان) وهو أيضا بالتاكيد كان يدرك أن تلك شعبية لا يقبل بها لأنه ليس يونانيا أو لا يقبل أن يكون يونانيا وإن قبل بأن يكون قبرصيا.

وبعد انتهاء مكاريوس من خطابه أمام أعضاء مجلس الأمن الدولي أعطيت الكلمة لممثل اليونان الذي كان عليه أن يرد مدافعا عن موقف حكومته ولكنه بدلا من الرد اندفع يتهم الرئيس مكاريوس بالديكتاتورية وحكم الفرد وقتل الخصوم والتآمر (الشيء الذي كان مضحكا ومبكيا في نفس الوقت لأنه بذلك كما لو كان يصف نظام حكم بلاده وليس مكاريوس) وهذا موجز من الكلام الذي ورد في خطابه والذي لم يقابل إلا بالامتناع من المستمعين.. (قال ممثل اليونان ويدعى بايوناكوس: سيدي الرئيس إنني أولا أود أن أشكركم على جعل حديثي ممكنا بحضورى اليوم أمام هذه الجلسة، إنها في الحقيقة صدفة ذلك أننا في انتظار ممثل اليونان الدائم الجديد، وأنا أشعر مع ذلك بسعادة أن أكون مرة أخرى بين أصدقاء ورفاق قدامى، على الرغم من حقيقة أن هذا الحضور جاء في وقت مؤلم وخبرتى في ذلك كسفير سابق في قبرص تمكننى من أن أقدم حقائق مؤكدة أدت إلى الحالة الراهنة في هذه الجزيرة.. انتهى المقتطف من خطاب المندوب اليونانى..

ولقد حاول هذا المندوب الدفاع عن موقف بلاده إلا أنه كان عصبيا وقد صب جام غضبه على مكاريوس متهما إياه بالقتل والفرد ونكران الجميل بينما كان مكاريوس يجلس هادئا دون أن يظهر عليه أى تأثر أو قلق مما يسمع لأنه ربما كان يعرف تماما أثر حديثه على أعضاء مجلس الأمن الدولي، وبعد أن انتهى مندوب اليونان من الخطاب تحدث أعضاء المجلس كل حسب وجهة نظر بلاده، وانتهى المجلس إلى إصدار قرار كان نصه كما يلى :

قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ لسنة ١٩٧٤..

اعتمد مجلس الأمن في اجتماعه رقم ١٧٧٩ الذي عقد بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٧٤م القرار التالى ورقم ٣٥٣.

مجلس الأمن، تدارس تقرير الأمين العام في جلسته رقم ١٧٧٩ عن التطورات الحالية في قبرص، وقد استمع إلى خطاب الرئيس مكاريوس وكلمات ممثلي كل من قبرص وتركيا واليونان وبلدان أعضاء أخرى، وتدارس في اجتماعه الحالى تطورات أخرى في الجزيرة وحزن بعمق على انفجار الصراع واستمرار سفك الدماء ويهتم كثيرا بشأن الوضع الذي أدى إلى تهديد حقيقى للسلام والأمن الدوليين والذي خلق وضعاً متفجراً جداً في كل منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، ويهتم بالمثل بضرورة إعادة الوضع الدستوري في جمهورية قبرص الذي أقيم وضمن باتفاقيات دولية مذكرا بقرار مجلس الأمن رقم (١٨٤ / ١٩٦٤م) المؤرخ في ٤ مارس ١٩٦٤م وقرارات مجلس الأمن المماثلة في هذه المسألة والمسئولية الأساسية في حفظ السلام والأمن الدوليين طبقاً للمادة ٢٤ من ميثاق الأمم المتحدة..

- ١- يطلب من كل الدول احترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي قبرص.
- ٢- يطلب من كل الأطراف في القتال الجارى حالياً كخطوة أولى إيقاف كل قتال ويطلب من كل الدول أن تمارس أكبر قدر من المسئولية وأن تمتنع عن أي عمل قد يؤدي إلى زيادة تعقيد الوضع.
- ٣- يطلب نهاية فورية للتدخل، أى تدخل أجنبى في جمهورية قبرص مما يخالف نص الفقرة (١).
- ٤- يطلب الانسحاب بدون إبطاء لكل العسكريين الأجانب من قبرص من غير أولئك الذين نص عليهم في اتفاقيات دولية بمن في ذلك أولئك الذين طلب سحبهم الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص بموجب رسالته فى ٢ يوليو ١٩٧٤م.
- ٥- يطلب من اليونان وتركيا والمملكة المتحدة العظمى أن يدخلوا في مفاوضات بدون إبطاء من أجل إعادة السلام في المنطقة والحكومة الدستورية لقبرص على أن يجعلوا السكرتير العام على علم..
- ٦- يطلب من كل الأطراف التعاون الكامل مع قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة لتمكينها من القيام بالواجب الذي فوضت به..

٧- قرر أن يبقى الوضع تحت المراقبة والملاحظة الدائمة ويطلب من الأمين العام أن يبلغ عن وجهات النظر في الوقت المناسب بحيث يمكن اتخاذ إجراء لتأمين الظروف السلمية الكاملة والحفاظ عليها .. انتهى.

كان ذلك قرار مجلس الأمن الدولي الذي صدر بعد الانقلاب على نظام الرئيس مكاريوس، والقرار صدر بعد أسبوع فقط من تاريخ الانقلاب والواقع أن المجلس قد استجاب لمطالب الرئيس مكاريوس وتعاطف مع الوضع الذي يعيشه الشعب القبرصي، ومن الملاحظ أن المندوب التركي كان أكثر المؤيدين والمتحمسين لموقف الرئيس مكاريوس، ولذلك بطبيعة الحال أسباب معروفة وهى تتسجم مع الموقف التركي في ذلك الظرف، إذ إن الهجوم على اليونان من طرف الرئيس مكاريوس يقوى الموقف التركي من القضية ككل ويباعد بين الطرفين (اليوناني والقبرصي اليوناني) ويجعل مطالب الوحدة مع اليونان موضع شك والتعامل مع الحكومة اليونانية موضع ريبة ليس في مجلس الأمن فقط ولا كذلك مكاريوس وحده وإنما أغلب فئات الشعب القبرصي ولابد أن اليونان ستقف موقف العداء من الرئيس مكاريوس وذلك ما فعله بكل غباء المندوب اليوناني لدى الأمم المتحدة الذي هاجم الرئيس مكاريوس بدلا من أن يتحدث عن قبرص وشعبها وما يمكن أن يعتبره نوعا من المعاناة أو حتى فوائده الوحدة إذا أمكن تحقيقها سلميا مع أنه كان يمكن الاعتراف بخطأ القيام بمثل ذلك الانقلاب الغبى بحيث ربما يكسب بعض التعاطف، لكنه لم يفعل وهكذا كان موضع هزة، كذلك أسعد الوفد التركي ذلك الهجوم الشديد الذي قام به الرئيس مكاريوس على منظمة (أيوكا ب) على اعتبار أن ذلك يؤكد اتهام تركيا للجانب اليوناني وتلك المنظمة التي تعتبرها تركيا سبب معاناة القبارصة الأتراك ومشاكلهم بل إنها سبب التقاتل الذي حدث بين الطائفتين منذ ما بعد الاستقلال مباشرة، ونجد السيد (قلافكوس كلاريدس) الرئيس الحالي لقبرص يتحدث عن الوضع في مذكراته التي صدرت أخيرا على النحو التالي :

(تحت عنوان، مكاريوس في مجلس الأمن الدولي يوم ١٩ يوليو ١٩٧٤ م يقول:

في الصباح الباكر من يوم السبت ١٩ يوليو أبحر الغزو البحرى التركى المسمى (أرمادا) ^(١)، من تركيا إلى قبرص طبقاً لأوامر صدرت من (أتشافيد) ^(٢)، من مقر السفارة التركية في لندن فى تمام الساعة الحادية عشرة صباحا يوم ١٨ يوليو، وبينما كانت قوات الغزو التركى تبحر في اتجاه قبرص كان مجلس الأمن الدولى يجتمع في نيويورك، وأسفاه، ليس للنظر في منع الهجوم التركى على قبرص وإنما لبحث الاتهامات من طرف مكاريوس لليونان والتي كانت تقول إن الحكم العسكرى اليونانى قد خرب النظام الدستورى في قبرص المضمون من طرف تركيا واغتصب استقلال قبرص وهذا أيضا مضمون من طرف تركيا ووضع سلامة الطائفة القبرصية التركية في خطر كما مد الدكتاتورية اليونانية إلى قبرص، ولو احتاجت تركيا إلى أي عذر لتبرير حملتها العسكرية ما كان يمكن أن تجد أحسن من هذا الكلام الذي توفر لها أثناء مناقشة مجلس الأمن الدولي، ومكاريوس بالتاكيد لم يعلم أنه في الوقت الذي كان يتحدث فيه أمام مجلس الأمن الدولي أن (الأرمادا) قد أبحرت كما أن الادعاء بأن الغزو قد أمر به بعد مناقشة مجلس الأمن الدولي كان صحيحا أو أنه حدث بعد أن شجع عليه ما قاله مكاريوس، وإنما الأمر للقوات أن تتجه إلى قبرص كان قد أعطى في الليلة السابقة لبروغ شمس يوم ١٩ يوليو، ومن الناحية الثانية فإن الحكم العسكرى في اليونان كان قلقا من الاتجاه والمطالب التركية والمساعدة التي أبدت الولايات المتحدة رغبتها في القيام بها، فقد كان (سيسكو) ^(٣) في أثينا يوم ١٨ يوليو وأوضح للنظام العسكرى اليونانى نية تركيا في التدخل العسكرى في قبرص وشروط تركيا كيلا تتدخل كما أبدى رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في المساعدة لحل الأزمة، وكان يمكن للنظام العسكرى اليونانى أن يوافق على استدعاء الضباط الذين قاموا بالانقلاب بأمر (سميسون) ^(٤) بالاستقالة ويسمح بعودة مكاريوس، وكان يمكنه أن يقول (نعم) للمباحثات مع تركيا، وهكذا كان

(١) الاسم الكودى الذى أعطى للحملة البحرية .

(٢) بولنت أتشافيد (أجاويد) رئيس وزراء تركيا وقتئذ .

(٣) جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت .

(٤) سميسون هو نيكوس سميسون الذى عينه الانقلابيون رئيسا لقبرص .

يمكنه أن يجنب قبرص الغزو ويوقف بذلك البواخر التي كانت تمخر عباب البحر إلى قبرص ويبقيها في المياه التركية خصوصا أن النظام العسكري اليوناني لم يكن قادرا على منع الغزو ولا كان جاهزا للمقاومة، ولو كان ذلك قد حدث فإن قبرص كانت قد تفادت الغزو ونتيجة الاحتلال، ولسوء الحظ فإن واحدة من سقطات الجنس اليوناني أنه كان هنالك صراع داخلي ونزاع فإن كراهية عظيمة تتولد وتوجه بواسطة الأطراف المتقاتلة بعضها إلى البعض الآخر إلى حد أن كل الأخطار الخارجية أو هذه جميعا تفقد كل التفكير المنطقي، والمؤسف أن الغضب الإغريقي المدمر للنفس والكراهية لم يكونا غائبين يوم ١٩ يوليو ١٩٧٤م ولم يتوقف أى طرف ليفكر بهدوء ومنطق ولو فعلوا حتى بدون توفر المعلومات، وهى على أى حال كانت متوفرة، كان يمكن أن يصلوا إلى نتيجة أن الغزو التركي قد تقرر ولم تبذل أى محاولة لا من طرف الجريح (مكاربيوس) ولا المخطئ (النظام اليوناني) ليوقفوا لهما، فقد استمر مكاربيوس في اتهاماته ضد الحكومة بشأن التدخل اليوناني في قبرص وتأثيره على النظام الدستوري واستقلال قبرص وسلامة الطائفة القبرصية التركية، كما استمر هجوم ممثل اليونان السيد (بانايوتاكوس) على مكاربيوس بكلام متهم إياه بأنه حكم مطلق ونظام فاسد سيئ النوايا يستخدم التعذيب لقهر معارضيه السياسيين، ولقد عماهم الغضب ضد بعضهم حتى أن الوفد القبرصي والوفد اليوناني اشتباكا في معركة بالأيدي وظهروا بالكامل غافلين عن الخطر القاتل الذي تواجهه قبرص بل إنهم فشلوا في أن يدركوا الموقف الحقيقي من خلال اتجاه الوفد التركي الذي أيد استمرار الوفد معتمدا لدى الأمم المتحدة والذي كان قد ألغى اعتماده (سمبسون) وقد أيد كذلك المندوب التركي حق مكاربيوس في التحدث إلى مجلس الأمن، وعموما فإن تأييد الوفد التركي لموقف قبرص كان إلى الحد الذي جعل السيد (زينون روسيدس) المندوب القبرصي يعرب عن شكره للممثل التركي الدائم على كفاءته وهو السيد (أوكاي) والذي من المؤكد أنه كان يفعل ذلك بتعليمات من أنقرة، والحقيقة أن تركيا قد أعطتنا الحبل لنشلق به أنفسنا لأننا فقدنا الرؤية بالكامل في غضب المعركة اليونانية الخاصة.. انتهى) كان هذا ما ذكره السيد

قلافكوس كلاريدس عندما تحدث عن تلك المرحلة في مذكراته وهو في الواقع محق فيما ذهب إليه لأن الانقلاب على الرئيس مكاربيوس كان بفعل الحكومة اليونانية والضباط اليونانيين سواء كانوا حاكمين في اليونان أو أولئك الذين كانوا يقومون بقيادة وتدريب الحرس الوطني القبرصي، وكان محقا كل الحق في اتهامه النظام العسكري في اليونان وأولئك الضباط، كان السيد كليريدس (وهو السياسي المخضرم) على صواب عندما قال إن النظام العسكري اليوناني لو قبل الوساطة الأمريكية ووافق على المطالب التركية لكان جنب قبرص الغزو والاحتلال، وتلك حقيقة، ولكن الحقيقة الأكبر أن أولئك العسكر في أثينا كانوا جزءا من اللعبة الدولية التي تقرر أن تكون قبرص ضحيتها، كذلك ربما لم يكن السيد كليريدس يعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد قررت التخلص من أولئك العسكر المتفطرسين الذين جعلوا الوجود الأمريكي غير مرغوب فيه والمصالح الأمريكية في منطقة البحر الأبيض المتوسط مهددة وفي خطر (وذلك ما جاء في تقرير لجنة تقصى الحقائق التي كلفها الكونجرس الأمريكي بذلك العمل، وأشرنا إلى ذلك فيما سبق) وعلى هذا الأساس فإن إمكانية سحب الضباط اليونانيين من الحرس الوطني غير واردة وكذلك إعادة الرئيس مكاربيوس أو قبول الشروط التركية، وهذا مما يؤكد تواطؤ الحكم العسكري اليوناني في المؤامرة دون أن يدرك أولئك الضباط أن المقصود هو نظامهم وليس غيره، ونعلم أن لقاءات ومشاورات قبل الغزو مباشرة وبعد الانقلاب بيوم واحد قد جرت ولم يكن الرئيس مكاربيوس قد تمكن من الخروج بعد، ومن خلال تلك المشاورات نفهم أن تركيا كانت مصممة في شخص رئيس وزرائها السيد (أجاويد) على التدخل لحماية الطائفة التركية القبرصية وإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل الانقلاب ومنع الإخلال بالتوازن القائم في قبرص سياسيا وعسكريا، وهذا الموقف التركي تكرر وحدث عدة مرات لأنه من المعروف والمعلوم أن تركيا لن تسمح بالوحدة مع اليونان أو السيطرة اليونانية على الجزيرة، وبعد أن تدخلت صار لها أن تفرض شروط المنتصر، وحتى بعد سقوط الحكم العسكري وعودة الشرعية في قبرص وبعد سنوات من ذلك الانقلاب والغزو وتطور

الأحداث نرى أن أزمة جديدة وحادة تظهر مجددا وفي هذا الوقت الذي يعد فيه هذا الكتاب أي (١٣ / ١ / ١٩٩٧م) هذه الأزمة تمثلت في إعلان الحكومة القبرصية أنها قد وقعت اتفاقا مع روسيا لشراء صواريخ مضادة للجو بعيدة المدى، وفور الإعلان هذا هددت تركيا بالتدخل العسكري لمنع نصب هذه الصواريخ في قبرص لأنها كما قالت ترى أنها تخل بالتوازن العسكري القائم وهو الأمر الذي لا يمكن أن تسمح به، وبنفس الطريقة أبدت الولايات المتحدة الأمريكية استعدادها للتوسط وأرسلت مبعوثا لبحث الوضع حيث زار كلا من اليونان وقبرص ولا شك مطلقا في أن تركيا ستفعل ما أعلنت عنه إذا لم تتراجع الحكومة القبرصية عن شراء تلك الصواريخ وإن كنا نعتقد أن الصفقة أساسا ربما تمت فقط من أجل تحريك القضية إذ لا أحد يمكن أن يشك ولو للحظة واحدة أن تركيا يمكن أن تسكت على ذلك، على أن الأمر حتى لو كان من أجل تحريك القضية فهو بالتأكيد خطأ في التقدير لأن آثاره ستكون شديدة على قبرص وخصوصا من الناحية السياسية..

وربما يكون مفيدا أن نعود قليلا إلى موقف الولايات المتحدة وتركيا والانتقال من خلال مذكرات السيد (كليريدس) مع العلم بأن مذكراته صدرت قبل أن يصل إلى مقعد الرئاسة في بلاده.. يقول :

في ١٦ يوليو أرسل وزير خارجية تركيا برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية طالبا التشاور بين القوتين الضامتين كما تقرر في معاهدة الضمان وكانت هذه خطوة لازمة قبل ممارسة حق العمل المنفرد بواسطة أي طرف من الأطراف الضامنة الثلاثة، وفي ١٧ يوليو ردت الحكومة البريطانية على الحكومة التركية بشأن التشاور وقد قبلت الطلب ولكنها عمدا لم تحدد تاريخا لذلك، وأجاويد الذي كان قد قرر إرسال قوات إلى قبرص وكان قد أصدر التعليمات للجيش التركي بأن يكون جاهزا لغزو قبرص غادر على الفور إلى لندن حيث وصل مساء نفس اليوم (السابع عشر من يوليو) وقبل المغادرة إلى لندن عرف وأجاويد أن الأغلبية من وزرائه وبعض زعماء المعارضة كانوا ضد التدخل العسكري ومع العمل الدبلوماسي وقد ظهر الموقف الحذر خصوصا من طرف كل من (ديميريل ونيهان أرسيم) اللذين كان ربما

موقفهما الحذر بسبب موقف (كيسينجر) الفامض وأثناء محادثات أجاويد وويلسون ظهر الموقف التركي على الشكل التالي :

١ - أن الانقلاب خطط بواسطة الحكومة اليونانية ونفذ بواسطة الضباط اليونانيين في قبرص والقوات اليونانية هناك.

٢ - أن تركيا لن تصبر على حكومة سمبسون وسوف لن تسمح لتوازن القوى الذي أقيم في قبرص أن يختل، وتركيا تعتبر سمبسون تهديدا لأمن الطائفة القبرصية التركية.

٣ - وتركيا ترغب في إنزال قوات في قبرص عبر القواعد البريطانية من أجل أن تتفادى إراقة الدماء وأن بريطانيا كضامن عليها أيضا مسئولية التدخل وأن تسمح باستخدام تلك القواعد من أجل حماية الأمن والاستقرار.

٤ - اليونان وقد خططت ونفذت الانقلاب قد زالت حقوقها كضامن وهكذا فإنه لا حاجة لاجتماع بين الضامتين الثلاثة لأن هذا ليس ممكنا قبل اتخاذ إجراء منفرد بعيد الوضع إلى ما كان عليه من توازن في القوى..

وكان الموقف البريطاني كما تبين خلال اللقاء كما يلي :

١ - أن الحكومة البريطانية قد طلبت من الحكومة اليونانية سحب الضباط الذين نفذوا الانقلاب في قبرص بالإضافة إلى أنها طلبت أيضا استقالة سمبسون وعودة مكاريوس، وعقد مباحثات في لندن بين الضامتين الثلاثة.

٢ - أن عملية عسكرية من طرف واحد وخصوصا تركيا ستؤدي إلى حرب تركية يونانية وتلك ستؤدي إلى تدمير الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي والتي ستكون ذات فائدة كبيرة للاتحاد السوفيتي الذي ينتظر مثل هذه الفرصة.

٣ - أن معاهدة الضمان لا تسمح بعملية عسكرية وقد أعلن وزير الخارجية (جيمس كالاهاون) بيانا بهذا المعنى في البرلمان البريطاني.

٤ - وأن وضع القوات البريطانية قد حدد بوضوح في معاهدة التأسيس والتي لا تسمح باستخدامها في الإنزال العسكري التركي.

وفى هذا اللقاء التركى البريطانى أبلغ وزير الخارجية البريطانى جيمس كالان الذى كان يحضر المباحثات، أجوايد أنه قد استلم للتو برقية من وزارة الخارجية الأمريكية تؤكد أن السيد سيسكو فى الطريق إلى لندن، ولقد انتهى الاجتماع بينما أكد أجوايد وردد القول إن تركيا قد أعدت للتدخل العسكرى وأعرب عن أسفه لرفض بريطانيا السماح باستخدام قواعدها العسكرية التى لو سمح باستخدامها لقلل ذلك من سفك الدماء فى العملية العسكرية المقرر القيام بها.. وبعد وصول السيد سيسكو عقد اجتماعا بينه وبين السيد أجوايد أورد (كليريدس على الوجه التالى :

(فى منتصف يوم ١٨ يوليو ١٩٧٤م اجتمع السيد أجوايد والسيد سيسكو بمقر السفارة التركية بلندن وكان سيسكو مصحوبا بعدد من المستشارين العسكريين والمدنيين، وقد ذكر السيد أجوايد المواضيع التالية :

- ١ - أن تركيا لن تقبل نظام سمبسون.
- ٢ - وأنها ستتخذ إجراءات عسكرية لإسقاط هذا النظام وإعادة توازن القوى فى الجزيرة القبرصية وحماية الطائفة القبرصية التركية.

وكان السيد سيسكو قد أحضر رسالة من السيد وزير الخارجية الأمريكى الدكتور (هنرى كيسنجر) تقول إن الولايات المتحدة الأمريكية تعارض أى تدخل عسكرى ذلك أن أى عملية عسكرية سوف تؤدى إلى حرب بين تركيا واليونان العضوين فى حلف (الناتو) وذلك سيعطى ميزة للاتحاد السوفيتى، وذكر سيسكو لأجوايد أن مثل تلك العملية العسكرية ستؤدى إلى تدهور فى العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية واقترح إجراء مباحثات بين تركيا واليونان بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وفى نفس الوقت ذكر أنه إذا ما قبلت تركيا المشاورات والمساعدة الأمريكية فإن الولايات المتحدة ستكون مستعدة لأن تفرج عن شحنات من الأسلحة التى كانت مخصصة لها والتي حظر تصديرها بسبب الاستمرار فى إنتاج نبات الخشخاش فى تركيا، ولقد انتهى الاجتماع بأن ردد سيسكو بأن أى عملية عسكرية تركية فى قبرص ستؤدى إلى حرب مع اليونان وتدخل سوفيتى فى المنطقة وقال

أجوايد إن تركيا لن تعلن الحرب على اليونان وأنه لا يعتقد أن أى رد فعل مضاد من الاتحاد السوفيتى سيكون ممكنا ضد التدخل العسكرى التركى فى قبرص ..) .

وهكذا يتضح من كل المحاولات أن تركيا كانت قد قررت واستعدت للتدخل العسكرى من أجل إفشال الانقلاب الذى حدث فى قبرص وهى لذلك تنفذ أهم بنود معاهدة الضمان وما زيارة رئيس وزرائها بلندن إلا إلزام بنصوص تلك المعاهدة ولابد أن سيسكو قد أدرك أن تركيا لا يمكنها التراجع عن القيام بذلك العمل العسكرى ما لم تقابل مطالبها بالقبول ولهذا قرر زيارة اليونان للتباحث مع العسكريين الذين يحكمون ذلك البلد وقد أبلغهم بتلك المطالب التركية وهى :

١ - رغبة تركيا فى أن يكون لها وجود عسكرى فى قبرص تعترف به اليونان وتأكيد سلامة الطائفة التركية فى قبرص.

٢ - استقالة سمبسون فوراً .

٣ - سحب الضباط اليونانيين الذين قاموا بالانقلاب .

٤ - تخصيص منطقة للقبارصة الأتراك تكون متصلة بالبحر .

٥ - سلطة ونظام يتفق عليهما من أجل السيطرة على الدخول من وإلى الجزيرة .

وعلى ضوء تحقيق هذه النقاط وعد أجوايد سيسكو بأن ينتظر الرد اليونانى حتى منتصف ليل يوم ١٨ يوليو ١٩٧٤ م وخلال ساعة واحدة قبل منتصف الليل اتصل أجوايد هاتفيا بحكومته فى أنقرة ليبلغ أن المحادثات قد فشلت وأن الموقف الأمريكى قد اتضح، كذلك أجرى مكالمة هاتفية أخرى مع قيادة الجيش ليقول إن القوات التركية يمكنها أن تبحر إلى قبرص خلال يوم الأحد ١٩ يوليو فى تمام الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ما لم تصدر تعليمات أخرى من جانبه..

ولقد حدث التدخل العسكرى التركى بحرا وجوا وسقط نظام أو حكم سمبسون كما أرادت تركيا دون أن تتمكن اليونان من عمل أى شئ فى مواجهة تركيا ولا حدث حرب، كما أن الاتحاد السوفيتى لم يتدخل فى المنطقة كما توقع أجوايد ولا تضرر

الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي (ولعله يمكن القول إن الولايات المتحدة قد أبلغت الاتحاد السوفيتي بما سيحدث وأصرت أن ذلك أمر داخلي لا يجوز لأحد التدخل فيه ولا بد أنها أشارت ولو من طرف خفي إلى معاهدة الضمان الثلاثية باعتبار أن أصحاب الحق في التدخل هم ثلاثة أطراف فقط) والذي حدث هو أن قبرص كانت هي الضحية وأن واقعا جديدا كان قد فرض، وعلى من يريد السلام أن يتعامل مع الواقع الجديد، وصح القول أن ما يريده الكبار لا يمكن أن يتمتع الصغار، على أن الأهم من كل ذلك سقوط النظام العسكري في اليونان وعودة الديمقراطية وإن كانت ديمقراطية اليونان كان ثمنها دماء القبارصة وتدمير بلادهم.

ولقد ذكرت أن كثيرين كانوا قد نبهوا الرئيس مكاريوس إلى احتمالات حدوث انقلاب على نظامه بواسطة الضباط اليونانيين الذين يقودون الحرس الوطني القبرصي، وكنت أحد أولئك الذين تمكنوا من الحديث مع غبطته في هذا الشأن، ولقد شاءت الصدفة قبل هذا الحديث أن التقى الجنرال (جيزيكس) رئيس النظام العسكري اليوناني أوائل شهر يوليو ١٩٧٤م وقد رتب لهذا اللقاء في أثينا مدير المراسم القبرصي الذي كان مقربا من الرئيس مكاريوس ويدعى (جورج بالاياس) وسبب قيامه بتلك المبادرة أنه كان شريكا لشقيقة ذلك الجنرال في شركة أدوية وكان (أى مدير المراسم القبرصي وشقيقة الجنرال) يطلبان مساعدتي لدخول السوق الليبي من أجل توريد الأدوية، ومن جانبي كنت أسمى للقاء ذلك الجنرال رغبة في فهم موقفه من بلادى التي كانت قبل نظامه دائما تتمتع بعلاقات طيبة مع اليونان بسبب الجوار والعلاقات التاريخية القديمة، وعندما التقيته رغب أن نتحدث على انفراد (ذكرت فحوى حديث ذلك اللقاء في كتابي - ثورة الأذغال الذي صدر سنة ١٩٧٨م) وكان أن سألتني قائلا: لماذا تساعدون الرئيس مكاريوس؟ قلت: لأنه صديقنا ولأن سياسته حيادية، فقال: مكاريوس يتدخل في شئون اليونان الداخلية وهو على اتصال بالملك اليوناني السابق والمقيم في المنفى وكذلك رئيس الوزراء السابق كارامانليس المقيم أيضا في المنفى ونحن لن نترك ذلك يمر بلا عقاب، قلت:

ما أسمعته أن مكاريوس هو الذي يتهم اليونان بالتدخل في شئون بلاده، فرد بغضب قائلا: إن قبرص كان من المفروض ألا يكون لها رئيس لأنها جزء من اليونان، وبعد أن توقف قليلا، قال: سوف تعود قبرص جزءا من اليونان، ولقد ذكرت هذا الذي حدث للرئيس مكاريوس بعدئذ مباشرة لكنه كان لا يصدق أن أحدا يمكن أن يقوم بانقلاب عليه في قبرص، أما عن ليبيا فقد قال ذلك الجنرال المسمى (جيزيكس) إنه لا يريد التعامل مع القذافي، قلت إن ليبيا واليونان كانا بلدين صديقين بحكم الجوار والعلاقات التاريخية القديمة وهناك الكثير من شواهد التاريخ الإغريقي في بلادنا ونحن نحمل الكثير من التقدير للحضارة اليونانية، وعلى أي حال يمكننا أن نتعاون الآن ويمكن أن يكون مهما لليونان أن تستورد النفط الليبي لقرب الموانئ الليبية من اليونان كما أن الأسواق الليبية لابد أنها مهمة بالنسبة لرجال الأعمال اليونانيين، قال وهو يلوح بيده اليمنى في اتجاه الشمال الشرقي: سوف يكون لنا بترونا في منطقة بحر (إيجا)، قلت: وماذا عن تركيا التي ربما لن تسمح باستغلال تلك المناطق من جانب اليونان؟ نظر إلىّ كما لو أنني قد ارتكبت خطيئة فاحشة وقال: جيشنا يضمن ذلك وهو كفيل بكسر غطرسة تركيا والأتراك. خرجت من لدنه وقد أدركت أن الرجل يتكلم من خلال فوهة البندقية وتلك طبيعة العسكر الذين يعتقدون أن السياسة كالجزمة العسكرية يضعونها في أقدامهم متى شاءوا وهم بذلك التفكير يفرضون أنفسهم على مجالات السياسة ويدفعون بلادهم إلى الهلاك.

ونجد الآن رواية مشابهة يذكرها الرئيس القبرصي الحالي السيد (قلافكوس كليريدس) في مذكراته التي صدرت بعد ذلك الحادث بأكثر من ربع قرن من الزمان، يقول: (في اجتماع مجلس الوزراء برئاسة مكاريوس في نيقوسيا كنت قد دعيت لحضوره وقد عقد يوم ٧ يوليو ١٩٧٤م وكان الغرض من اجتماع مجلس الوزراء ذلك الاستماع إلى مقترحات وزير الخارجية عن الكيفية التي يمكن أن نهضئ بها الوضع

المتفجر، وقد انتظرت بعد انتهاء الاجتماع لأجلس مع مكاريوس على انفراد وكان الموضوع الذي تحدثنا فيه هو خطورة القيام بعمل عسكري من طرف القوات اليونانية في قبرص للإطاحة به، وقد حذرت مكاريوس قائلا: إننى أتوقع انقلابا تقوم به القوات اليونانية وذلك يمكن أن يحدث في أى وقت إلا أن مكاريوس كان لديه الاعتقاد بأن ذلك الخطر دائما موجود إلا أن مثل تلك العملية لا يمكن القيام بها في ذلك الوقت وكان بينى تقديراته على الآتى :

١- أن الحكم العسكري في اليونان لابد أن يكون حذرا من أن ذلك الانقلاب قد يعطى تركيا مبررا تريده لغزو قبرص.

٢- أن الحكم العسكري في اليونان كما أثبتت أحداث كوفينو لا يريد أن يجد نفسه فى حرب مع تركيا.

٣- أن انقلابا يمكن القيام به فقط بدون مخاطر حرب بين تركيا واليونان إذا تم الوصول إلى اتفاق بين تركيا واليونان من أجل تقسيم الجزيرة وما إذا كانت المناطق التى ستلحق باليونان وتركيا قد اتفق عليها وطالما أن مثل ذلك الاتفاق لم يحدث حتى الآن فإنه لا يتوقع حدوث انقلاب في هذا الوقت.

٤- أن حلفاء اليونان وتركيا لن يرغبوا في حدوث حرب يونانية تركية وسوف لا يشجعون انقلابا قبل الاتفاق بين تركيا واليونان بشأن مشكلة قبرص..

وأعترف أن تقديرات مكاريوس كانت منطقية إلا أنني ذكرت له أنه يقدر العسكريين بتفكير سياسى منطقى، وجهة نظرى أنه لا يجب أن يقدر العسكريين بتلك الصورة وأنا أعتقد أن رسالته إليهم ثم نشر تلك الرسالة في وسائل الإعلام قد وضعت النظام العسكري اليونانى فى وضع يعتبرونه إهانة لهم وتكتيحية لذلك فإنهم سوف يتصرفون عاطفيا لا منطقيا وعقليا وأن هؤلاء العسكر كانوا يعدون للانقلاب منذ بعض الوقت وسوف لن يستدعوا الضباط اليونانيين ويتراجعوا خطوة إلى الوراء، وأعربت عن رأيي بالقول: إنهم سوف يتقدمون خطوة إلى الأمام بالانقلاب متوقعين من حلفائهم أن يضغطوا على تركيا بحيث لا تقوم بالغزو وإنما

لتقبل بالمفاوضات المباشرة مع اليونان بشأن مستقبل قبرص وبذلك تكون المشكلة القبرصية قد وضعت من خلال الحلفاء في حيز حلف شمال الأطلسى ولقد نصحت مكاريوس باتخاذ الاحتياطات اللازمة، ولو عمل بتلك النصيحة لكان أمكن الحيلولة دون الانقلاب لكن مكاريوس لم يوافق على ما اقترحت ولا على تقديراتى للوضع بل إنه اعتقد أن تلك الإجراءات ليست فقط غير ضرورية وإنما سوف يعتبرها النظام العسكري اليونانى أكثر حدة واستقرازية من رسالته إلى الجنرال (جيزيكس).

هذا ما ذكره الرئيس الحالى لقبرص (قلافكوس كليريدس) في مذكراته حول الظروف التى كانت تمر بها بلاده قبل الانقلاب العسكري اليونانى وكيف أن مكاريوس لم يكن يعتقد أن انقلابا يمكن أن يحدث ضده في ذلك الوقت، والواقع أن هذا هو موقف مكاريوس الذي لم يتغير إلى أن حدث الانقلاب ووجد نفسه مهددا بالقتل لولا القدرة الخارقة التى أنقذته كما ذكر فيما بعد، وإن كان كثيرون يتساءلون (ولهم الحق في ذلك) عن الكيفية التى خرج بها من القصر وكيف وصل تروُدوس ثم بافوس؟ ومن أولئك الذين تساءلوا السيد قلافكوس كليريدس نفسه عندما قال: (ليس من المعروف كيف أن الانقلابيين لم يطوقوا القصر من الخلف بحيث أمكن لمكاريوس أن يخرج ؟) وربما تظهر معلومات أخرى تجيب عن الكثير من التساؤلات وتضع حدا للشائعات خصوصا عندما يحين الوقت الذي تفرج فيه بريطانيا عن الوثائق حسب قوانينها.

عودة مكاريوس إلى قبرص منتصرا :

عندما رجع مكاريوس إلى قبرص استقبله الشعب القبرصى استقبالا رائعا وجرى له احتفال كبير في الميدان الرئيسى بنيقوسيا (العاصمة) أمام الكاتدرائية الرئيسية وهناك كان العلم اليونانى كبير الحجم يرفرف (ويا للعجب) بينما كان يجب أن يرفع العلم القبرصى على الأقل لأن قبرص دولة ولها علم خاص بها وهى عضو في المجتمع الدولى ومعترف بها عضو في هيئة الأمم المتحدة، وتحدث مكاريوس حديثا عاطفيا مشوبا بالألم ووعد بالإصلاح والتغيير (ولم يشر بشئ إلى العلم

اليوناني) ووعده بالإصلاح والتغيير لم يحدث لأن الأيام لم تمهله فقد مات بعد ذلك الوقت بفترة قليلة، ووفاته كانت فرصة للسيد (كبريانو) الذي كان يرأس الحزب الذي تم تأسيسه بشكل جديد بعد عودة مكاريوس، هذا الحزب الذي صار حزبا لمكاريوس كان لابد أن يفوز في الانتخابات التي تقرررت وهكذا حدث لأن الشعب القبرصى لابد أن يؤيد كل ما يمكن أن ينسب لمكاريوس خصوصا بعد تلك الأزمات التي مرت بها البلاد، ولأن الحزب قد فاز في الانتخابات بأغلبية كبيرة فقد كانت رئاسة البرلمان من نصيبه وكان عدد الأعضاء في ذلك الوقت خمسة و ثلاثين عضوا وينص الدستور القبرصى على أن رئيس البرلمان يخلف رئيس الجمهورية في حالة وفاته أو حدوث ما يمنعه من أداء مهام الرئاسة، وكان كبريانو رئيسا للبرلمان لأن مكاريوس كان قد اختاره لذلك (وليس من المعروف سبب ذلك الاختيار لمحام مغفور) وعندما مات مكاريوس أصبح رئيس البرلمان رئيسا للجمهورية القبرصية لمدة (٤٠ يوما) حسب نص الدستور وبذلك أصبح رئيسا لقبرص بقدرة قادر وربما دون أن يخطر في باله ذلك في أي يوم من الأيام، أو كما يقول الشاعر العربي:

سبحانه مَوْعُ الحظوظ بلا عتاب ولا ملامة

أعمى وأعشى وذو بصر وزرقاء اليمامة

ولقد اختلف الصراع في قبرص خلال المراحل الثلاث ذلك أنه في الأولى كان ضد قوى خارجية أي ضد الاستعمار البريطاني بمعنى أنه ثورة وطنية ضد الوجود الأجنبي، وهذا كانت غاياته وأهدافه وحدوده معروفة واضحة (القواعد الأجنبية والجنود والتجهيزات) أما الثانية فقد كانت أكثر خطورة وحدة وكان تأثيرها نفسيا أكثر وكذلك اجتماعيا وإن كان إلى حد ما محصورا في نطاق البلاد أي أنه كان بين فئتين وطنيتين هما (القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيون) وربما كانت هناك قوى خارجية متمثلة في الضامنين للاستقلال وهما (تركيا واليونان) حسب اتفاقية زيورخ التي تحدد فيها مصير ومستقبل قبرص (الاستقلال) ثم جاءت المرحلة الثالثة (ونرجو أن تكون الأخيرة في هذا البلد الذي أصيب بكثير من النكبات) وكانت بين

الفئتين القبرصيتين ووراء كل منهما دولة أوصلها ذلك الخلاف إلى حافة الحرب ولكل من هاتين الدولتين ارتباطات خارجية وحسابات محلية وطنية وإن كانتا عضوين في حلف واحد تابع للولايات المتحدة الأمريكية هو حلف (الناتو) أي حلف شمال الأطلسي ولقد حدث هذا الخلاف الأخير في فترة قلقة في العلاقات الدولية إذ كانت الحرب الباردة على أشدها بين الغرب والشرق وكان من المهم للشرق متمثلا في الاتحاد السوفيتي أن يستمر الخلاف الذي سيؤدي بالضرورة والحتم إلى شرخ وتصعد في الجناح الشرقي للحلف إذا ما تعقدت الأمور أكثر بين تركيا واليونان وتحاربتا، كذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على إبعاد النفوذ السوفيتي عن قبرص ومنها إن وجد بها، وأمريكا من خلال قيادتها لهذا التحالف وإن كانت في الواقع لا تريد حلا نهائيا بينهما لا في علاقاتهما ولا في مشكلة قبرص بحيث تكون دائما هي الوسيط صاحب اليد الطولى بين هذه الأطراف، أما رئيس الدولة الجديد الذي لم يُعرف دوليا ودولته تحيط بها الأخطار والمشاكل من كل جانب فقد كان يأمل أن يقود سفينته إلى بر الأمان من خلال حركة عدم الانحياز التي كان سلفه يلعب فيها دورا بارزا وله رصيد في العلاقات الدولية، ومن الجانب الآخر نرى بريطانيا صاحبة القواعد العسكرية الضخمة في الجزيرة (علما بأن تلك القواعد قد نص عليها دستورها بأنها جزء من التاج البريطاني، أي أنها تعتبر ملكا لبريطانيا العظمى) وهى الضامنة الثالثة للاستقلال طبقا لنص اتفاقية ذلك الاستقلال فقد كانت تفتح عينا وتغمض الأخرى فهي تعرف تماما اللعبة الدولية وتدر أن أمريكا لا تريد لها أن تقوم بأي دور مستقل، ولم يغب عن سياسيتها ما حدث في السويس سنة ١٩٥٦م وكيف كان الموقف الأمريكي بداية ونهاية، وما من شك أن الأسد المعجوز قد أدرك أنه عاجز أمام النمر الأمريكي المتحفز والمتريص، ومن هنا يمكن إرجاع الأحداث الثلاثة إلى أسبابها وهى كما يلي :

أولا : أن صعود ونمو التعصب التركى لدى الطائفة القبرصية التركية في قبرص (وهى بالضرورة قبرصية) كان سببه التطرف القبرصى اليونانى بشأن الوخدة مع اليونان وتحديدا موقف منظمة (أيوكا - أ) وبمدها (أيوكا - ب)

وقائدهما العسكري الجنرال (قريفاس) فإذا كانت الطائفة القبرصية اليونانية آنشد تسعى للوحدة مع اليونان فكيف يكون موقف الطائفة القبرصية التركية ؟

وثانيا : كان الصراع الطائفي بين الأتراك واليونانيين من عمل بريطانيا ونتيجة طبيعية لما جاء في اتفاقية زيورخ التي ميزت بين الطائفتين في تقسيم الوظائف عند استقلال وظهرت الدولة الجديدة وأعطت نائب الرئيس حق (الفيتو) على أننا يجب أن نؤكد أن فكرة الوحدة اليونانية فكرة قديمة لدى القبارصة اليونانيين.

ثالثا : كان القتال بين أهل قبرص والذي أخرج الوضع من محليته الموقف الأمريكي من حكم العسكر في اليونان، فقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية أن نقطة الضعف بالنسبة لذلك النظام الذي تريد التخلص منه بعد أن جاءت به في فترة سابقة، هي قبرص بحيث يتم إسقاطه من تلقاء نفسه، ومن المعروف أن الحكم العسكري في اليونان كان قد مر في مرحلتين، عرفت الأولى بحكم العقدة وكان يقودهم عقيد يدعى (بابادوبلس) ولكن الأمريكيين ربما اعتقدوا أن تغيير نظام عسكري بنظام عسكري آخر يكون مفيدا فحركوا هذه المرة جنرالات وكان يقودهم (جيزيكس) إلا أنه اتضح أن العسكريين لا يتعلمون من أخطاء غيرهم ولذلك قررت أمريكا إعادة الحكم المدني لليونان ولم يكن ممكنا إحداث انقلاب ثالث في اليونان فكانت قبرص هي الضحية التي يجب أن تذبح من أجل مصالح تلك الدولة العظمى!! وفي قبرص هذه حدث أنه بعد الاستقلال وقع الخلاف بين قيادات الطائفتين بشأن القوانين الخاصة بالنصائب وبشأن نسبة عدد الأتراك في الحرس الوطني والوظائف الحكومية وفي انتخابات البلديات، ثم حدث الخلاف بشأن كل بنود اتفاقية زيورخ وعددها ٢٧ بندا أو مادة، وبعد ذلك حدث الخلاف حول الدستور (أي أن نقاط التفجر كانت موجودة منذ البداية) ومن هنا فقدت الثقة تماما بين الرئيس ونائبه وبين الوزراء والنواب وقد لجأوا إلى السلاح بعد الكلام وصار كل طرف يبعث عن مصدر أو تاجر يورد السلاح استعدادا للتموقع القريب، ولقد بدأت الحوادث

الصغيرة ثم كبرت، هجوم من هذا الطرف على مركز شرطة أو اعتداء على فرد ثم حدث تبادل الاحتجاج والخطف وكان وزير الداخلية قبرصى يوناني فاتهم من طرف القبارصة الأتراك بالتعاون مع منظمة أيوكا وتشجيع الشرطة القبرصية اليونانية في اعتداءاتها على القبارصة الأتراك وخصوصا في حادث نيقوسيا الذي قتل فيه عدد من القبارصة الأتراك واحتجز حوالى ٧٠٠ شخص بين امرأة وطفل وشيخ (كما ذكر الجانب التركى) وعلى إثر هذا الحادث تحركت القوات التركية المرباطة في قبرص بموجب اتفاقية لندن حيث عسكرت في قريتي (ارتاكاي - جينيل) كما قامت طائرات حربية جاءت من الأراضي التركية بالطيران المنخفض على بعض المناطق في قبرص على هيئة استعراض للقوة وربما للتحذير، ولقد أذان مكاريوس حادث نيقوسيا ووافق على قيام دوريات مشتركة من البريطانيين وضباط الارتباط الأتراك واليونانيين في قبرص تحت قيادة الجنرال البريطاني (يونج) وفي شهر ديسمبر من نفس السنة وضع حدا فاصلا بين الطرفين (الطائفتين) عرف فيما بعد بالخط الأخضر ومنذ ذلك الوقت ظل باقيا حتى الآن لا يتجاوزه إلا من يطلب الموت.

وبعد تلك التطورات أعلن الرئيس مكاريوس رغبته في إلغاء اتفاقية لندن وذلك في شهر يناير ١٩٦٤م وعلى ذلك رد وزير خارجية تركيا في إعلان مشابه قائلا، إن قبرص يجب أن تكون دولة فيدرالية، في حين طالبت بريطانيا بإشراك قوات حلف شمال الأطلسي في القوة المكلفة بالمحافظة على الأمن في قبرص الشيء الذي رفضه مكاريوس فورا، والواقع أن الخط الأخضر الذي كانت ترابط فيه القوات البريطانية كان الغرض منه تطمين تركيا على جاليتها، لكن القبارصة اليونانيين اعتبروا ذلك الخط محاولة للفصل بين الطائفتين وترسيخ الأمر الواقع ولهذا راحوا يطالبون بإزالته ومن هنا بدأت مرحلة شغب وقتال في مختلف المناطق وخصوصا في مدينة (ليماسول) ولقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة في شكل مبادرة طلبت بموجبها توسيع صلاحيات قوة حفظ السلام بحيث تشترك فيها دول غربية وحلف الناتو لكن الرئيس مكاريوس رفض الطلب والمبادرة، ثم جاءت مبادرة أخرى من طرف بريطانيا وتركيا تقترح قوة دولية بإشراف الأمم المتحدة وتقدمتا

بالاقتراح إلى مجلس الأمن الذي وافق بالإجماع على المقترح وتكونت قوة حفظ السلام وتلك كانت المرة الأولى ومهمة تلك القوة منع أي نزاع بين الطائفتين وتهديد أمن البلاد، كذلك طالب قرار مجلس الأمن الدولي الدول الأخرى وضرورة الامتناع عن التدخل في شئون قبرص وتعريض السلام الدولي للخطر، وبوصول القوات المكلفة من الأمم المتحدة كانت الأسلحة قد توزعت في الجزيرة وكان القبارصة الأتراك نتيجة للأحداث السابقة قد شكلوا قوة خاصة بهم، كذلك فإن الرئيس مكاريوس كان قد ألقى اتفاقية التحالف وشكك في إمكانية نجاح مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة في قبرص، ولهذا فإنه أثناء قيام ذلك المبعوث ببعض الاتصالات كبدائية لمهمته حدثت مصادمات مسلحة أدانها الأمين العام وقال في إدانته إن تلك العمليات هي عمليات مخططة من أطراف ترغب في إفشال جهود الأمم المتحدة، ولم يذكر بالاسم تلك الأطراف، وكانت هناك أعمال عنف ومصادمات حدثت قبل الانقلاب الذي وقع سنة ١٩٧٤م وهي أيضا مخططة كما أوردت بعض المصادر، وتقول مؤلفة كتاب (ثورة قبرص) السيدة (نانسي كراوشاو) ما يلي :

(بعد إعادة انتخابه كرئيس في ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٨م بنسبة ٩٥٪ لصالحه مع بعض الأصوات الممتنعة اعتبر أن ذلك يعنى قبولاً عاماً لسياسته الجديدة، أما الأتراك مع ذلك فلم يكونوا مقتنعين إذ إن المنافس الوحيد له كان الدكتور النفساني (أفدوكاس) وكان قد قاد حملته الانتخابية على أساس شعار الوحدة مع اليونان وكان الأسقف قد أعلن أن هزيمة خصمه لا تعنى هزيمة مطلب الوحدة، وهكذا فإنه بتأكيد شكوك الأتراك يكون أى شيء يعلنه القبارصة اليونانيون هدفه البعيد دائماً الوحدة مع اليونان.. انتهى).

وفي ٧ مارس ألقى مكاريوس آخر حظر على الأتراك وكان هذا العمل قد ثمن غالبا من طرف الأمين العام للأمم المتحدة الذي انتقد زعيم القبارصة الأتراك حيث إنه ما زال يرفض دخول القبارصة اليونانيين إلى مناطق القبارصة الأتراك (الشيء الذي تميز منذئذ وحتى الآن) وكان الأتراك القبارصة كأقلية دائما على حذر من أن

أي تنازلات قد تؤدي إلى إضعاف دفاعاتهم أو موقفهم التفاوضي بشأن الحل النهائي الذي لا يرون له مستقبلا، ولهذا فلقد كانوا في حاجة لمن يقنعهم بأن محاولة السلام صادقة وإن كانت تلك المصادقية المطلوبة سرعان ما تفسد، ومما أفسدها قيام الجانب اليوناني بهدم بيوت الأتراك في منطقة (أمورفينا) وعندما استعرضوا الأسلحة التشيكية في احتفال يوم أيوكا ولا أحد يعرف ما إذا كان الرئيس مكاريوس موافقاً على ذلك أم أنه كان لا بد له أن يجارى بعض الجهات ؟ وهكذا فإنه نتيجة لهذا التطور زاد التوتر الداخلي خلال شهر مايو حيث قامت الشرطة القبرصية اليونانية باعتراض ومحاولة تفتيش سيارة تركية كانت تحمل سبع رشاشات ويعد ذلك مباشرة حدث أن قتل اثنان من القبارصة الأتراك، هذه الأحداث جميعها تثير الريبة إذ تساءل المراقبون عن (لماذا وكيف و...و...).

وكان مكاريوس بعد الاستقلال قد اكتسب شهرة سياسية كبيرة ولذلك فقد كان أمر تلك الأحداث والأخطاء البشرية في نظر المهتمين بشئون السلام مربيا، على الرغم من أن موافقه بعد تلك الفترة قد أظهرت بعض الإجراءات التي ضاعفت من المخاطر حيث قرر التجنيد الإجباري وسمح لعدد كبير من الضباط اليونانيين بالإقامة في قبرص وفسر غرضه من ذلك بشيئين، الأول هو الدفاع ضد تركيا والثاني هو رغبة السيطرة على المجموعات غير النظامية التي تحمل السلاح بحيث تكون تحت تصرف ومسئولية الدولة، والحقيقة رغم ذلك هي أن قبرص لا يمكنها فعل أى شيء لمنع غزو من طرف دولة جارة قوية كتركيا إلا بالامتناع عن مثل تلك الأعمال التي تثير الشك والريبة وتعطى انطباعا بالرغبة في الحرب وتوتير الوضع الداخلي، ولهذا فإن ما قام به الرئيس مكاريوس بشأن التجنيد الإجباري أعطى سلاحا لأعدائه ومؤيديه في وقت واحد بينما كانت السيطرة على الجماعات المسلحة ناجحة جزئيا فقط إذ إن قوات الحرس الوطني وقوات الاحتياط التكتيكي لم تفعل شيئا غير توفير التدريب لأولئك المعارضين من خلال تجنيدهم وهي فرصة أعطاهم لهم قرار الأسقف مكاريوس ذلك.

ولقد كانت منظمة أيوكا عند انتهاء السيطرة البريطانية منظمة صغيرة مقسمة بين مؤيدين لمكاريوس الذي كان يدافع عن الاستقلال وبين متطرفين من جماعة الجنرال قريفاص الذي يعتبرونه بطل الوحدة وهؤلاء يقيمون كل شيء على أساس الوحدة مع اليونان، وهؤلاء المتطرفون على الرغم من أنهم قادرون على القيام ببعض الشغب والهجمات المسلحة أحيانا في هذا المكان أو ذاك إلا أنهم لا يستطيعون تنظيم انقلاب على الحكومة الشرعية التي يقودها مكاريوس، ولقد صارت قبرص بعد سنة ١٩٦٤م ترسانة كبيرة للأسلحة من كل نوع ولذلك تجمع قوات كبيرة في الصراع القادم بين الطرفين أي بين أنصار مكاريوس وأعداء قريفاص أو ربما يمكن القول إنه الصراع القائم بين أنصار الوحدة مع اليونان وأنصار الاستقلال التام، ولأن بريطانيا من عاداتها أن تخلق الصراعات وتبذر الشكوك وتزرع القنابل الموقوتة عندما تقرر الخروج من أي مكان وجدت أنه من المؤكد أن تأجيج الصراعات وتوزيع الأسلحة وربما حتى تخطيط العمليات كان من إنتاجها وتفكير قادتها، على أن أوضاع الجزيرة كانت في الواقع تحت رحمة السياسات غير المستقرة في البلد الذي يسميه أنصار الوحدة باسم (البلد الأم) وكذلك غياب أو طموحات الدكتاتورية العسكرية المتمثلة في أمجاد خيالية قد تحققها المغامرات، ولم يكن الضباط اليونانيون في قبرص ذوي اتجاهات سياسية معروفة إلا أنه من الواضح ونظرا لطبيعة التقاليد العسكرية فإن هؤلاء الضباط البعيدين أو (المباعدين) عن بلادهم سوف يبشرون بمزايا الوحدة بين قبرص واليونان ولذلك فإن الأسقف مكاريوس وهو رئيس الدولة قد وضع أمنه الشخصي في خطر وكذلك سياسته الاستقلالية (وإن كانت غير معلنة) دون أن تكون هناك بدائل أو ضمانات فيما يتعلق بالأمن الوطني، على أن هذا لم يظهر واضحا إلا في بداية سنة ١٩٦٩م عندما ظهرت ونمت عمليات الإرهاب في الجانب اليوناني مع ظهور الجبهة الوطنية، ولقد ترعرعت مشاعر التمرد بسبب السكوت على انقسام جهاز الأمن إلى فئات سياسية مختلفة منذ بداية نشاط منظمة أيوكا وكذلك تعيين أعضاء من تلك المنظمة في مواقع قوة ثم استيراد كميات كبيرة من الأسلحة مع توزيعها دون

تميز أو تدقيق، وهذا كله خلق جوا من فرص التمرد والعصيان المسلح، ولقد تشكلت الجبهة الوطنية بواسطة منظمة أيوكا وقامت هذه بعمليات مسلحة ضد المؤيدين للرئيس مكاريوس، وعندما اتضح ارتباطها بالضباط اليونانيين كان مكاريوس بطيئا في اتخاذ الإجراءات اللازمة ضدها أو ضد أولئك الضباط (نتيجة لشدة حذره المعروف) وكذلك فقد عزز ظهور ونشاط هذه المنظمة موقف مكاريوس من تركيا حيث قيل إنه قدم للأتراك الكثير من التنازلات وما فعله كان مقيدا (رغم خطره) في موازنة النقل أمام أحزاب تشكلت حديثا وصارت تمثل أول تهديد لمكاريوس في القبض على كل السلطات أو ما أسموه (احتكار السلطة) وهكذا فإن تلك الجبهة التي شكلتها منظمة أيوكا لم تتعرض لأي إجراءات حتى حلول شهر أغسطس سنة ١٩٦٩م (ربما لأن مكاريوس كانت لديه أولويات في التصرف ضد المعارضين وله كذلك تقديرات للأخطار التي يمثلها هذا الجانب أو ذاك) وفي يناير اللاحق كانت بعض الإجراءات قد اقترحت لتتخذ ضد المشبوهين وتتضمن جواز إيقاف أي مشبوه منهم لمدة ثلاثة شهور وبينما كانت تلك الإجراءات تناقش في البرلمان إذ كان من الضروري في دولة ديمقراطية أن يقرر البرلمان أي إجراءات استثنائية كهذه، وفي تلك الأثناء أعلنت الجبهة الوطنية إيقافا مؤقتا لعملياتها وقابلت الحكومة ذلك الإعلان بأن رأت أن الإجراءات التي قد يقرها البرلمان سوف تنفذ فقط إذا ما عادت الجبهة الوطنية إلى القيام بعمليات ضد الحكومة مرة أخرى، وكان الشيوعيون المحليون كما هي العادة على علم نظرا لارتباطاتهم ولقريهم أحيانا من الرئيس مكاريوس في بعض مواقفه ولكن لم تكن لديهم فرص الحصول على السلاح مثل جناح اليمين (أو ربما هم لا يريدون الالتجاء إلى ذلك الخيار الخطر) وبالتالي فإن أي مواجهة في هذا الميدان لابد أن تكون خاسرة بالنسبة لهم، وفي هذه الفترة كانت هناك أخبار على إثر تعثر المباحثات الداخلية بأن تركيا واليونان قد تقررسان حلا، وكان الوقت مناسباً لتدخل الاتحاد السوفيتي في حين كان الرئيس مكاريوس الذي يتبع سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز يستغل التوازن الحساس بين الشرق والغرب ولقد قام الحزب الشيوعي القبرصي (أكيل) باتصالات مع الاتحاد السوفيتي

بناء على موافقة مكاريوس، وفي ١٧ فبراير اتهمت وكالة الأنباء الرسمية السوفيتية (تاس) القوى الإمبريالية بالتآمر ضد استقلال قبرص وذكرت أن الجبهة الوطنية والقوى الرجعية بالتعاون مع الضباط اليونانيين تقوم بالدعاية للوحدة مع اليونان من أجل تحويل قبرص إلى قاعدة لحلف شمال الأطلسي وإلى نظام دكتاتوري عسكري، وفي ٨ مارس هاجم مسلح طائفة مكاريوس المروحية بينما كان هذا يستعد لحضور احتفال تأبيني تقيمه منظمة أيوكا (يلاحظ هنا أن أعمال أيوكا في فترة ما قبل الاستقلال كانت شرعية وقتلها يعتبرون مناضلين شهداء ولهذا السبب حضر مكاريوس الحفل) ولقد أنكرت الجبهة الوطنية مسئوليتها عن ذلك الحادث رغم اتهامها في البداية وقد برأها مكاريوس فيما بعد..

وهكذا استمر الوضع متوترا واستأنفت الجبهة الوطنية عملياتها في مهاجمة نقاط ومراكز الشرطة والاستيلاء على الأسلحة لتعزيز عملياتها المستقبلية، وكان القبارصة الأتراك مقتنعون بأن اليونانيين جميعا يعملون من أجل الوحدة بين قبرص واليونان وأن المسألة فقط هي مسألة وقت، والواقع أن الحديث عن الوحدة لم يتوقف ولم يكن بين المتعصبين لها فقط وإنما تعداهم إلى المسؤولين إذ كان الجنرال (بيراكينز) قائد الحرس الوطني القبرصي قد ألقى خطابا في مدينة بافوس شدد فيه على مطلب الوحدة مع اليونان وتحدث بعض الوزراء في نفس الاتجاه إضافة إلى الرئيس مكاريوس نفسه الذي ذكر في حديث له قائلا إن أي حلول لا تأتي بالوحدة هي حلول مؤقتة ولذلك فإن مبادراته التي كان يقوم بها أحيانا وحتى إعلانه بأن الحكومة ستقيم بيوتا للقبارصة الأتراك على حسابها قد ضاع هباء..

وفي يناير ١٩٧٢م تعقدت الأمور أكثر عندما نشرت صحيفة يونانية في أثينا خبرا تقول فيه إن الحكومة القبرصية تستورد سرا المزيد من الأسلحة التشيكية، وفي نوفمبر من نفس السنة ظهرت من جديد منظمة (أيوكا - ب) أي أنها منظمة أيوكا الثانية وهي منظمة يمينية أقامها في المرتين الأولى والثانية الضابط اليوناني قريفاش الذي يعرف باسم الجنرال اليوناني قريفاش وهو في الحقيقة قبرصي

الأصل وليس يونانيا إلا بالدراسة والإقامة، وفي نفس الشهر قبض على أربعة رجال بتهمة التخطيط لاغتيال الرئيس مكاريوس، ومع كل ذلك كان مكاريوس مقتنعا بأن الحكومة يمكنها السيطرة على الجماعات غير القانونية هذه، وفي سنة ١٩٧٢م كانت المواجهة الحاسمة بين الرئيس مكاريوس وأساقفة متعاطفين مع اليونان وصلت قممتها عندما طالبوا باستقالته، وهنا قام مكاريوس بإدانة العنف الشيء الذي كان يجب أن يفعله منذ عشرين سنة مضت وهكذا جاءت إدانته متأخرة كما هي إجراءاته، وكما هي العادة كان مكاريوس قادرا على اللعب حسب الظروف السياسية ذلك أن أولئك الأساقفة الذين طالبوا باستقالته لم يستطع أي منهم فعل أي شيء لفددة أسباب منها أنه أكثر منهم شعبية في قبرص خصوصا بعد خلافه مع العسكريين في أثينا كذلك فهو يحظى باحترام كبير في الخارج وخصوصا من جانب الاتحاد السوفيتي الذي كان يرى في مواقفه ما يمنع بشكل قاطع توسع حلف الناتو ليشمل قبرص وربما غيرها.

وفي يناير ١٩٧٤م أطيح بالنظام العسكري في اليونان بواسطة انقلاب عسكري آخر (ذكرنا شيئا من ذلك فيما تقدم، فالأول كان بقيادة عقداو والثاني جاء بقيادة جنرالات ولا فرق!) ولم تتغير السياسة الخارجية ولا الداخلية اليونانية بوصول العسكر الجدد إلى السلطة في أثينا وهم يقودون نظاما شموليا مثل أو أسوأ من الذي كان قبلهم، فهؤلاء عسكر وأولئك عسكر ولا فرق إلا في الرتب وتغير المقاعد والحراسات وربما الشعارات والتهافتات، وفي يناير من نفس السنة انتقد اثنان من الحكومة القبرصية علنا (الجنرال قريفاش) وهما (قلافاكوس كليديس وتاسوس بابادوبولس) حيث قالوا إن قريفاش يسبب الكثير من الإحراج للحكومة القبرصية هذه الحكومة التي لا تريد القبض عليه بحيث تعطيه الفرصة أن يكون شهيدا (ولعلها المرة الأولى التي ينتقد فيها هذا الرجل من طرف مسؤولين قبارصة علنا) والواقع أن قريفاش كان قد أصيب بمرض عضال ولا بد أن موته سينهي هذه المشكلة، ولقد مات فعلا هذا الضابط المحارب في ٢٧ يناير سنة ١٩٧٤م وبعد موته أعلنت منظمة أيوكا وقف عملياتها العسكرية وفي نفس الوقت أعلن مكاريوس عفوا

عاما، ولكن المبادرة لم تكن ناضجة إذ انفجر الوضع من جديد وبذلك تأكد أن قريفاً لم يكن المحرك الوحيد لهذه المنظمة كما كان لسابقتها كما اتضح أن ضباط الحرس الوطنى القبرصى هم الذين يسيطرون على (أيوكا - ب) ولذلك صدر قرار يحرم ويجرم المنظمة وكل أعمالها وأي نشاط من طرف أعضائها وقد طلب منهم تسليم أنفسهم خلال ٤٨ ساعة من تاريخ صدور القرار.

ولقد دفعت كل هذه الأحداث الرئيس مكاريوس إلى أن يطلب تخفيض عدد الضباط اليونانيين العاملين في صفوف الحرس الوطنى القبرصى أو سحبهم جميعا وكتب في ٢ يوليو إلى الرئيس اليونانى الجنرال (جيزيكس) قائلا :

(لقد توقعت في أكثر من مرة وأحسست في أكثر من مناسبة أن أيادى غير مرئية تمتد من أثينا للقضاء على وجودى البشرى) وهكذا يكون مكاريوس قد اتهم اليونان بالتآمر، كذلك اتهم الحكومة اليونانية بأنها وراء عودة قريفاً إلى قبرص وعمليات الاغتيال السياسى التي حدثت باسم أيوكا، وأكد أن الصحافة المؤيدة للإرهاب تمول من طرف أثينا وأسلحة منظمات الإرهاب تأتي أيضا من أثينا ومن ضباط الحرس الوطنى القبرصى اليونانيين وهؤلاء كما قال كانوا مركز التآمر ضد الدولة ويمكن لأثينا أن تضع حدا لهذه الأعمال وكذلك الإرهاب الذى تمارسه منظمة أيوكا، وفي نهاية رسالته طلب مكاريوس استبدال جميع الضباط الذين يعملون في الحرس الوطنى القبرصى بعدد مائة ضابط يوناني آخر فقط لتنظيم وتدريب الحرس الوطنى، وذكر في الرسالة أن العلاقات مع الرئيس اليونانى جيزيكس منذ مدة لم تكن طيبة وأنه سوف يعلن فحوى رسالته وأسبابها الأخرى في أقرب وقت ممكن، كذلك فإن الحرس الوطنى القبرصى سوف يكون تحت قيادة قبرصية أي ضباط قبارصة، وفي لقاء مع الصحفيين نفى احتمال حدوث انقلاب عليه؛ وقال حتى إذا حدث انقلاب فسوف لن يكون له نصيب من النجاح، وكان النظام العسكرية الجديد في أثينا كسابق يرى في وجود مكاريوس عقبة في طريق الوحدة بين البلدين (قبرص واليونان) إضافة إلى كراهية ذلك النظام الباطش في

أثينا للعلاقة الودية القائمة بين مكاريوس والاتحاد السوفيتى ذلك أن أولئك الضباط في اليونان كانوا لا يخفون علاقتهم بالولايات المتحدة الأمريكية ومخابراتها على أمل أن ذلك سوف يقيهم في الحكم مدة أطول، وبينما كان النظام العسكرى السابق في اليونان حذرا بعد أحداث (كوفينو) فإن الدكتاتورية العسكرية الجديدة هناك متعصبة وقد أصابها العمى فيما يتصل برد الفعل التركى ولم تدرك كيف يمكن أن تتحرك تركيا إزاء ما سيتهدد القبارصة الأتراك.

ولقد كان تحدى الرئيس مكاريوس للنظام العسكرى في أثينا مناورة خطيرة وربما كانت رسالته عنصراً مهما في توقيت الانقلاب عليه ففى ١٥ يوليو قام الحرس الوطنى بقوده الضباط اليونانيون بانقلاب عسكرى أسقط الحكومة في نيقوسيا وقد احتل الانقلابيون الإذاعة المحلية عند الصبح وقصفوا القصر الجمهورى بالمدافع حيث أحدثوا به أضرارا بالغة، وفى نفس اليوم أعلنوا عن تعيين نيكوس سمبسون وهو عضو بارز سابق في منظمة أيوكا ومحكوم عليه بالإعدام من طرف السلطات البريطانية، عين رئيسا للجمهورية، كما تم الإعلان عن وفاة الرئيس مكاريوس إلا أنه اتضح فيما بعد أنه هرب إلى بافوس عن طريق جبال ترودوس وبناء على طلبه نقلته طائرة مروحية من بريطانية إلى قاعدة (اكروتيرى) العسكرية البريطانية، وفى يوم ١٦ يوليو نقلته السلطات العسكرية ذاتها إلى لندن جوا، وطار يوم ١٧ يوليو السيد (بولنت أجوايد) رئيس وزراء تركيا إلى العاصمة البريطانية لندن طالبا التعاون البريطانى تنفيذا لاتفاقية الضمان إلا أن الحكومة البريطانية لم تكن مستعدة لمشاركة جنودها في شئون قبرص للفرض الذي تنص عليه الاتفاقية والذي جاء من أجله أجوايد كما ذكرت تلك السلطات آنئذ (وبطبيعة الحال فإنه كان في إمكان بريطانيا أن تحرك ما تشاء من قوات وحتى طائرات من قواعدها في الجزيرة نفسها دونما عناء أو حاجة إلى إرسال قوات أو حتى جندى واحد من بعيد).

وفى يوم ٢٠ يوليو قامت القوات المسلحة التركية بهجوم جوي وبحري على الجزيرة وقد استولت على منطقة (كايرينيا) وأنزلت مظلّيين قرب قرية (قونيبلى)

الواقعة على الطريق بين كايبرنيا ونيقوسيا العاصمة، وفي نفس مساء ذلك اليوم أصدر مجلس الأمن قرارا رقم (٢٥٢) يبيد فيه قلقه بشأن الأمن والسلام الدولي والوضع المتفجر في شرقي البحر الأبيض المتوسط وطلب من جميع الدول احترام سيادة قبرص وإيقاف القتال وإنهاء التدخل العسكري الأجنبي، وطلب من الدولتين (تركيا واليونان) البدء فورا في المباحثات من أجل صيانة السلام والأمن والحفاظ على النظام الدستوري^(١) (نص القرار ضمن وثائق الكتاب) وعلى إثر الانقلاب والغزو التركي كانت لا تزال هناك إلى حد ما مدن وقرى مختلطة تسكنها الطائفتان، وقد تقاتل هؤلاء وسيطر القبارصة اليونانيون على أغلب المناطق باستثناء العاصمة نيقوسيا، ولتمنع القوات التركية أي تدخل يوناني فقد احتلت فورا مطار نيقوسيا الدولي وعطلت المهابط والممرات، وكان العسكريون في اليونان قد أعلنوا التعبئة العامة لكنهم كانوا أعجز من أن يفعلوا شيئا أمام تلك المفاجأة التركية ويرجع ذلك ربما إلى عدم إدراكهم الموقف الإقليمي والدولي وعدم معرفة النوايا التركية أو التفكير التركي بشكل خاص ولا يمكن تفسير ذلك إلا بالغباء والغطرسة والمبالغة في الأشياء دون تحليل وتدقيق علميين صحيحين.

وفي يوم ٢١ يوليو تقدم الأتراك فاحتلوا بلدتي (لابيتوس وكاراناس) في منطقة الساحل الشمالي وكانت هنالك مناطق تركية سيطر عليها جنود الحرس الوطني القبرصي لكن الحكومة اليونانية أمرت بإخلائها والإفراج عن الأتراك المحتجزين، حدث ذلك في يوم ١١ أغسطس وقبل ذلك كانت الجولة الثانية من المفاوضات قد بدأت في جنيف أي يوم ٩ أغسطس (وليس من المعروف ما إذا كان قرار الحكومة اليونانية يمثل نوعا من التنازل ومقابل ماذا) وفي تلك المفاوضات قدم كل طرف مطالبه وكان الأتراك قد أظهروا مرونة فقط لأنهم كانوا يعدون للمرحلة الثانية من العمل العسكري، حيث استأنفوا العمليات العسكرية يوم ١٥ أغسطس وقبل انتهاء ذلك اليوم كانوا قد احتلوا منطقة (فاماغوستا) وبذلك يكونون

(١) كتاب ثورة قبرص تأليف نانسي كراشاو .

قد احتلوا شمال الجزيرة كله بما فيه الشمال الشرقي أي حوالي ٤٠٪ من كامل أرض الجزيرة، ومن المعتقد أن ذلك كان مقررا منذ قبل بداية الغزو (أي أنه خطة عسكرية كاملة ومدروسة بشكل جيد) وكان سكان قبرص اليونانيون بحلول يوم ١٦ أغسطس في تلك المناطق إما قتلوا أو بلا مأوى، وكانت منظمة (أيوكا ب) قد صعدت عملياتها وقام رجالها باغتيالات وتنجير قتابل دون أن يحققوا شيئا غير المزيد من المأسى والألام، وكان الانقلاب الذي قاده الضباط اليونانيون قد حدث والحكومة الشرعية القبرصية قد سقطت بينما الرئيس الجديد المحكوم عليه بالإعدام قد تولى السلطة بدلا من الرئيس الدستوري الذي كان قد هرب أو هُرب، ولم يفعل ذلك الانقلاب غير تهيئة الفرصة في الوقت المناسب جدا لتركيا كي تقوم بالغزو والاحتلال وهو بذلك أضاف مآسي أخرى على اكتاف القبارصة وقيودا على رقابهم بينما سقط الحكم العسكري الدكتاتوري في أثينا، وربما المكسب الوحيد الذي تحقق للشعب اليوناني هو عودة الديمقراطية وإن بدماء ودموع القبارصة اليونانيين وانتهت عمليا اتفاقية زيورخ..

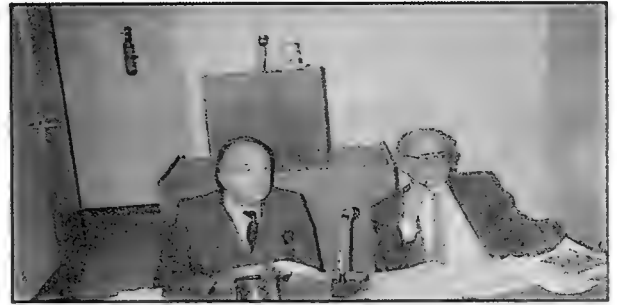
ولقد كانت هذه الأحداث كارثة بكل معاني كلمة الكارثة على قبرص وعلى القبارصة يونانيين وأتراكا، (حرب سنة ١٩٦٣م وانقلاب سنة ١٩٧٤م والغزو الذي جاء بعده وعلى أثره) كلها آلام وخسائر مما كانت خلافاتهم الداخلية سببا فيها جميعا، ومع شهر يناير سنة ١٩٧٥م دخلت القضية القبرصية مرحلة جديدة ذلك أن أمن واستراتيجية كل بلد صارت ذات أولوية، فتركيا دخلت ولا يمكنها أن تخرج إلا بعد ترتيبات نهائية لأمنها واستراتيجيتها وكذلك إيجاد حل نهائي لوضع القبارصة الأتراك، أما اليونان وقد اتضح لها أنها خسرت المعركة بعد أن انقشع الغبار فالإد لها أيضا ولساستها الجدد أن يعودوا إلى التاريخ القريب والبعيد الذي ينبئ بملاقة اليونان بتركيا وأن يتذكروا جيدا الحكم التركي، والواقع أنه لم يبق لهم إلا الشعار الذي لن يكون ذا معنى بأي حال، وقبرص التي خسرت باسم الوحدة كل شيء وقد انقسمت على نفسها ولديها الآن مشكلة إنسانية حادة وملحة هي مشكلة اللاجئين

وصديقنا الشاعر الرسام السياسي الخطيب البارع رئيس الحزب الاشتراكي
القبرصي الدكتور (فاسوس ليساريديس).



هذا الرجل الذي كرّس حياته للدفاع عن حق بلاده أولا في الحرية والتقدم
والاشتراكية الحقّة والذي ظل مدافعا صامدا رغم كل الضغوط والمفريات عن الحق
العربي وعدالة القضية الفلسطينية، هذا الرجل الفذ كان هدف أول محاولة اغتيال
بعد الانقلاب العسكري سنة ١٩٧٤م وقامت به منظمة (أيوكا - ب) ولقد نجاه الله
من الموت بأعجوبة في حين قتل سائقه في تلك المحاولة الأثمة وهو الرجل الذي لم
يكن سلاحه إلا الكلمة الصادقة الأمينة، الدكتور الطبيب (فاسوس ليساريديس) ..

والمفتودين، مشكلة عائلات فقدت عائلها الوحيد. وهي لا تعلم ما إذا كان حيا أو ميتا
وليس لها من معيل، وقبرص بعد هذه الأحداث على ساستها أن يفكروا جيدا وأن
يعملوا معا (أتراكا ويونانيين) على حل مشاكلهم وأن ينسوا بقدر ما يمكن ما حدث
لكي يعيشوا معا ولكي لا تتكرر المآسى والأحزان، وحلف شمال الأطلسي الذي يفكر
قادته دائما في موقف الدب الروسي الذي قد يتحرك ليهز العالم لابد أنهم ضحوا
كثيرا بالشعوب ومصالحها من أجل إبعاد ذلك الدب وهو نائم الآن وربما جائع فإنهم
يجب أن يساعدوا البلدان التي ضحوا بها فيما مضى، أما الطائفة القبرصية
التركية التي ربما آلمها ما حدث في الماضي وهي تتجرعه وتضممر الكثير من الألم
وربما الغيظ لما تعتقد أنه ظلم وقع عليها خلال عقد أو أكثر من الزمان فقد أرادت
أن تثار وبالتالي فقد استولت على كل ما يخص أي قبرصي يوناني في المناطق التي
احتلت إما بالاستيلاء أو بالحرق والتدمير إضافة إلى ما دمرته الحرب فإنهم لا
يجب أن يستمروا في ارتكاب الأخطاء، وهذه الطائفة تمثل نسبة (١٨ إلى ٢٠٪) من
عدد السكان حسب الإحصائيات القبرصية اليونانية (وقد تزيد أو تقل) وإذا كان
القبارصة الأتراك قد لجأوا بعد أحداث سنة ١٩٦٣م إلى الشمال حيث توجد
الأغلبية التركية وحيث يتوقعون دائما المساعدة من تركيا فإنهم قد اعتبروا أن ذلك
الانتقال نهائي لأنه على الأقل يوفر الأمن بينما الحال بالنسبة للقبارصة اليونانيين
بعد أحداث سنة ١٩٧٤م فإن أمرهم يختلف إذ اعتبروا أن حكومتهم التي كانت تركز
دعايتها الإعلامية على العودة والاستقرار قادرة على أن تحقق ذلك الأمل، وفعلت
هيئات الأمم المتحدة نفس الشيء إذ هي أيضا ركزت على أمل العودة بالمهجّرين أو
الهاربين إلى قراهم ومدنهم، وعدد هؤلاء قرابة ثلث عدد السكان أي حوالي (مائتي
ألف مواطن) ومن هنا يتضح أن الوضع في غاية التعقيد ويزيده تعقيدا فقدان
الرجل الذي كان ربما قادرا (بعد هذه الدروس) على اتخاذ القرار الصعب، إنه
فقدان ذلك الرجل الحكيم، رجل الدين والدولة مكاريوس صديق جمال عبد الناصر،



مع السياسي المخضرم السيد (قلافكوس كليريدس) رئيس البرلمان في ذلك الوقت وهو في نفس الوقت زعيم أكبر حزب سياسي يميني في البلاد وقد انتُخب رئيساً للجمهورية فيما بعد، كليريدس أحد الزعماء البارزين والذي ينحدر من بيت سياسي عريق، ألقت مذكراته التي صدرت في عدة أجزاء باللغتين اليونانية والإنجليزية الكثير من الضوء على أحداث قبرص والعالم..

السيد قلافكوس كليريدس..



الفصل الخامس

قبرص بعد مكاريوس رئيس الدولة رئيس الكنيسة

« إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها فإذا كان
براً أتوه ببرهم وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم ».

« وهذه حقيقة لم تتغير مع الزمن قالها خليفة المسلمين الخامس:
« عمر بن العزيز رحمه الله رحمة واسعة »

لقد صدق الفرزدق حين قال :

ترى الدهر لا يبقى كريما لأمله ولا تحرز اللؤمان منه المهارب
أرى كل ميتا فمودعا وإن عاش دهرًا لم تنبئه النواثب
هكذا بالضبط، ومن المؤكد أن مكاريوس قد مات عمليا يوم حدث الانقلاب
عليه لعدة أسباب منها :

أولا، أنه لم يكن ليصدق أن أحدا يمكن أن ينقلب عليه ويهاجم قصره
بالدبابات وأنه سيهرب متخفيا خائفا بعد أن كان رافع الرأس معترزا بما قدم لشعبه.
وثانيا، أنه كان يعتقد أن الشعب القبرصي اليوناني سوف يهب في اندفاعه
واحدة هائلة للدفاع عنه وأنه لا يمكن أن يتعاون مع أعدائه وخصوصا إذا كانوا من
غير القبارصة وبشكل أخص إذا كانوا عسكريين..

وثالثا، أن البلد (الأم) لا يمكنها أن تتخلى عنه، ولقد حدث الانقلاب وذلك
قصره بالمدافع والدبابات وإن الشعب كان أعجز من أن يفعل شيئا رغم الحب، وأن
البلد (الأم) (اليونان) لم تكن سيدة نفسها وأن هناك قوى أكبر تسيطر وتقرر مصائر
البلدان والأشخاص. وكان هذا نفس الشيء الذي حدث مع جمال عبد الناصر في ٥
يونيو ١٩٦٧م بهزيمة قواته المسلحة التي اعتقد أنها لن تهزم، ومات مكاريوس يوم
١٥ يوليو ١٩٧٤م بالانقلاب على نظام حكمه، وكلاهما كان عظيمًا وكان صادقا مع
نفسه وبلده، ولقد وقف جمال عبد الناصر مع مكاريوس في نضاله من أجل تحرير
بلده رغم أن عبد الناصر كان مسلما ومكاريوس كان مسيحيا أرثوذكسيا، وتضامنت
قضاياهما معا كأنما يد القدر هي التي أعدتها، فأزمة قناة السويس والعُدوان

الثلاثي على مصر جاءت قبل نفى مكاريوس إلى جزيرة (سيشل) أي في ٩ مارس سنة ١٩٥٥م، وما يؤكد ذلك جاء في حديث السيد (ماكملان) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق في مذكراته عن نفى مكاريوس وأحداث قناة السويس، ففي الجزء الثاني من تلك المذكرات وهو بعنوان (ركوب العاصفة) قال :

(منذ محاولتي إيجاد حل لمشكلة قبرص بعقد مؤتمر لندن ومنذ أن نقلت من وزارة الخارجية إلى وزارة الخزانة في ديسمبر سنة ١٩٥٥م كان لي القليل من الاتصال بقضية قبرص سواء مباشرة أو غير مباشرة، وكنت أعرف أن الحاكم الجديد لقبرص المارشال (جون هاردنج) كان قد قرر إيجاد حل للقضية القبرصية إذا كان ذلك ممكنا على أي حال، وعندما تركت وزارة الخارجية كانت المفاوضات جارية وقد استمرت خلال شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٥٦م ولكن مع الأسف كانت هذه المفاوضات قد توافقت مع أعمال عنف وخروج على القانون، وكنت مستعدا أن أرى بعض التعديلات إذا كان ذلك يساعد الأسقف مكاريوس وكانت الفكرة قد رحبت بها تركيا، وكتبت في مفكرتي آنئذ (إن المباحثات الآن ستبدأ من جديد وسوف نرى ما إذا كان الأسقف حقيقة مستعدا لأن يخاطر بالوصول إلى اتفاق معنا وأنا أشعر بأن الأسلوب ليس بنفس أهمية الحقيقة وأن عددا كبيرا من مجموعات الشيوعيين والمتعصبين سوف يقفون ضد الأسقف كيفما يكون أسلوب أى اتفاق، وهذه القوى ثورية ولا يمكن إرضاؤها) وكان كذلك السيد (ايدن) قلقا من أجل الوصول إلى تسوية وقد فكر في أن يشارك هو نفسه في المباحثات ولكن كان واضحا أن ذلك سيؤدى إلى أن يطلب الأسقف زيادة في الثمن، ومنذ بداية شهر مارس ١٩٥٦م حدث أنه بالنسبة لأى وضع فإن المباحثات لابد أن تفشل ذلك أنه كلما تم الاتفاق على نقطة تظهر أخرى ولم يتحقق أى تقدم رغم المساعدة التى قدمها أسقف (تشيسستر) إضافة إلى أن رأى حاكم قبرص الذى كان قد اقترح أن الأسقف مكاريوس وأسقف كايبرنيا كانا مشتركين في نشاطات إرهابية ولهذا فقد تم القبض على الاثنين ورحلا إلى جزيرة (سيشل) في يوم ٩ مارس، ومع ذلك فقد كنت مقتنعا وأعرف من خلال تاريخ مثل هذه الحركات وخصوصا في أيرلنده أن العنف لا يمكن

أن يكون الحل أو الجواب، والاضطراب في أيرلنده كان قد أدى إلى التقسيم ولكن قبرص صغيرة والأرض التى يحتلها الأتراك أو اليونانيون بأى شكل لا تمثل أى تجانس ومع ذلك فإن التقسيم قد ثبت أنه الحل الوحيد، وبعد هذه المشاكل فإننا الآن نواجه مشكلة كبيرة حول مستقبل قناة السويس ذلك أنه في ١٨ مارس ذكر المصريون أن العوائد يجب أن تدفع مقدما إلى السلطات المصرية في القناة وقد عرضت الحكومتان البريطانية والفرنسية بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية أن تدفع عوائد قناة السويس إلى الأمم المتحدة أو البنك الدولى وتبعاً لذلك قد تبدأ المفاوضات بين ناصر وهامرشولد، وفي ٢٩ مارس قدم ناصر شروطه كلها إلى الأمم المتحدة في الوقت الذى أكد فيه أن مصر سوف تلتزم باتفاقية السويس لسنة ١٨٨٨م وضمان حرية الملاحة وأصر على أن تدفع العوائد لسلطات قناة السويس.. انتهى).

ويستمر السيد ماكملان في سرد قضية قناة السويس في الوقت الذى كان يتحدث فيه عن قضية قبرص واعتقال مكاريوس، ونفهم من ذلك أن هناك ربطا بين تطورات الأوضاع في البليدين (مصر وقبرص) إذا عرفنا أن عبد الناصر كان يؤيد علنا قضية قبرص ونضال شعبها في ذلك الوقت وعرفنا فيما بعد أن العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م لم يكن فقط بشأن تأميم قناة السويس فإذا كانت بريطانيا لم تعلن رسميا أنها تريد إسقاط جمال عبد الناصر لأنه يؤيد قضية قبرص فإن رئيس وزراء فرنسا آنئذ السيد (جى موليه) قد أعلن على الملأ أنه يريد إنهاء ثورة الجزائر بضرب عبد الناصر في القاهرة، ولهذا فإننا لا نستبعد أن يكون الحديث عن مكاريوس وقضية قبرص مع الحديث عن قناة السويس في مذكرات السيد ماكملان يعنى أن بريطانيا أيضا كانت تريد إنهاء قضية قبرص بضرب ناصر في مصر، هذا احتمال وهو غير مستبعد وينسجم مع سير الأحداث في ذلك الزمن.. أما مؤلفة كتاب (ثورة قبرص) السيدة نانسي كراوشاو فقد قالت عن تلك الفترة وهي الخبيرة بالأحداث التى جرت هنالك في الشرق الأوسط (١) :

(١) كتاب ثورة قبرص، السيدة نانسي، ص ٢٧١ .

(لقد كانت اتصالات الأسقف بناصر والاتحاد السوفيتي مزعجة للولايات المتحدة الأمريكية وهي التي ترغب في وضع قبرص تحت مظلة حلف شمال الأطلسي بشكل من أشكال الوحدة، وفي خلال شهر يوليو التقى ممثلون عن اليونان وتركيا على انفراد بالسيد (دين اتشيسون) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية لمناقشة مبادرته وهي فكرة تقوم على مبدأ وحدة قبرص مع اليونان وتخصيص قاعدة عسكرية تحت السيادة العسكرية التركية واثنين من الكانتونات للقبارصة الأتراك تتمتع بنوع من الحكم الذاتي، وقد رفض اليونانيون الخطة بينما أرادت تركيا كنتونا أكبر ليستوعب الطائفة القبرصية التركية الكبيرة في قبرص دون اختلاط... انتهى).

وفكرة الوحدة (فيما يبدو) التي قدمها وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كان دافعها الخوف من اتصالات مكاريوس مع جمال عبد الناصر والاتحاد السوفيتي والرغبة في وضع قبرص تحت مظلة حلف شمال الأطلسي كما أشير في أكثر من حديث ومناسبة، ولم تتوقف المحاولات الرامية إلى إبعاد مكاريوس عن أصدقائه حتى لو أدى الأمر إلى تجزئة الجزيرة وهي صغيرة كما كانوا يقولون، وعلى الرغم من تأكيد الساسة الإنجليز وهم خبثاء كما قال (نابليون بونابرت) ذات مرة، وما أورده السيد ماکملان في مذكراته إلا أنهم رأوا منذ ذلك الوقت أن الحل يكمن في التقسيم، وهذا أيضا قد أكدّه السيد ماکملان عدة مرات، وقد حدث فعلا سنة ١٩٨٢م عندما أعلن القبارصة الأتراك جمهوريتهم الشمالية التركية (حدث فعلا التقسيم) وسوف نتحدث عن ذلك الوضع في مكانه..

وقد جرت أولى جولات المفاوضات أثناء وجود مكاريوس رئيسا للدولة وكانت قد بدأت في يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٧٥م أي أنها جاءت بعد الغزو التركي وهي الجولة التي قدم فيها الجانب التركي شروطه ورغبة في عدم إفشال الجولة الأولى من التفاوض قرر الجانبان تشكيل لجنة لبحث ما تقدم به الجانب التركي وخصوصا ما يتعلق بالمطار الدولي في نيقوسيا الذي كانت القوات التركية قد احتلته أثناء حملة

الغزو ولأنه كان في ذلك الوقت المنفذ الوحيد للبلاد وصلتها بالعالم الخارجى، وكانت الشروط التركية كما يلي :

أولا، أن يكون للمطار مدير محاييد ويجب أن يتم تعيينه من طرف الأمم المتحدة.

ثانيا، أن يكون لمدير المطار نائبان أحدهما قبرصى تركى والآخر قبرصى يونانى.

ثالثا، أن يكون عدد الموظفين والفنيين القبارصة الأتراك في المطار مساويا لعدد القبارصة اليونانيين.

رابعا، أن تقسم عائدات المطار المالية بالتساوى بين الطرفين.

لكن الجانب القبرصى اليونانى رفض هذه المطالب أو الشروط التركية

التعجيزية باعتبارها تخلق بادرة تجزئة بين الطائفتين، وتلافيا للموقف تم الاتفاق بين السيد قلافكوس كليريدس الذى ينوب عن الرئيس مكاريوس والسيد رعوف دنكتاش الذى يمثل الطائفة القبرصة التركية على إجراء مفاوضات أخرى في جنيف خلال شهر يونيو ١٩٧٥م، وفي هذه الأثناء كان القبارصة الأتراك يعدون العدة لإعلان دولتهم المستقلة في الجانب الشمالى من الجزيرة تحت حماية القوات المسلحة التركية التى كانت ومازالت ترابط هناك وكان كل طرف يدبر أمرا بينما كانت الأمور تسير في اتجاهات أخرى مختلفة ومتعددة، وفجأة مات الرئيس مكاريوس الرجل الذى كان يمسك بكل الخيوط أو كما يقال (العصا من نصفها) وكان يجيد المناورة ويستخدم الدين والدولة في تحقيق التوازن والتأثير داخليا وخارجيا، وجاء بعده ثلاثة رؤساء للجمهورية القبرصية لم يستطع أى منهم أن يغير من الواقع شيئا، وبينما أقدم القبارصة الأتراك على إعلان دولتهم (جمهورية) وتسمت باسم (الجمهورية القبرصية الشمالية التركية) وحدث الإعلان في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٢م، وكان مكاريوس قد مات في ٣ أغسطس ١٩٧٧م وبعده انتخب السيد (أسبيروس كبريانو) رئيسا لقبرص بعد مكاريوس .

وكان رصيده في تولى الرئاسة أنه الرجل الذي أتى به مكاريوس بعد عودته إلى الحكم وفشل الانقلاب العسكرى، ثم بعد هذا انتخب السيد (فاسيليوس) رجل الأعمال الذي لم يكن له في السياسة القبرصية أو الدولية دور محدد أو معروف ولكن والده كان أحد أبرز المؤسسين للحزب الشيوعى القبرصى (أكيل) ولهذا فإن الحزب الشيوعى هذا قد أتى به رئيسا ربما مكافاة له عن دور والده على الرغم من أنه ليس شيوعيا وربما يكون متعاطفا مع الحزب الشيوعى وانتهز تلك الفرصة التي كان فيها الحزب قويا ومؤثرا، ثم انتخب بأغلبية كبيرة (قلافسوس كليريدس) السياسى البارز والذي كان والده أيضا من أبرز السياسيين القبارصة والذي عمل في مجال السياسة طيلة حياته، ومن المعتقد أن كليريدس رغم تقدمه في السن سيبقى رئيسا أطول مدة ممكنة لأنه يمينى محنك وكان قد قاد أغلب جولات المفاوضات مع الجانب القبرصى التركى كما أنه يتمتع بعلاقات خاصة مع زعيم القبارصة الأتراك السيد ريوف دنكتاش (إذ كان هناك من مجال في السياسة للعلاقات الخاصة، الشخصية) ولقد أصبح السيد دنكتاش رئيسا للجمهورية القبرصية الشمالية التركية التي أعلنت من جانب واحد ولم يعترف بها عالميا أحد ماعدا (تركيا) إلى وقت إعداد هذا الكتاب (١٩٩٥م).

ولقد كانت آخر جهود الأسقف مكاريوس قبل وفاته حضور مؤتمر (الكومنولث) في لندن خلال شهر يونيو سنة ١٩٧٧م حيث تحدث بإسهاب عن مأساة بلاده وظروف شعبه المعيشية الصعبة جراء الانقلاب اليونانى والاحتلال التركى وبعد عودته من ذلك المؤتمر تحدث في تجمع شعبى يوم ٢٠ يوليو ١٩٧٧م ذلك التجمع الذى كان احتجاجا على الانقلاب العسكرى اليونانى والغزو التركى، وهذه ربما المرة الأولى التى يظهر فيها إجماع شعبى على إدانة عمل ينسب إلى اليونان وآخر إلى تركيا، (رغم أن تركيا في الحقيقة هي المشجب الذى يستخدمه كل السياسيين في الساحة على اعتبار أنها المانع للوحدة مع اليونان، والواقع أن أولئك السياسيين أو على الأقل بعضهم يدركون في قرارة أنفسهم أن ذلك المطلب (الوحدة) غير ممكن التحقيق وغير موضوعى ولا حقيقى ولكن أحدا لم يجرؤ على البوح

بذلك علنا (١) وكما هي الحالة بالنسبة للمواطن القبرصى التركى بعد الانقلاب اليونانى والغزو التركى فقد صار مواطنا من الدرجة الثانية أمام ذلك التركى الوافد أو الذى جاء به من لواء الإسكندرون ليقم في قبرص (ولهذا الإجراء تأثيرات عميقة الغور بعيدة الهدف) وصار السياسيون القبارصة الأتراك يتفنون بدور تركيا ولا يجرمون على الحديث عن وضع المواطن القبرصى التركى (ومن الناحية الأمنية فقد وفرتها لهم تركيا فعلا ولكن من الناحية المعيشية فقد كانت تلك الحملة أو الغزوة وبالا عليهم) وكان خطاب مكاريوس في ذلك التجمع مؤثرا ولبيقا (كمادته) ركز فيه على ضرورة الاستمرار في النضال من أجل الاستقلال والحرية والحقوق الوطنية وطالب المواطنين بالمحافظة على حقوقهم وحررياتهم وتلك أيضا كانت بوادر تغيير في الخطاب السياسى القبرصى اليونانى، ومن المعتقد أن مكاريوس لو عاش طويلا لكان قد أقدم على ما لم يستطع أحد الإقدام عليه بعده وهو التخلّى تماما ورسميا عن مطلب الوحدة مع اليونان وربما يكون بعدئذ قد توصل إلى حل مع القبارصة الأتراك لكنه توفى بعد ثلاثة عشر يوما من تاريخ ذلك الخطاب، لقد مات بالسكتة القلبية كما أعلن رسميا ولعله كان يدرك أنه لن يعيش طويلا ليشهد اليوم الذى كان يتمناه وأن ذلك الخطاب الجماهيرى كان توديعا خفيا لا يدركه إلا الله

ومع تولى (أسبيروس كبريانو) مهام رئاسة الجمهورية القبرصية تقدم القبارصة الأتراك خلال شهر أبريل ١٩٧٨م بأول مقترح حول الأرض والدستور وكانت الجولة الخامسة التى جرت في جنيف قبل وفاة الرئيس مكاريوس قد فشلت، وفي المقترح الجديد هذا أكد القبارصة الأتراك على تقسيم البلاد إلى جزئين يكون في كل جزء نظام حكم خاص بوحدة من الطوائف وطالبوا بضرورة الاعتراف بالإدارة التركية القائمة دون الإشارة إلى إعادة أى جزء من الأرض التى احتلت ومنذ البداية وضع أنهم يضعون العرية أمام الحصان، ولم ينتج عن الاقتراح أى نتائج، ثم في نوفمبر ١٩٧٨م تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بإطار عمل إلى الطرفين (الحكومة القبرصية والإدارة القبرصية التركية) بشأن استئناف المحادثات المحلية القبرصية على مشروع أمريكى كندى مشترك يقوم على أساس دولة اتحادية ذات

جزئين أحدهما خاص بالقبارصة الأتراك والآخر خاص بالقبارصة اليونانيين على أن تكون هناك حكومة مركزية بسلطات واسعة، والمشروع قريب من المقترح الذى كان قد تقدم به الجانب القبرصى التركى إلا أن الحكومة القبرصية كان لها الكثير من التحفظات على المشروع لأنه كما قالت يتعارض مع مبادئ الأمم المتحدة وتوصياتها بشأن عودة اللاجئين إلى بيوتهم وانسحاب جميع القوات الأجنبية من البلاد، وكان المشروع الأمريكى الكندى يشير إلى عودة اللاجئين تدريجيا وحسب الظروف كذلك يذكر المشروع تركز قوات أجنبية غربية حتى بعد الوصول إلى حل نهائى وهو ما يتفق مع أهداف حلف شمال الأطلسى فى المنطقة.

واستمرت جهود الأمين العام للأمم المتحدة لترتيب لقاء مباحثات بين الطرفين، وفى مايو ١٩٧٨م تم لقاء بين خليفة مكاريوس الرئيس كبريانو وزعيم القبارصة الأتراك السيد دنكتاش حيث توصلا إلى اتفاق يتكون من عشر نقاط، كانت كما يلى :

١ - تم الاتفاق على مباشرة المباحثات المحلية فى ١٥ يونيو ١٩٧٨م.

٢ - وستكون أسس المباحثات قائمة على ما تم بين مكاريوس ودنكتاش فى ١٢ فبراير ١٩٧٧م وعلى قرار الأمم المتحدة المتعلق بقضية قبرص.

٣ - ويجب أن يكون هناك احترام لحقوق الإنسان والحرية الأساسية لكل المواطنين فى الجمهورية.

٤ - ويجب أن تعطى الأولوية للوصول إلى اتفاق بشأن تسوية (فاروشا) تحت إشراف الأمم المتحدة بالتزامن مع بداية إعادة النظر فى المباحثات الخاصة بالدستور ووضع الأراضى فى تسوية عادلة، وعندما يتم الاتفاق على (فاروشا) يجب أن ينفذ الاتفاق دون انتظار لنتائج المباحثات فى شأن المواضيع المتعلقة بقضية قبرص.

٥ - المباحثات سوف تتعامل مع جميع الأمور الدستورية والأرضية.

٦ - وقد اتفق على الامتناع عن أى عمل يعرض للخطر نتائج المباحثات على أن يعطى اهتمام خاص من الطرفين للنوايا الحسنة وبناء الثقة والعودة إلى الأوضاع العادية.

٧ - وقد نظر إلى إخلاء الجمهورية من القوات العسكرية وسوف تناقش الأمور المتعلقة بذلك.

٨ - وأن استقلال وسيادة ووحدة أراضى الجمهورية القبرصية وعدم انحيازها يجب المحافظة عليها بدقة ضد الوحدة كجزء أو ككل مع أى بلد آخر وضد أى نوع من التجزئة أو الانفصال.

٩ - أن المباحثات المحلية سوف تستمر بشكل مناسب ودون أى إبطاء.

١٠ - سوف تبدأ المباحثات المحلية فى نيقوسيا.

كانت هذه هى النقاط التى اتفق عليها فى أول لقاء بين الطرفين فى الوضع الجديد أى خلال فترة الرئاسة الجديدة بعد غياب مكاريوس، ويلاحظ أن أهم بندين جاءا فيها هما التاسع والعاشر إذ قررا أن تكون المباحثات مناسبة وفى نيقوسيا، وهذا يعنى أن الطرفين ربما أدركا أنهما فى حاجة إلى التخلص من الإشراف والضغط الخارجى، كذلك جاء النص فى الفقرة (٨) أنهم يرفضون الوحدة أو التجزئة والانفصال، وهذا ما كان فى الحقيقة موضع خلاف شديد منذ بدأت الأزمة القبرصية ذلك أن القبارصة اليونانيين كانوا يطالبون أو يعملون من أجل الوحدة مع اليونان وهو الشيء الذى يرفضه بالطلق وتامما القبارصة الأتراك وفى المقابل يهددون بالانفصال أو الانضمام إلى تركيا، بمعنى تقسيم الجزيرة، ولو أمكن أن تنفذ هذه النصوص بصدق وإخلاص لكانت المشكلة قد حلت وربما يكون كبريانو ودنكتاش قد دخلا التاريخ بهذا العمل، ولكن مع الأسف لم يتم الاتفاق على شئ وسرعان ما تبخر الأمل (وعادت ريمه إلى عاداتها القديمة كما يقول المثل العربى) ولعل تلك البنود التى جاءت فى الاتفاق تمثل (صحوة الضمائر) إلا أن التدخلات والتصريحات والمناورات أفسدت ذلك الجو السياسى الذى كان قد ظهر فيه بعض الهدوء والأمل.

ثم جاء قرار الأمم المتحدة الذي يطالب مرة أخرى بضرورة استئناف المحادثات في أسرع وقت ممكن، وكان ذلك في ٩ نوفمبر ١٩٧٩م وقد شدد القرار على تنفيذ النقاط العشر التي اتفق عليها بإشراف الأمين العام للأمم المتحدة ولكن الجانب القبرصي التركي رفض القرار وهدد بإعلان دولة مستقلة في الجانب التركي من أراضي الجزيرة، وبعد ضغوط ومحاولات اتفق الطرفان على مباشرة المباحثات على أن يكون هناك ما يؤكد ويضمن أمن وسلامة الطائفة القبرصية التركية، وفي هذه المرة أيضا لم ينتج عن المحادثات شيء، وبعد فترة اتفق على إجراء جولة ثامنة من المباحثات في ٩ أغسطس ١٩٨٠م وعلى أساس مشروع الدولة الاتحادية، وفي هذه المرة الثامنة قبل الجانب القبرصي اليوناني أن يبحث في موضوع الدولة الفيدرالية التي تقوم على منطقتين واحدة للقبارصة الأتراك والأخرى للقبارصة اليونانيين دون تحديد فواصل أي (حدود) بين الاثنتين مع وجود حكومة مركزية بصلاحيات واسعة وقوية (وكان القبارصة الأتراك في حالات سابقة يطالبون بأن تكون هناك حكومات محلية بصلاحيات واسعة وحكومة مركزية بصلاحيات محدودة) وهو الأمر الذي يرفضه الجانب القبرصي اليوناني على اعتبار أن الحكومة المركزية ما لم تكن ذات صلاحيات واسعة بحيث تقرر الأمور المتعلقة بالأمن والدفاع والخارجية وأمور الحكومة المحلية فإنها غير مفيدة، وبعد الكثير من الجدل والمحاولات رأت الحكومات القبرصية أن الحل الوحيد هو نقل الموضوع من جديد إلى المجتمع الدولي متمثلا في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهكذا تقدمت بطلب إلى الأمم المتحدة في ١٢ مايو ١٩٨٣م وقد اعتمد مجلس الأمن الدولي قرارا بالإجماع رقمه (٣٧ - ٢٥٣) يرفض فيه فرض الأمر الواقع ويدعو إلى السحب الفوري لكل القوات الأجنبية وحل سريع يرضى جميع الأطراف والمحافظة على سيادة واستقلال ووحدة أراضي الجزيرة، وفي هذه الفترة عمل القبارصة الأتراك على اعتماد العملة التركية (الليرة) وإنشاء مصرف مركزي، الشيء الذي اعتبره الجانب القبرصي اليوناني عملا انفصاليا وهو كذلك إعداد وترتيب من أجل ضم الجانب الشمالي من جزيرة قبرص إلى تركيا بالإضافة إلى أن المجلس التشريعي في

الجانب التركي قد صوت على إجراء استفتاء شعبي بشأن إعلان جمهورية تركية مستقلة ومن جانب واحد في الأراضي التي تقع تحت الإدارة القبرصية التركية، ومن أجل قطع الطريق على هذا الإجراء قدم الأمين العام للأمم المتحدة السيد (بيريز دي كويلار) في ٩ أغسطس ١٩٨٣م مقترحا في محاولة لتضييق شقة الخلاف بين الجانبين ورد الرئيس القبرصي كبريانو رسميا على المقترح بينما أعلن زعيم القبارصة الأتراك السيد دنكتاش أنه يرفض تلك المقترحات، وفي نفس الوقت طالبت الطائفة القبرصية التركية بضرورة الاعتراف بالحكم الذاتي للجانب القبرصي التركي والتخلي عن ادعاء تمثيل قبرص كلها، وبعد ذلك طالب السيد دنكتاش بمقعد لقاء قمة مع الرئيس كبريانو للبحث في الأمر دون تحديد لجدول الأعمال أو أي مقترحات، وفي ١ نوفمبر ١٩٨٣م عاد المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة السيد (هوق قويس) من الخارج وبدأ مشاورات مع الأطراف المعنية إعدادا للقاء القمة المقترح بين دنكتاش وكبريانو ولكن في نفس ذلك الوقت أعلن المجلس التشريعي في الجانب القبرصي التركي عن إنشاء الجمهورية القبرصية التركية الشمالية، وبعد هذا الإعلان لم تعترف أي دولة في العالم ماعدا تركيا بهذه الجمهورية، وبذلك دخلت القضية القبرصية نفقا مظلما طويلا على الرغم من أن الأمين العام للأمم المتحدة قد حاول في يناير ١٩٨٤م أن يجدد مبادرته ورتب لقاءات على مستوى رفيع نتج عنها إطار عمل عرضه في أبريل سنة ١٩٨٦م قبله السيد دنكتاش زعيم الطائفة القبرصية التركية إلا أن الرئيس القبرصي كبريانو لم يلزم الجانب القبرصي اليوناني بشيء ما لم تتوضع بعض النقاط الهامة التي لم يذكرها إطار العمل الذي قدمه الأمين العام في ذلك الوقت ولم يحدث بعد ذلك أن تقدم حتى انتهت رئاسة السيد كبريانو وانتخب بدلا منه السيد (جورج فاسيليوس) في فبراير سنة ١٩٨٨م وقد تعهد الرئيس الجديد في أول خطاب له بأن يعمل على إيجاد حل لقضية قبرص (ومثل ذلك كان يقوله كل مسئول أو رئيس في أول موقف أو مباشرة عمل على اعتبار أنه مطلب وطني) وجرت ترتيبات حيث وجهت الدعوة من طرف الأمين العام لمباحثات مباشرة رغبة في الوصول إلى حل قبل تاريخ الأول

من يونيو ١٩٨٩م (أى أن الرئيس الجديد كان يعتقد أنه يمكنه أن يصل إلى حل للقضية المزمعة قبل مرور سنة واحدة من رئاسته وكأنه يمسك بعضا سحريه، والواقع أنه لم يكن قد تعامل مع القضية ولا عرف طريقة مفاوضات الأتراك) وعلى الرغم من أن بعض التقدم قد حدث إلا أن تسوية لم تتم وكالعادة استمرت المباحثات بين مد وجزر إلى أن انتهت رئاسة السيد فاسيليو الأولى فى خضم تلك الظروف وكان يأمل أن يعاد انتخابه على الرغم من أنه لم يحقق ما كان ربما يصبو إليه فى شكل معجزة دون أن يدرك أن العصر ليس عصر معجزات، وكان نجاحه فى انتخابات الفترة الأولى للرئاسة كما ذكرنا بسبب تأييد الحزب الشيوعى القبرصى له، لكن الظروف الدولية هذه المرة قد تغيرت وبدأ دور الاتحاد السوفيتى فى التراجع بعد وصول السيد (جورباتشوف) إلى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو وطرح أفكاره التى أدت إلى كارثة فيما بعد لذلك البلد الذى كان عظيما، أفكاره تلك المتمثلة فيما عرف باسم (البليسترويك) أى الإصلاح والثانية باسم (قلازونس) أى انتحاحاً أى النقد، والواقع أنه لم يصلح شيئا وإنما خرب ولم يحدث انفتاح وإنما خلق فوضى، وبذلك انهارت الدولة التى كانت تقاسم النفوذ فى العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية ومن هنا تخلى الاتحاد السوفيتى عن دوره فى العالم وصارت الأحزاب الشيوعية فى مهب الريح ولهذا تضاعف دور الحزب الشيوعى القبرصى اليونانى مثله مثل بقية الأحزاب الشيوعية الأخرى فى العالم بل إن تلك الأحزاب صارت تتخلص حتى من أسمائها قبل أن تفقد مواقعها وسلطانها فى البلدان التى كانت تنشط بها، وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعى القبرصى من الأحزاب المنظمة والفنية وتاريخه طويل فى العمل السياسى والحزبى التنظيمى، وكان فاسيليو قد رشح نفسه لفترة جديدة دون أن يدرك تلك الحقيقة فسقط سقوطا مروعا ومن ثم عاد يباشر أعماله التجارية، وجاء بعده السيد (قلافكوس كليريدس) السياسى المخضرم ورجل الغرب الذى عاصر الأحداث والمفاوضات فى قبرص منذ ما قبل الاستقلال وبذلك يكون الرئيس الثالث لقبرص بعد وفاة مكاريوس (وكانت الكنيسة التى تلعب دورا بارزا فى الحياة

الاجتماعية والسياسية فى قبرص قد انفصلت عن الدولة بعد وفاة مكاريوس الذى كان يمسك بالاثنتين معا (أى الدولة والكنيسة) وانفصال الكنيسة عن الدولة جعل الاستقطاب ثائبا ومن هنا صارت الكنيسة تلعب دورا منفصلا ومهما فى قضايا البلاد فإذا وقف الأسقف الجديد مع مرشح ما فإن وزنه يكون كبيرا وهاما، والكنيسة بالضرورة ضد الشيوعية والأحزاب التى تعتمد تلك العقيدة فى كل وقت وكل زمان منذ ظهرت الشيوعية (فيما عدا عهد مكاريوس الذى كان يستخدم كل الأحزاب فى قبرص بما فيها الحزب الشيوعى) والرئيس الجديد سياسى ورئيس حزب كبير يمثل تجمع الوسط فى قبرص وقد جاء للرئاسة فى زمن مختلف ووضع عالمى ربما يكون مناسبا له، وكان والده أيضا من أبرز الساسة القبارصة اليونانيين قبل الاستقلال، وكان الأسقف مكاريوس قد حاول إضعافه بعد عودته إلى الحكم عندما فشل الانقلاب اليونانى (ربما لأنه اعتقد أن بعض تصريحاته عندما كان رئيسا بالوكالة فى غياب مكاريوس انتقاص منه أو هى على حسابها ولقد حدث فعلا أن الإذاعة القبرصية اليونانية كانت فى البداية عندما يذكر اسمه يقترن بتعبير (الرئيس بالوكالة) لكنها سرعان ما صارت تقول (رئيس الجمهورية) وما أكثر ما أقسد الإعلام من علاقات بين الناس زعماء وغير زعماء) لكن كليريدس حتى بعد عودة مكاريوس وتغير حزيه واختيار سكرتير عام آخر للحزب قد استمر فى خضم العمل الحزبى والسياسى إلى أن وصل إلى الرئاسة وعلى الرغم من تقدمه فى السن حيث كان فى حدود السبعين سنة عند انتخابه إلا أنه من المتوقع أن يبقى فى سدة رئاسة الجمهورية القبرصية أطول مدة ممكنة، والواقع أن النظام الجمهورى فى قبرص نظام رئاسى ديمقراطى بكل ما تحمل كلمة (ديمقراطية) من معنى، فيه للصحافة سلطة فاعلة وهى السلطة الرابعة بالفعل، وربما كانت الديمقراطية التى تمارس هناك منذ بداية الحكم الوطنى سببا رئيسيا فى عدم نجاح الحكم العسكرى فى البلاد (الذى قام به ضباط الحرس الوطنى القبرصى كما ذكرنا) مع عوامل أخرى بطبيعة الحال تلك التى كانت سببا فى إفشال أول انقلاب عسكرى، ورئيس الجمهورية هو رئيس مجلس الوزراء وهو الذى يختار هؤلاء الوزراء الذين يمثلون

الجهاز التنفيذي وتجرى محاسبتهم حسب القانون في مجلس البرلمان ولا يجوز دستوريا لرئيس الجمهورية أن يحل مجلس البرلمان (التواب) إلا مرة واحدة وأذكر أن حادثة خلاف وقعت في عهد الرئيس (أسبيروس كيريانو) وكانت بينه وبين أعضاء البرلمان والتي انتصر فيها البرلمان عندما احتكم الرئيس إلى المحكمة العليا، والتفاصيل في تلك الحادثة كما يلي :

(تردد في البرلمان أن الرئيس بدأ يستخدم الإذاعة والتلفزيون فيما لا يخدم الشعب وأنه أكثر من الظهور في غير المناسبات الرسمية مما يعطى انطباعا أنه يسعى إلى أن يجعل التلفزيون والإذاعة في خدمته الشخصية، وكانت مؤسسة الإذاعة والتلفزيون تتبع وزير شؤون الرئاسة حينئذ، بمعنى أنه لا يوجد وزير إعلام، فتقدم الحزب الشيوعي (أكيل) بمقترح إلى البرلمان مطالبا بجعل مؤسسة الإذاعة والتلفزيون هذه تحت تصرف البرلمان وليس الرئاسة للحد من استقلالها في غير صالح المواطنين والبلاد، وعندما ناقش البرلمان ذلك الاقتراح وافق عليه وأصدر قرارا بنقل مسئولية مؤسسة الإذاعة والتلفزيون إلى لجنة شؤون الإعلام في البرلمان وبذلك لم يعد للرئاسة سيطرة عليها، وما كان من الرئيس إلا أن تقدم بشكوى إلى المحكمة العليا ذاكرا أن البرلمان قد سلب اختصاصه لكن المحكمة العليا بعد البحث والمناقشة أصدرت حكما مؤيدا لقرار البرلمان على اعتبار أن الإعلام في خدمة مصالح الناس وأن البرلمان يمثل هؤلاء الناس وأنه أحق من رئيس الجمهورية برعاية تلك المصالح، وهكذا انتهت القضية لصالح البرلمان ورضخ الرئيس لحكم المحكمة وصارت الإذاعة والتلفزيون منذ تلك الحادثة تابعة للجنة الإعلام في البرلمان) أسوق هذه الحادثة للتدليل على عمق وتأصل الإحساس باحترام الدستور ومؤسسات القضاء والقوانين التي تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبالتالي الديمقراطية الناضجة والحقيقية..

وفي قبرص عدة أحزاب منها أربعة رئيسية، وكل تلك الأحزاب تلمب دورا هاما في السياسة القبرصية كل منها حسب عدد أعضائه في البرلمان (كان عدد

أعضاء البرلمان ٣٥ عضوا ثم زيد عدد الأعضاء فصار ٥٥ عضوا) والأحزاب الهامة أو الكبيرة نسبيا هي :

١ - حزب الوسط الديمقراطي ويعرف اختصارا باسم (إيدك) وهو حزب اشتراكي مؤيد لقضايا التحرر ورئيسه الدكتور (فاسوس ليساريدس) ولهذا الرئيس علاقات دولية كبيرة وعلاقات مع أغلب منظمات النضال الوطني في العالم وهو مؤيد بلا تحفظ للقضايا العربية وعلى رأسها قضية الشعب الفلسطيني، وسياسة الحزب وطنية تحززية اشتراكية معتدلة، والدكتور ليساريدس بالإضافة إلى أنه سياسى كبير وقد لعب دورا بارزا في سياسة بلاده فهو شاعر ورسام وطبيب بشري ممتاز، وظل صديقا لمكاربوس طيلة حياته..

٢ - الحزب المجدد للشعب العامل ويعرف اختصارا باسم (أكيل) وهو الحزب الشيوعي الوحيد في قبرص وربما الحزب الشيوعي الوحيد في العالم الفنى مالياً وهو في الواقع تيمنا لذلك كان أقوى الأحزاب القبرصية (قبل انهيار النظام الشيوعي السوفيتي) وكانت له دائما مقاعد في البرلمان تؤهله أحيانا لرئاسة البرلمان لكن قيادته لم تفعل ذلك أبدا وإنما كان قاداته هؤلاء يمارسون توجيه الأمور السياسية وترتيب وظائف الدولة من وراء الكواليس ويقولون إنهم يتحاشون إثارة القوى اليمينية بمعنى (إثارة الغرب) ومنه بطبيعة الحال البلد الذي يلعب دورا كبيرا دائما أى (اليونان) وعلاقات الحزب بالدول الشيوعية كما هي العادة بالنسبة للأحزاب الشيوعية قوية جدا وخصوصا مع الاتحاد السوفيتي (السابق) ومؤسسات الحزب التجارية تسيطر على ٩٠٪ من التجارة من وإلى قبرص عبر تلك الدول ولابد أنه سوف يتأثر ماليا وتجاريا وحتى سياسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الشيوعية في أوروبا الغربية على أن الحزب لم يفعل مثل بقية الأحزاب الشيوعية في العالم التي بادرت بتغيير أسمائها (ربما لإرضاء أهل النظام المالى الجديد، أى أمريكا) وإنما احتفظ باسمه كما هو وربما سيتمكن من الاحتفاظ بنموذته في قبرص لمدة أطول لما

يقدم من خدمات اجتماعية للمواطنين في قبرص. وقد كان يتزعم هذا الحزب السياسى الشيوعى المخضرم السيد (أزيكياس بابايونو) وعندما توفى تولى زعامة الحزب أحد أعضاء المكتب السياسى وهو السيد (كريستوفيدس)..

٣ - الحزب المتحد للجهة الوطنية ويعرف اختصارا باسم (أنيون) وهو فى الحقيقة يمثل تجمعاً سياسياً من مختلف القوى وقد استطاع زعيمه السيد (قلافكوس كليريدس) رئيس الجمهورية الحالى أن يقوده بحنكة ودراية بحيث يكون منافساً قوياً لكل المرشحين فى مختلف مراحل العمل السياسى والحزبى فى قبرص وكانت له أغلبية مقاعد البرلمان بحيث أصبح رئيسه رئيساً للبرلمان (حسب اللائحة البرلمانية) وذلك قبل الانقلاب العسكرى الذى حدث سنة ١٩٧٤م وكان تبعا لثرائسته للبرلمان نائبا لرئيس الجمهورية (حسب نص الدستور) وقاد قبرص بعد فشل الانقلاب إلى أن عاد مكارىوس من الخارج، وكليريدس حقق نصرا حاسما فى الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٩٣م وكان فى عمله وسياسته مواليا للغرب من مناصرى تيار الوحدة مع اليونان (ربما يكون قد غير رأيه الآن فى قضية الوحدة بعد الأحداث التى مرت بها البلاد وكذلك تغير التوازن الدولى فى العالم)..

٤ - الجبهة التقدمية لاتحاد الفلاحين، وهى حزب وطنى أيضا يمثل تجمعاً يغلب عليه شكل العمال والفلاحين وكان له عدد من النواب فى البرلمان باستمرار وإن لم يحصل على أكثر من ربع الأعضاء فى أى مرحلة من عمر ذلك البرلمان، ويتزعم هذا الحزب السيد (حجى هيراكليس)..

هذه هى الأحزاب الرئيسية فى جانب الطائفة القبرصية اليونانية (أى الجانب الذى مازال عضوا فى الأمم المتحدة ويعترف به العالم على أنه الجمهورية القبرصية) ولكل حزب من هذه الأحزاب جرائده ومجلاته الخاصة وحتى نواديه الرياضية ومؤسساته الشبابية، وهناك أحزاب صغيرة أخرى، كما أن الجانب القبرصى التركى كانت فيه أحزاب سياسية كبيرة قبل الانفصال وبعد أن أعلنت فى

ذلك الجانب الجمهورية القبرصية التركية الشمالية استمرت تلك الأحزاب وتكونت أخرى وهناك صحف تابعة لتلك الأحزاب كما نشأت مؤسسات فى تلك الجمهورية كالنقابات والاتحادات العمالية وبطيعة الحال مجلس للوزراء ومجلس للبرلمان... إلخ.

وفى الجانب القبرصى اليونانى وحده هناك خمس عشرة نقابة ومنظمة واتحاداً عمالياً وزراعياً ومهنيّاً كاتحاد الشباب والعمال والفلاحين والمرأة والنضال إلخ، وهناك أيضا العديد من الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية الحزبية والمستقلة والحكومية أيضا، وتتمتع الصحافة بحرية كاملة وبذلك فهى تلعب دورا بارزا فى توجيه رأى العام وسياسة البلاد وللصحف ضمانات قانونية كاملة ومحترمة فى عمله، وقد بلغ عدد الصحف فى مرحلة ما (ستين صحيفة بين يومية ونصف شهرية وأسبوعية وشهرية وأغلبها باللغة اليونانية ماعدا ثلاث صحف تصدر باللغة الإنجليزية) وهناك فى الجانب القبرصى التركى صحف تصدر باللغة التركية، وأهم تلك الصحف هى (الفجر الجديد - صديق الحرية - الأخبار - النضال - المعركة - يريد قبرص - الوطن - الظهيرة - المساء - الزمان - الشعب الحر - الشجاعة - المجهز)..

الفصل السادس

عود على بدء

وفي الناس من يتجنى الذنوب	وذا قد تجاوز حد الصفة
وما كل من كان ذا قوة	يناوي الضعيف إذا استضعفه
ويزعمني صدفًا خاليا من	الدرفي مثل ما صرفه
ولو شئت عرفته من أنا	وإن كان بلا جيد المعرفة
وفرعون يعرف من ربه	ولكن طفيلياته سوائه
وسل من تعرض لي بالهجا	ومن عرضه أين خلفه

شاعر عربي

وقال :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	يصير رمادا بعد إذ هو ساطع
-----------------------------	---------------------------

لقد استعرضنا باختصار - نعتقد أنه مفيد - الأحداث والضرورات والأسباب الأمنية والسياسية التي أدت إلى القيام بالفتح العربي لقبصر في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) وكذلك أحوال العرب خلال تلك الفترة وقبلها وبرز دولتهم ورجالهم الذين حملوا رسالة العدل والإيمان، رسالة النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك لازما، ثم مررنا بحالة قبرص قبل الغزو الإسلامي وبعده وما حدث فيها ولها حيث وصلنا إلى آخر غزو إسلامي وإن لم يكن عربيا في العصر الذي نعيشه ونظرنا أيضا باختصار إلى الفرق بينهما سياسيا وعسكريا واجتماعيا، ومن الطبيعي أنه ليس هناك حادث بلا أسباب ولا تغير بلا سوابق، ولم يحدث أن ظهرت دولة وكبرت وتوسعت دون حروب وغزوات واحتلال، لم يحدث منذ قابيل وهابيل (رغم عدم وجود ما عرف بالدولة آنئذ) حتى هذا اليوم، ولكن عندما تدرس الأسباب والنتائج تختلف الرؤى وربما يكون من الجائز أن نقول إن هناك من صنّاع التاريخ من لا يقرأ التاريخ ولكن ليس من الممكن ولا من المفهوم أو المقبول أن يكون الذين يكتبون التاريخ لا يفهمون أحداث التاريخ، ولقد حدث مع الأسف أن أولئك المستشرقين الذين كتبوا تاريخ الشرق أو عن أحداث تاريخ الشرق العربي الإسلامي بالذات قد اختلفوا وتجنّوا وزوروا، اختلفوا الأحداث وصوروا بحيث أساءوا للقادة والزعماء والمناضلين وحتى الأئمة، وإلا كيف لعاقل أن يقتل ما نسبوه لهارون الرشيد وغيره، فقد صوروه على أنه لا هم ولا عمل له ولا شغل غير الطرب والجواري والحريم ومعاقرة الخمر !! في حين أنه قارئ للقرآن الكريم والسنة المحمدية وحافظ للأحاديث وشاعر وحافظ للشعر كما أنه محدّث بارع، كيف يمكن للرجل لا يصحو من السكر أن يحفظ آلاف الأبيات من الشعر وأن يناقش الشعراء ويحاججهم

في أشعارهم و المتحدثين في أحاديثهم، وكيف يمكنه أن يستدل بالآيات القرآنية ويهتدي بالأحاديث النبوية الشريفة؟ كيف يمكن أن يكون هذا رجلاً وقائداً عرييداً مخموراً؟ ذلك مثال واحد إذا ما فكر فيه أي قارئ متمعن لوجد أن هؤلاء الذين كتبوا قصصهم ونسبوا إلى أحداث تاريخية إنما يقصدون الإساءة والتزوير، ومن هنا نقول إن كتاباتهم عن أحداث تاريخنا كانت من خلال وجهات نظر دينية مسيحية تعصبية حاقة (والمسيح براء من ذلك) كتابات تنطلق من عداوة مقبوتة ومستحكمة للإسلام والمسلمين كانت وما زالت تمولها جمعيات ومؤسسات سرية ليست من المسيحية الحقّة ولا علاقة لها بمبادئ السيد المسيح، والذين يحتفون الآن بالخارجين على الإسلام ويقدمون لهم الجوائز والمساعدات هم قطعاً من أعضاء تلك الجمعيات السرية اللائكية والتي تستهدف من أعمالها خلق التناقض والعداء بين الدينين السمعين (الإسلام والمسيحية) ..

ونعود إلى موضوعنا في هذا الفصل وهو محاولة تصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها الذين كتبوا عن تلك الفترة وخصوصاً من القبارصة اليونانيين لأننا نعتقد أنه لا يوجد عداوة بين العرب المسلمين والقبارصة اليونانيين الأرثوذكس، ومن الغريب أن يلاحظ قارئ تاريخ قبرص وأحداث ذلك التاريخ القديم جداً والقديم والمعاصر وحتى الحديث، وهو جميعاً، مع استثناء بسيط كتبه مستشرقون أوروبيون وحتى القلة من القبارصة المعاصرين الذين كتبوا في أحداث تاريخ بلادهم يجمعون على تسمية فترة الحكم العربي بتعبير (حملات العرب) بينما يسمون فترات بقية التاريخ بأسمائها كالقول (العهد الفينيقي والعهد المصري الفرعوني والفارسي والروماني والبيزنطي والتركي والبريطاني.. إلخ) كأنما العرب قد زاروا جزيرة قبرص خلال أيام أو شهور ثم غادروها ولم يتركوا إلا الخراب والدمار أو كأنهم لم يستمروا فيها فاتحين وحاكمين أو متقاسمين للحكم من سنة ٦٤٨ م إلى سنة ٩٦٣ م !! كذلك كأن بقية الغزوات مصرية فرعونية وفينيقية وفارسية ورومانية وهيلينية وبيزنطية وتركية وصليبية وإنجليزية كانت برداً وسلاماً على البلاد والعباد، ولم يقتصر ذلك على كتب التاريخ وإنما حتى في كتبها إرشادية ورزنامات سنوية

دعائية ومجلات دورية، وذلك جميعاً مفروض ومخالف ومتجن على الإسلام والعروبة، ولعله يكون مفيداً أن نشير إلى بعض من تلك الكتابات، القبرصية بالذات، لأننا نعتقد أن أولئك الكتاب القبارصة المعاصرين وهم على اتصال دائم ببلاد العرب وتاريخ العرب كان يجب أن يكونوا منصفين نسبياً وألا يسيروا في طريق أولئك المتعصبين المغرضين دينياً وسياسياً الذين زوروا تاريخ الشرق كله.. وهذه أمثلة على ما نقول :

يتحدث مؤلف كتاب تاريخ قبرص (١) السيد كوستاس كيريس الذي أصدره سنة ١٩٨٥م فيقول : (كانت فترة الحملات العربية (٦٤٩ - ٩٦٣م) فترة صعوبات كثيرة وكبيرة بالنسبة للقبارصة اليونانيين، ففي الحملة الأولى تحت قيادة معاوية فإن العاصمة (كونستانتيا) قد نهبت ومبني (سات إيفانيوس) الروماني دمر بينما أخذ آلاف المواطنين الذين لجأوا إلى المدينة أسرى أو هم قتلوا ولكن الأسطول البيزنطي وصل فجعل العرب يهربون. هكذا بالضبط (يهريون !!) هذا ما قاله الكاتب على الصفحة ١٧٦ من كتابه !! وأذكر أنني ذهبت إليه في بيته بنيقوسيا لنناقشته فيما كتب لكنه تهرب بالقول إن كتاباته باليونانية غالباً ولا بد أن الترجمات خاطئة، وإنه ليس ضد العرب لا قديماً ولا حديثاً، قلت إن الأمر ليس فيما إذا كان الكاتب ضد أو مع وإنما هناك أمانة تاريخية على الكاتب أن يراعيها، وقد وعد بأن يبعث إلى أحد كتبه التي صدرت حديثاً وتتاول تاريخ الشرق لكنه لم يفعل ومن جانبي لم ألتقه بعد تلك المرة، كذلك أذكر أنني ناقشت الموضوع مع الدكتور فاسوس ليساريدس بحضور زوجته السيدة باربارا ليساريدس وهي مهتمة بالتاريخ والجغرافيا ولها كتابات عديدة (كنت قد ترجمت كتابها المعنون - ثورة الأدغال) ووعدت بالبحث في هذا الشأن، ومع الأسف فإن الكاتب (السيد كوستاس كيريس) لم يتحدث عن الغزو العربي الذي قام به معاوية ولا الصلح الذي تم بين العرب المسلمين والقبارصة اليونانيين بعد السيطرة على البلاد ولا كيف تعهد القبارصة بالبقاء على الحياد وإبلاغ العرب فيما بعد إذا ما حدث أي نشاط معادٍ لهم كما تعهدوا أنهم لن يسمحوا بأن تستخدم جزيرة قبرص كمركز للعدوان مرة أخرى على

شواطئ الشام وهى قريبة من قبرص وكانت مركز قيادة للأمير معاوية بن أبي سفيان، ولا أن العرب عندما غزوا قبرص لم يكونوا محتلين وإنما كانوا يريدون تأمين حدود دولتهم بعياد البلاد القريبة منها كحالة قبرص، ولقد قفز هذا الكاتب مباشرة إلى أن الأسطول البيزنطي وصل فطرط العرب لا ولابد أن نذكر مرة أخرى ببداية الغزوة تلك وماذا حدث فيها لعل ذلك ينفي هذا الذي قاله المؤلف القبرصي اليوناني.

فقد حدث أن الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) كان قد وافق على القيام بالحملة العربية على قبرص لتأمين أطراف الشام من هجمات الغزاة الأعداء الذين اتخذوا من قبرص قاعدة لأساطيلهم البحرية، ذلك الطلب الذي كان يلح عليه معاوية بن أبي سفيان أثناء عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وكان يرفضه الخليفة في كل مرة، وعندما جهز معاوية أسطولاً عربياً أرسل تلك الحملة (كما قلنا بعد موافقة عثمان بن عفان) وساعده في الحملة تلك والي مصر ابن أبي السرح، وعندما احتل الأسطول العربي أغلب أجزاء أراضي قبرص (ولابد أن نقول إن قتالا قد حدث بينهم وبين أهل البلاد ذلك أنه لا يميل أن يحتل العرب البلاد دون قتال) عندما احتلوها فرضوا الجزية على القبارصة (وهذه قاعدة إسلامية ومبدأ طبق على جميع الشعوب غير المسلمة التي خضعت لهم أو هم أخضعوها) والجزية التي فرضها العرب كانت عادلة بدليل أنهم لم يفرضوا إلا نفس القيمة التي كان يدفعها القبارصة اليونانيون لليونان، بل إنهم تركوا القبارصة أحراراً فيما يتصل بما يدفع لليونانيين فإن أرادوا أن يدفعوا للطرفين كان لهم ذلك وإن هم توقفوا عن الدفع لليونان فذلك شأنهم، والشرط الوحيد الذي اشترطه العرب مقابل الانسحاب من البلاد نهائياً وتركها لأهلها (علماً بأنه لم يبق في جزيرة قبرص عربي واحد أثناء الغزو الأول) الشرط الوحيد كان يقول: إن قبرص يجب أن تكون محايدة ولا يجوز للقبارصة السماح باستخدام قبرص في العدوان على بلاد العرب، كان ذلك سنة ٦٤٩م ولما خالف القبارصة اليونانيون ما تعهدوا به (راغبين أو مجبرين) عاد العرب مرة ثانية لغزو الجزيرة والسيطرة عليها، وفي هذه المرة كان لابد لهم من البقاء فيها لأن وجود قوات أجنبية بها يمثل خطراً عليهم وعلى بلادهم، وكان ذلك سنة ٦٥٣م

حيث أبقى العرب بعد الحملة أو الغزوة الثانية تلك على أرض قبرص حامية عسكرية وتحديداً في مدينة (بافوس) وهذه المدينة كما هو معروف تقع في الجانب الغربي من الجزيرة وكان العدوان دائماً يأتي من الغرب ولهذا فإن العرب بالبقاء هناك ييغون إبقاء القوات الأجنبية بعيداً عنهم، هذا ما حدث تماماً، أي أن العرب انسحبوا بعد فرض ما أرادوه على البلاد التي احتلوها (قبرص) ولم يفروا عندما جاء الأسطول البيزنطي (كما قال السيد كوستاس) وقد استعمل التعبير نفسه (فروا) .. ثم نجده يستمر في الحديث عن الغارات العربية قائلاً :

إن الوضع الذي أنشئ لقبرص وقتئذ طبقاً لعدة مصادر، غالباً عربية، هو الحياد أو الثنائى بين البيزنطيين والعرب (قال عنه الإسلام) أي أنه يقصد بين البيزنطيين والإسلام، ذلك الذى أدت مخالفته إلى حملة عربية سنة (٦٥٣ - ٦٥٤م) كانت نتائجها التدمير الكامل لمدينة (كونستانتيا) ومدينة بافوس (وليس لابييتوس كما كان معروفاً إلى وقت قريب نتيجة لفهم خاطئ) وفي بافوس تأسست حامية عربية، أما سكان العديد من المدن الساحلية فقد فروا إلى الجبال حاملين بعض ممتلكاتهم حيث أقاموا فيما بعد مدناً هناك، وقد اتبع نفس أسلوب بناء المدن الجديدة في الجبال كحالة لابييتوس وريزوكارباتوس إلا أنه في المراحل الأولى من الغزوات فإنه حتى الهضاب والجبال بكهوفها لم توفر حماية لليونانيين الذين كانوا يقتادون كالخراف طبقاً لمصدر سوري، وفي الواقع أن الغزوة العربية الثانية (٦٥٣م) كانت جزءاً من مشروع عدوانى يستهدف فتح الطريق لاحتلال القسطنطينية وليس هناك اتفاقية كانت قد وقعت سنة ٦٤٩م وانتهكت سنة ٦٥٣م، وإذا كانت هناك اتفاقية. قد وقعت وتحوى حكماً ثنائياً أو حياداً في قبرص فتكون في سنة ٦٥٣م أو بعد ذلك التاريخ.. انتهى) .

نرى المؤلف هنا يخالف حتى ما كان قد ذكره هو نفسه، فإذا كان العرب احتلوا قبرص سنة (٦٤٨م) وهو ما حدث فعلاً فلماذا تركوها وهى جزيرة هامة ومركز استراتيجى عظيم ما لم يكن هناك اتفاق أو معاهدة ما ؟ هذا أولاً، ثم لماذا

عادوا إليها مرة أخرى بعد ست سنوات ليحتلوها وبيقوا فيها حامية عسكرية وفي مدينة بافوس بالذات وهي أبعد مدينة قبرصية في اتجاه الغرب من أرض الجزيرة ؟ ثم كيف يمكن أن يكون هناك اتفاق مع البيزنطيين على موقع استراتيجي هام وهم في حالة حرب مع العرب ؟ وبداية فإن العرب وقد احتلوا جزيرة قبرص كان يمكن أن يبقوا بها لو أنهم أرادوا استعمارا ولا يعقل أن يتركوا لأعدائهم مكانا استراتيجيا هاما كقبرص بعد أن استولوا عليها؟ وهنا قال المؤلف، إنهم عادوا إلى قبرص سنة ٦٥٣ م لأنهم أرادوا فتح الطريق إلى القسطنطينية في عدوانهم !! إذن أين البيزنطيون في قبرص الذين طرد أسطولهم العرب إذا كان هؤلاء العرب يريدون فتح عاصمتهم باحتلالهم لقبرص مرة ثانية وجعلها طريقاً إلى تلك العاصمة ؟ ثم كيف يكون معتديا من كان في حالة حرب مع الطرف الآخر؟ أما التعبير الذي ذكره المؤلف (يسوقونهم كالخراف) وقال إنه من مصدر سوري (لم يذكر اسم المصدر السوري) فإنه لا تعليق لنا عليه لأننا لم نسمع بجندي استعمل قنازات من الحرير مع عدو يحاربه أو أسير امثله !!

ونجد مؤلفاً آخر وهو قبرصى أيضا يصدر (كتيبا) بعنوان (مختصر من التاريخ القبرصى من الزمن القديم جدا إلى الوقت الحاضر) يقول فيه عن الغزوات العربية ما يلي :

(الغزو العربى لقبرص (القرن ٧ إلى ١٠ ميلاديا) أضاف إلى تطور الحياة الدينية التي كانت نتيجتها أن عرفت قبرص باسم (جزيرة القديسين) . فإن قبرص كمقاطعة بيزنطية تمثل شيئا محددًا خلال القرون الأولى ولكنه من الطبعي جدا أن الفن الكليريكي المتطور قد أحدث فعلا تقدما في عيد الظهور خلال القرن الرابع الميلادي، ولقد جاءت هذه الغزوات كنتيجة لانتشار الديانة المحمدية بين العرب، وهناك أجزاء من بقايا هذه الغزوة الأولى على قبرص معروفة جيدا في المعبد المحمدي (لم يقل إنه مسجد) قرب (لارنكا) يعرف باسم (أم حرام) حيث دفنت وهي قريبة محمد، ويعود هذا إلى تلك الأيام التي جاء فيها الغزو بقيادة معاوية

سنة ٦٤٧م ولقد أجبر المسيحيون من أجل أن يحموا أنفسهم من الغزوات العربية أن يتركوا المدن الساحلية ويلجأوا إلى الدواخل في الجزيرة، وليس بعيدا عندما اكتشف كهف في منطقة الجبال الشمالية الذي أظهر أن المسيحيين قد لجأوا إليه هروبا من الهجمات العربية، ولقد أحدثت هذه الغزوات دمارا كبيرا خصوصا في مباني الكنائس ولهذا السبب فإنه لا توجد كنيسة واحدة تعود إلى تاريخ تلك السنوات، وعلى أي حال فإن الجزيرة حررها من العرب الجنرال (نيسيتاس شالكوزيس) سنة ٩٦٥ الذي كان يعمل تحت قيادة الإمبراطور (نيسيفورس فوكسا) .. انتهى.

هنا أيضا هذا المؤلف لا يشير إلا إلى الكنائس التي يقول إن العرب قد دمروها وإن المسيحيين قد لجأوا إلى الكهوف في الجبال الشمالية وإن قبرص مقاطعة بيزنطية، وهذا الكلام ورد ويرد حتى في البرزنامات القبرصية السنوية مثل رزنامة سنة ١٩٩٠م التي كانت صادرة تحت عنوان (الدليل الأزرق لقبرص) ورزنامة سنة ١٩٩٢م . ونعتقد أنه كان من الواجب على من يكتب التاريخ أن يتحرى الحقيقة وأن يكون منصفًا وبشكل أخص أولئك الذين يكتبون في أحداث تاريخهم الوطنى مثل (حالة المؤرخين القبارصة اليونانيين) إلا أننا وجدناهم ينقلون حرفيا ما كان قد كتبه المستشرقون الأوروبيون الذين كانت وربما ما زالت تحكمهم عقدة التعصب الصليبي ضد العرب والمسلمين، ومثال على ذلك :

(يقول مؤلف تاريخ قبرص السير جورج هيل: لقد كان في سنة ٦٣٢م (إذا أمكننا أن نصدق المؤرخ اليوناني المستشرق، أن المؤرخين لم يكونوا على علم بشيء من القضية) عندما ظهر العرب الغزاة لأول مرة في قبرص على عهد الخليفة أبى بكر، ونحن ليس لدينا أي تفاصيل عن تلك الغزوة فيما عدا رواية مشكوكا فيها تقول إن ابنة أبى بكر هى ماتت فى قبرص وأن قبرها فى تكية هالا سلطان قرب لارنكا، ومن المحتمل أن ذلك لم يحدث وعلى أي حال فإن الغزو العربى الكامل كان خلال فترة كونستانتس الثانى في سنوات (٦٤١ - ٦٦٨م) حيث أقتع معاوية أمير سوريا الخليفة عثمان، وكان نفس الطلب السابق قد رفض في عهد عمر، سمح عثمان

لماوية (شرط أن يكون الجنود من المتطوعين) ليقوم بتلك الحملة التي كانت الأولى بالنسبة للعرب في البحر وبشكل كبير، وقد أبحر من (عكا) ترافقه زوجته وعبادة بن الصامت وزوجته (أم حرام) ابنة ملحم وهي قريبة النبي، وكان أسطولها يتكون من ١٧٠٠ (١) وكان يقوده عبد الله بن قيس ومن ضمن المقاتلين جنود أرسلهم حاكم مصر عبد الله بن أبي السرح (٢)، وقد طلب من القبارصة الاستسلام ودفع الجزية ولكن القبارصة رفضوا متحصنين بمناطقهم، ولقد تردد معاوية في البداية خوفا من النزول على الأرض إلا أن الإسكندرانيين أقتعوه أن يفعل ذلك وقد حاصر كونستانتيا التي كانت مأهولة بالسكان والتي توجد بها كل ثروات الجزيرة وقد استولى عليها ودمرها مُكْثِلًا بالسكان الذين يحتمون بقصر الأسقف ومدنسا الكتيبة (ربما بتحويلها إلى مسجد) وقد استولى على الجزيرة كلها وفرض عليها الجزية وقد اقتسمت الغنائم بين المصريين والسوريين وكان المبلغ الذي يدفع لليونانيين يبلغ (٧٢٠٠ قطعة ذهب) فقرر معاوية مبلغًا مساويًا لذلك كجزية ولم يمترض على الاستمرار في الدفع للجزية اليونانية معتبرا أن ذلك ليس من شأنه إذا كان القبارصة يرغبون في الاستمرار في الدفع مرتين.

وإذا صح هذا فإنه يعني أن الخليفة لم يطلب أن يكون المسيطر الوحيد على قبرص مثلما سنرى بعد ٣٠ سنة أن القوتين الكبيرتين المتنافستين قد انفتحتا على الحصول على مبلغ مائى متساوٍ من قبرص، ولقد كان طبقا لكل الروايات المقبولة أن السيدة المباركة (أم حرام) قد وقعت أثناء تلك الحملة من على ظهر مركوبها فماتت ودفنت في (تكية هالا سلطان) ولقد ترك الجزيرة معاوية عندما سمع أن الأسطول

(١) ما ذكره عن العرب في تلك السنة غير صحيح ولا نعرف من أين جاء الكاتب اليوناني بتلك الرواية والتي لم يوردها أحد من المؤرخين الموثوقين وقد نقلها عنه السير (جورج هيل) في الجزء الأول من كتابه (تاريخ قبرص) ولم يذكر السير جورج ماذا يعنى بالعدد (١٧٠٠) أهم مقاتلون أم سفن، لأن العدد في مصادر تاريخية أخرى ليس كذلك وإن كان المؤرخون العرب قد أكدوا أنها سفن أى أن عدد السفن كان (١٧٠٠ سفينة) وكان الكاتب اليوناني الذى أشرنا إليه هو السيد سيبيريدياكس وكتابه صادر سنة ١٩٥٧ م. (٢) وما ذكره جورج هيل عن الحملة وقيادتها وجنودها صحيح ذلك أن وإلى مصر في ذلك الوقت كان عبد الله ابن أبي السرح وقد مد الحملة بجنود من عنده ربما إدراكا منه أن جنود مصر أعرف بالبحار واستخدام السفن ... إلخ .

الإمبراطورى بقوات كبيرة يتجه إليه، وبموجب الشروط التي فرضت على القبارصة كانوا ملزمين بإبلاغ المسلمين عن أى هجوم متوقع من طرف اليونانيين وألا يسمحوا بأن تستخدم جزيرتهم وأن تكون مكانا في منتصف الطريق لقوة عدوة وأن يتمتعوا عن تقديم أي مساعدة للعدو .

وفى سنة (٦٥٣ - ٦٥٤م) وعلى أساس أن القبارصة قد أجروا أو أعاروا سفنا أو بسبب أن اليونانيين قد أرسلوا قوات إلى قبرص أرسل معاوية حملة أخرى قوامها ٥٠٠ سفينة بقيادة (أبى الأعور) ويظهر أنه قبل وصوله هرب السكان إلى الهضاب ولجأوا إلى الكهوف، ومن هذه الكهوف سحبوا كما يسحب البيض من عش مهجور، وأما الذين لم يكن في استطاعتهم الهروب عبر البحر فقد لجأوا إلى مدينة (لابيتوس) وقد قضى أبو الأعور قرابة أربعين يوما في كونستانتيا يقتل الناس واحدا واحدا، وهذا يظهر أن هناك أناسا ما زالوا أحياء بعد التدمير الماضى... إلخ. انتهى ما ذكره السير جورج هيل (١).

وهنا يتساءل المرء: إذا كان معاوية قد ترك الجزيرة عندما سمع بقرب الأسطول الإمبراطورى فكيف يمكنه أن يفرض شروطا كالتى ذكرناها ؟ وكيف يمكنه أن يحصل الجزية إذا كان هاربا من الأرض التى احتلها ؟ وكيف يمكنه بعد فترة طويلة أخرى أن يتقاسم مع قوة أخرى ريع الجزيرة ؟ ثم لماذا عاد إليها بقوة أخرى واحتلها لو كانت هناك قوة يخشاها ؟ أسئلة كثيرة الرد عليها بالتأكيد يفند كل هذا الذى ذكره مؤلف كتاب تاريخ قبرص وهو إنجليزى (السيد جورج هيل) وقبلة القبرصي السيد سبيريدياكس.. ويأتى مؤلف كتاب تاريخ قبرص القبرصي لسيد (كوستاس ب كيريس) وإن لم يكن كتابه إلا فى جزء واحد بينما كان كتاب السيد جورج هيل في أربعة أجزاء كبيرة، فيقول :

(استمرت الغزوات العربية وكان أسوأها تلك الغزوات التى حدثت في سنوات (٧٤٣ - ٧٤٧) و (٧٧٣ - ٧٩٠ - ٨٠٦ م) وكلها انتهت إلى هلاك للسكان اليونانيين ومع ذلك فقد زادت مقاومتهم وارتباطهم بالبيزنطيين ومحافظتهم على

(١) كتاب تاريخ قبرص، الجزء الأول تأليف جورج هيل.

قوميتهم ودينهم وقد اتضح ذلك في المجمع المسكونى الذي شارك فيه القبارصة، وينمو الدور الاجتماعى والسياسى للكنيسة، ويضيف: لقد كانت غزوة أبي الأعور ومعاوية سنة ٦٥٢ م المدمرة مجبرة لسكان السواحل على الهجرة برا إلى الكهوف وأماكن اختفاء أخرى في الجبال، وبعد أن حوصرت كونسانتيا لمدة أربعين يوما من طرف أبي الأعور الذي سحب اللاجئين خارج الكهوف كما تسحب الخراف عبث بالمدينة.. انتهى من كتاب كوستاس كيريس.

وهنا نرى الفارق الوحيد بين الكاتب الإنجليزي والكاتب القبرصي حول هذه القضية هو في التعبير، فقد قال الأول إن أبا الأعور قد سحب اللاجئين من الكهوف كما يسحب البيض من العش المهجور، بينما قال الثانى إنهم سحبوا كالخراف !! ولسنا فى حاجة إلى أي تعليق على هذه التعبيرات ولكن الذي نعرفه وتؤكد أحداث التاريخ الحقيقي لتلك الفترة أن الغزوة الأولى انتهت بانسحاب العرب بعد أن سيطروا على الجزيرة بالكامل وبعد أن وقعوا اتفاقا مع أهلها على التعاون معهم وعلى عدم السماح باستخدام جزيرتهم من طرف العدو بمعنى أنها يجب أن تكون محايدة، وفرضوا عليهم الجزية دون أن يفرضوا عليهم عدم دفع ما كانوا يدفعونه لليونان وكان يمكن لهم لو أرادوا أن يمنعوا ذلك أو ربما حتى يقرروا أن تدفع المبالغ بكاملها لهم وليس لغيرهم (وتلك طريقة المنتصر في كل وقت) رغم أنهم لم يتبعوها، ومن العدل والإنصاف القول إنهم لم يطلبوا في تلك الجزية - وهى مقررة على كل الشعب غير المسلمة طبقا لتعاليم الإسلام - لم يطلبوا أكثر من المبلغ الذي كان يدفع من طرف القبارصة لليونانيين، ويحق لنا أن نتساءل عن سبب دفع جزية أو ضريبة من طرف القبارصة لليونانيين؟ فإذا كانوا - كما زعم مؤلف كتاب تاريخ قبرص السيد (كوستاس كيريس) - يونانيين وليسوا قبارصة فلماذا يدفعون ضريبة أو جزية مقررة غمهم خلافا لما يحدث لليونانيين الأضلاء؟ إنه مجرد تساؤل، فرغم أنه قال عن أهله إنه يونانيون فنحن نقول إنهم قبارصة ^(١) ولنذكر الكاتب القبرصي

(١) هذا الكاتب المؤرخ لم يقل عنالمسكان إنهم هبـاحـة وإنما قال اليونانيين أي أنه تجاهل حتى اسم سكان الجزيرة .. كتاب تاريخ قبرص ص ١٧٩ مؤلفه كوستاس كيريس .

بالمدعو (بطرس) في حملته سنة ١٣٦٥ م في الإسكندرية بينما كانت الحملة هدفها تحرير بيت المقدس (كما أعلن البابا في ذلك الوقت) لقد نهب الإسكندرية وقتل الأطفال والنساء والشيوخ ومعه ممثل بابا الفاتيكان وبعد أن فعل كل ذلك عاد إلى قبرص في ١٦ أكتوبر ١٣٦٥ م، والقصة كما يلى حسب ما وردت في كتب التاريخ :

(فى ٤ أكتوبر ألقى البطريرك بطرس من السفينة الملكية موعظة مثيرة على مسامع الملاحين المحتشدين فهتفوا: يعيش يعيش بطرس ملك بيت المقدس وقبرص رغم أنف العرب الكفرة، وأقلع الأسطول في ذلك المساء، ولما أضحت جميع السفن في عرض البحر جرى الإعلان أنها تقصد الإسكندرية، أي مصر، وصل الأسطول قبالة الإسكندرية أثناء مساء يوم ٩ أكتوبر سنة ١٣٦٥ م وإذ ظن سكان المدينة أول الأمر أنه لم يكن سوى أسطول تجارى كبير تجهزوا للخروج من أجل عقد الصفقات التجارية ولم تظهر نوايا الحملة تلك وقيادة الأسطول إلا في صبيحة اليوم التالي حينما دخلت السفن إلى الميناء الغربى وليس الشرقى الذي لا يؤذن للسفن المسيحية أن تلج غيره فبادر نائب الوالى بحشد رجاله على حافة الشاطئ لمنع النزول إلى البر غير أن الفرسان المسيحيين شقوا طريقهم إلى الشاطئ بالرغم مما أظهر بعض العساكر المغاربة من البسالة والإقدام، وبينما تدفق التجار الوطنيون من المدينة مجتازين الأبواب المطلة على البر احتفى الوالى وراء الأسوار وحشد حاميته الصغيرة للدفاع عن القطاع المواجه لموضع النزول إلى البر، وعزم الملك (بطرس) على التريث فى هجومه إذ أراد أن ينزل في تؤدة كل رجاله وأفراده إلى شبه جزيرة (فاروس) ولكنه لما استشار قاداته اكتشف أن كثيرين منهم لم يوافقوا على اختيار الإسكندرية هدفا للحملة إذ أشاروا إلى أن عددهم كان من القلة مما يمنهم من الاستيلاء على حصن الإسكندرية بالغ الضخامة، أو من الزحف إلى القاهرة، وأعربوا عن رغبتهم فى الإقلاع إلى مكان آخر على أنهم لن يمكنهم إلا إذا جرى الاستيلاء عنوة على المدينة على الفور قبل أن ينفذ السلطان حشدا لنجدتها، وكان لزاما على بطرس أن يذعن لرغباتهم فبدأ الهجوم على الدرد وجرى توجيهه إلى السور الغربى كما توقع الوالى (جنغرف) غـرـمه لما لقى بهاجمون مقاومة تحركوا

إلى القطاع المواجه للمرفأ الشرقى، وفى داخل الأسوار يجتاز الطريق الذي يصل بين القطاعين دار (الديوان) أي الجمرک الضخمة وإذ خشى متولي الديوان ما يقع من أعمال اللصوصية أقام متاريس على أبواب الديوان ولم يكن يوسع جفنه أن يوجه رجاله في الوقت المناسب لمواجهة الهجوم الجديد وإذ اعتقد المدافعون أن المدينة قد سقطت أخذوا يتخلون عن مواقعهم ويجتازون الشوارع ليلوذوا بالفرار إلى الأبواب الجنوبية التماسا للنجاة، ولم يحل منتصف نهار يوم الجمعة ١٠ أكتوبر حتى استقر الصليبيون بداخل المدينة وظل القتال دائما بالشوارع وحدث أثناء ليلة الجمعة أن شن المسلمون هجوما عنيفا من أحد الأبواب الجنوبية وكان المسيحيون في غمرة سرورهم قد أحرقوه، غير أنهم ارتدوا على أعقابهم، وهكذا أضحت الإسكندرية فى قبضة الصليبيين ظهر يوم ١١ أكتوبر سنة ١٢٦٥ م.

احتفل الصليبيون بانتصارهم بما ارتكبوه من وحشية لا مثيل لها، وما وقع من الحرب المقدسة التي استمرت نحو مائتين وخمسين عاما لم تعلم الصليبيين شيئا عن الإنسانية، فما أجروه من المذابح لم يضارعها سوى تلك التي حدثت فى بيت المقدس سنة ١٠٩٩ م وفى القسطنطينية سنة ١٢٠٤ فلم يبلغ المسلمون هذه القسوة والوحشية عند استيلائهم على (أنطاكية وعكا) ومن المعروف أن ثروة الإسكندرية كانت بالغة الشهرة واشتد هوس الظافرين حين شهدوا هذه الغنيمة البهيرة فلم يبقوا على أحد إذ إن ما قاساه السكان الوطنيون من المسيحيين واليهود لم يرق عما تعرض له المسلمون من القسوة، بل إن التجار الأوروبيين المقيمين بالمدينة شهدوا ما تعرضت له محلاتهم ومستودعاتهم من النهب دون شفقة أو رحمة، وأغار الغزاة على المساجد والمقابر فسلموا أو دمروا ما بها من حلى، وتعرضت الكنائس أيضا للنهب على الرغم من أن سيدة قبطية مقعدة باسلة سعت لإنقاذ شيء من كنوز مذهبها الدينى على حساب تضحياتها بثروتها الخاصة، ودخل المغيرون المنازل وكل من لم يبادر من أهله إلى تسليم ما يقتنيه تعرض مع أسرته للقتل، وجرى حمل نحو خمسة آلاف أسير من مسيحيين واليهود فضلا عن المسلمين لبيعهم رقيقا، وما أصابه المغيرون من النهب السلب حيا قطار طويل من الأفراس والحمير والإبل

إلى السفن الراسية بالميناء ثم تقرر إعدامها بعد أن أدت عملها وعبقت كل المدينة بالرائحة الكريهة الصادرة من جثث البشر والحيوان.. انتهى (١).

هذا الكلام الذي أوردناه ليس من عندنا وهو كذلك ليس اختلاقا لرواية تتحدث عن إجرام ووحشية ربما لم يشهد لها التاريخ مثيلا، وإنما هو نقل عن مؤرخ كتب عن تلك المأسى وما أردنا به إلا الرد على هذا الكاتب المؤرخ القبرصى وغيره ممن لم يذكروا غزوات العرب على قبرص بخير، وإذا كانت الحرب في الغالب تقتصر إلى الليونة والرحمة فإن العرب عندما احتلوا قبرص لم يقتلوا حتى الحيوانات ويتركوا العفن فى كل مكان، وكان ملك قبرص فى تلك الحملة مدعيا إنقاذ بيت المقدس عندما غزا الإسكندرية فماذا حدث يا ترى بعد نهب الإسكندرية ؟

يقول نفس الكاتب (ستيفن رسيمن) : حاول الملك بطرس عبثا أن يعيد الأمن إلى نصابه إذ كان يأمل أن يحتفظ بالمدينة وإذ أحرق الصليبيون أبوابها ودمر الجسر الواقع على القناة الكبيرة الذي يجتازه الطريق المؤدى إلى القاهرة لأن الصليبيين وقتئذ لم يفكروا إلا فى أن يحملوا إلى بلادهم كل ما تهيأ لهم مما حصلوا عليه من الغنائم، على أن جيشا كان قادما من القاهرة ولم يود الصليبيون أن ينامروا بالاشتباك معه فى معركة، بل إن شقيق الملك بطرس أخبره أنه ليس بوسعهم الاحتفاظ بالمدينة بينما أشار (الفيكونت تبرين) ومعظم الفرسان الانجليز إلى أنهم لن يبقوا بمدئذ فى المدينة، وضاعت سدى احتجاجات بطرس والندوب البابوى، ولم يحل يوم الخميس ١٦ أكتوبر سنة ١٢٦٥ م حتى لم يبق بمدينة سوى عدد قليل من العساكر القبارصة بينما عادت بقية الحملة إلى السفن استعدادا للرحيل، ولما أصبحت العساكر المصرية على وشك الوصول إلى مناحى الإسكندرية استقل بطرس سفينته وأصدر الأمر بالجلء عن المدينة، وبلغت حمولة السفن فى الثقل أنه كان لابد من إلقاء مقادير كبيرة من القطع الضخمة من الغنيمة إلى البحر، وظل الغطاسون المصريون شهورا يستخلصون التحف الثمينة من مياه الخليج فى أبي

(١) تاريخ الحروب الصليبية مؤلفه (ستيفن رسيمن) الجزء الثالث.

قير وهي ضحلة، وإذ اطمأن بطرس و المندوب البابوي إلى ما أودعوه من غنائم في قبرص راودهما الأمل في أن ينهض الصليبيون مرة أخرى لمرافقة بطرس في حملة جديدة غير أنه لم يكد الصليبيون يبلغون فاماغوستا حتى شرعوا في إعداد التدابير للرحيل إلى الغرب، (إلى أوطانهم) وتجهز المندوب البابوي لاقتفاء أثرهم كيما يظفر بمجندين آخرين ليحلوا محلهم غير أنه تعرض للمرض الذي أودى به من قبل أن يغادر جزيرة قبرص، وأقام الملك بطرس قداس شكر عند عودته إلى نيقوسيا .. انتهى).

ربما يكون هذا الذي نقلناه كافياً للرد على السيد كوستاس كيريس صاحب كتاب تاريخ قبرص، هذا الكتاب الذي لم يذكر فيه حسنة واحدة للعرب عندما غزوا قبرص ولا حتى ذكر حقيقة حملتهم الأولى وكيف أنهم تركوا البلاد بعد اتفاق مع أهلها على الجزية والحياة، أى أنهم لم يكونوا محتلين ولا ناهبين، وإنما قال إنهم هربوا عندما سمعوا باتجاه الأسطول الإمبراطوري إليهم !

وإذا كان الملك القبرصي (بطرس) قد حاز على النصر والتهب في حملة واحدة وعلى بلد واحد فإن العرب المسلمين قد سيطروا على المنطقة كلها وإلى جبال البرانس على حدود فرنسا غرباً، وإلى جبال (بامير) في آسيا الوسطى شرقاً، وقد وحدوا شعوباً وأنشأوا ثقافة وبنوا حضارة رائعة شامخة لا تزال آثارها باقية حتى الآن في شمال أفريقيا ومصر وأراضى بيزنطة جنوبى جبال (طوروس) وآسيا الوسطى وأزاني فارس وأسبانيا، من كل ذلك لم يجد مؤلف كتاب تاريخ قبرص تعبيراً يصف به العرب وغزوتهم (كما أسماها) إلا سحب اللاجئين من الكهوف كالخراف ! ومن الغريب أن جهات معينة في قبرص تحرص على ترديد هذا الكلام رغم المصالح والعلاقات الطيبة مع العالم العربى حتى الآن ويكتب فى مجلات وصحف لا علاقة لها بـ" دور التاريخى أو السياسى (كمجلة الخطوط الجوية القبرصية) التي جاء فيها تحسراتى (مسح تاريخى) ما يلى :

(من القرن ٧ - ١٠ الميلادى أساسا فإن الغزوات العربية على الجزيرة التي حدثت أشاءها دمارات كبيرة خصوصا فى الكنائس والفن الكلىرى مثل قلاع (ست هيلاريون - بوفافينتو - كانتارا - كيرنيا - بافوس... إلخ). انتهى.

أمر محيرة فى الواقع ولا يعرف الإنسان لماذا هذا التزوير فى أحداث التاريخ ومن وراء ذلك، فإذا كان السيد كوستاس كيريس قد ادعى أن العرب هربوا عندما سمعوا بأن الأسطول البيزنطى متجه إليهم (وهو شيء تكذبه كل حقائق التاريخ) ألا يجوز لنا أن نقول إن الملك القبرصى ومعه كل تلك الجيوش والقادة الأوروبيين قد هربوا من الإسكندرية عندما علموا بأن الجيوش المصرية متجهة إلى الإسكندرية ؟ نحن نرى بأنفسنا عن الترهات وكل المؤرخين العرب والمسلمين لم يقولوا بمثل ذلك القول بل إنه حتى بالنسبة للحملات الصليبية على المشرق العربى لم يقولوا إنها (صليبية) احتراما للسيد المسيح بل قالوا إنها حملات (الفرنجة).

وأذكر أننى ناقشت تلك الأمور مع الرئيس مكاريوس قبل فترة الانقلاب وكذلك مع الدكتور فاسوس ليساريس رئيس الحزب الاشتراكى القبرصى الذي كان مقربا من الرئيس مكاريوس وصديقاً للعرب وجمال عبد الناصر بشكل خاص، ولكن شيئاً لم يحدث ربما تمللا بحرية الكتابة والنشر والرأى ومن هنا كان علينا ونحن نكتب وتحدث عن تاريخ قبرص وعلاقتها بالعرب وأحداث التاريخ العربى أن نشير إلى تلك الأخطاء على أمل أن يقلع هؤلاء الناس عن هذه الإساءات التى لا مبر لها وهى مخالفة للتاريخ ومجافية للحقيقة بل هى ترقى إلى مستوى الجريمة، دلكى لا يفهم من قولنا هذا إننا لا نقدر أولئك الذين كتبوا الحقيقة وتحدثوا بإصاف عن دور العرب فى مجالات الثقافة والحضارة وقدموا الكثير من الإسهامات فى مجالات الأدب والفلسفة والتاريخ والطب والرياضيات وفن العمارة ومختلف العلوم الإنسانية نتهى هذا الفصل بجزء من مقال كتبه الأستاذ الأمريكى (جون بـ بادو) وهو أستاذ فى جامعة (كولومبيا) بنيويورك وجامعة (جورج تاون) بواشنطن، المقال كان عنوانه (دور العرب فى الثقافة الإسلامية) ^(١) يقول :

(١) المقال الكامل ورد فى مرسوعة «عقيدة الحضارة» - «سيرة الصالح» عن معهد (ماستشوستس) للتكنولوجيا سنة ١٩٧٨م الولايات المتحدة الأمريكية .

فى نسج الثقافة الإسلامية العديد من الألوان وخيوط كثيرة حاكها العرب، وأسماء الأنداز منهم وروائع آثارهم تتردد فى كل الحقول، من الأدب وعلم الكلام والفلسفة إلى العلوم والجغرافيا والهندسة والعمارة، ولكن النصيب العرى فى تكوين هذه الثقافة أوسع كثيرا من حدود أدوار العلماء والأدباء فرادى ومن شاؤ متجزاتهم بأعيانهم، إن كثيرا من الضباب يحيط بتاريخ تلك المرحلة أحاطته بما نعرف عن تفاصيل حياة أعلامها، ولكن المدون الثابت من هذا التاريخ يوحى بجلاء أن كون الفتح عربيا كان عاملا حاسما فى تحديد معالم التطور الثقافى الذى جاء بعده، وليس علينا إلا أن نذكر كيف أن الغزوات المغولية وهى فى ظاهرها شديدة الشبه بالفتح العربى قد أدت إلى نتائج مختلفة كل الاختلاف، فلتن نشأت عنها إمبراطورية مغولية قصيرة العمر فما من حضارة ذات شأن أنبثقت عن هذه الإمبراطورية وحين ارتدت جحافل المغول إلى ديارها فى صحراء (غوبى) لم تخلف وراءها سوى الخراب والدمار، أما العرب فإن فتحهم الأقاليم على نقيض الغزو المغولى قد حمل معه إلى هذه الأقاليم قوى بناء من إبداعهم، قوى هبأت الساحة للحضارة التى ظهرت فى نهاية الأمر ورسمت معالمها الرئيسية، وأولى تلك القوى كانت بناء صرح الإمبراطورية ذاتها، فلقد كان يمكن أن يتوقع من الفاتحين العرب أن يكونوا مجرد غزاة من الصحراء على الطريقة التى كانت تقليدا مألوفا فى الغزوات القبلىة التى أقصى مامها النهب ثم العودة بالأسلاب إلى صحرائهم ولكن العرب كانوا يفسرون (فتوحهم) فيها فى سبيل الله قاصدين بذلك أنها كانت فى سبيل نظام اجتماعى جديد أراد الله جعله من فتوحهم أداة لخلق، ولذلك رأينا بناء الإمبراطورية التى نجمت عن الفتح يصورونها ملكوتا مستديما تجتمع له فى ذاته مقومات الديومة لا مجرد مجموعة من الأقاليم المستقلة تفترض فى سبائها ألا يستمر إلا بقدر ما تظل قادرة على إغناء غزواتها ان تصور الإمبراطورية على هذا النحو وبناءها وفقا لهذا التصور هما اللذان خلقا أهمية إلى نظام اجتماعى ثقافى جديد يكون تعبيراً عن هوية الملكوت الجديد، كما خلدنا بحضن اللازم لتياد هذا النظام، وهكذا رأينا أولئك الذين كانوا من قبل أسبانيين ويونانيين وسوريين وفارسين وكل

فئة منهم مستقلة بتاريخها وتقاليدها ينضون تحت لواء حكم واحد ذى شخصية جديدة وإن كانت غير محددة الخصائص بعد، ورأينا تكوين دولة عالمية جديدة يشق طريقه بالضرورة إلى ظهور ثقافة عالمية جامعة، وفى إطار الإمبراطورية الجديدة رأينا ثقافات العالم القديم ومجتمعاته، على تنوعها، تتحرر من سماتها المحلية المنغلقة على ذاتها وتستقر على تضاعل غنى بالثمار لم تعرفه من قبل، ورأينا الفاتحين العرب أنفسهم بمجرد أن تطامت مرحلة الاستيعاب التى أعقبت الفتح يستجيبون سريعا للحضارات التى هزموها فيجلسون فى احترام التلاميذ طلبا للعلم بين أيدي الأقوام التى دانت لهم، وما كان أقدرهم من تلاميذ على اكتساب العلم كما قال (فيليب حتى) فقبل أن تدول الأسرة العربية المالكة، الأسرة الأولى، أسرة الأمويين كانت آثار القدماء ترجع إلى العربية وكان قد بدأ تشييد المبانى الفخمة المستوحاة من التصاميم (الكلاسيكية) وبدأ بالازدهار (على هذى المناهج اليونانية) علم العرب فى النحو والبیان، وفى الوقت الذى بدأ العرب فيه يفقدون هيمنتهم الغالبة على الحكم كانت عناصر التراث غير العربى قد أصبحت جزءا من صميم حياة الجماعة الإسلامية وتفكيرها الذاتى.

وفى الوقت ذاته كان كل من الأقوام التابعة المختلفة يشاطر الأقوام الأخرى ثقافتها ويستوعب ثقافتها، وقد أزيلت حواجز الانتقال بين مختلف أراضى المشرق وحوض البحر وأخذ أهل الولايات يندفعون أفواجا إلى قلب الإمبراطورية فيلتقون ويتمازجون فى ظل أواصر جديدة بالإضافة إلى أن احتكاكهم بالعرب قد جعل كثيرين منهم يعتقدون دينهم ويتزوجون من بناتهم فكان لا مفر للنظام الإسلامى الوليد من أن يصبح فى آن معا متعدد الثقافات وأداة مزج بين تلك الثقافات مستقيا من خامات التقاليد المتنوعة الخصيبة التى بين يديه ما يخلق به حضارة جديدة، وإذا كان هذا التضاعل قد أسفر عن حضارة مثيرة للإعجاب فذة الشخصية فمعظم الفضل فى ذلك يعود إلى القوة الثانية التى فجر العرب طاقاتها فى فتوحهم، أعنى العقيدة الإسلامية، لقد جاء العرب فاتحين ولكنهم يحملون معهم الإسلام، فكان الإسلام عاملا حاسم الأثر فى مسار الإبداع الثقافى، والإسلام فى جوهره عربى

المنبت، وتتجلى لنا هذه الحقيقة حين نتذكر أن الشعوب المقهورة طالما امتصت غزاتها الأجانب، فكم تعاقب الفاتحون على الصين (كالمغول والمنشوريين مثلا) وأخضعوها لحكمهم ولكنهم في النهاية تحولوا إلى صينيين لغة وثقافة، لا يكاد يستطيع تمييزهم من رعاياهم، وكان ممكنا أن ينتهي الفاتحون العرب إلى هذا المصير، كان ممكنا، وقد جاء العرب غير مسلحين بثقافة ضليعة عميقة الجذور في تاريخهم ووجدوا أنفسهم إزاء حضارات أكثر تقدما وغنى بمراحل من أية حضارات عرفوها من قبل وكان يمكن أن يتوقع منهم الاستسلام للحضارات التي غزوا أهلها حتى ولو ظلوا يحكمونهم، ولو وقع ذلك لأسفر إما عن شتيح عشوائي من الثقافة التي دانت لهم لا يتسم بشخصية مميزة وإما عن تجزؤ المملكة إلى أباديد من المكونات الثقافية لا يجمعها من قاسم مشترك غير الحكم الإمبراطوري المطلق، وهنا يضيف الكاتب مميزات ومظاهر أخرى، يقول :

ولقد وجد العرب في الأراضي المفتوحة أحوالا ومشاكل وعناصر ثقافية لم يكونوا قد عرفوها في حياتهم القبلية وكانت في كثير من الأحيان في تعارض ظاهر مع تعاليم الدين الحنيف وما يفرضه من واجبات، وفي التعامل والتفاعل بين هذه المتباينات كان للنظرة الإسلامية اليد العليا، صحيح أن المسلمين وهم الذين أمروا أن (يطلبوا العلم ولو في الصين) لم يجدوا في دينهم وازعا عن استقاء الكثير من عناصر الثقافات اليونانية والبيزنطية والأفلاطونية الجديدة والسريانية والفارسية وهم يبنون حضارتهم الجديدة، ولكن هذا الاستقاء كان يتم في ظل الإسلام نفسه وكان هدفه وضع تلك العناصر في خدمة مقاصد الإسلام، ولقد يترأى لبعضهم في نظرة سطحية أن الثقافة الإسلامية نشأت نشأة بالغة الأخذ بالتنقيح ولكنها في واقع الأمر، وفي جوهرها، كانت دقيقة الانتقاء حصيفة التمييز تتقبل تراث الآخرين أو تستعده على ضوء قدرته علي التواءم مع طبيعة المجتمع الإسلامي وغاياته... انتهى.

كان هذا جزءا مختصرا من مقال طويل كتبه الأستاذ (جون س بادو) وهو كما ذكرنا أمريكي الأصل وأستاذ في جامعة كولومبيا بنيويورك ونشرته مشكورة

(موسوعة الحضارة العربية) ونحن لا ندلل على إسهامات العرب في الثقافة والحضارة العالمية فقط وإنما نذكر أن تلك الإسهامات والإبداعات ما زالت باقية وستبقى مهما بلغ التجاهل أو التضييل لأنها تراث إنساني أصيل متأصل عميق الجذور والآثار، ويكفي أن نذكر أسماء الفلاسفة والمفكرين والمبدعين والمخترعين والصناع العرب من أمثال (عمرو بن بحر الجاحظ - وأبي الطيب المتقي - وعبد الرحمن بن خلدون - وأبي موسى الكندي - ومحمد بن رشد - والفارابي - وابن سينا - وابن ماجه - وابن الهيثم - والخوارزمي - وثابت بن قرة - وإسحق بن حنين - وأبي الحسن بن إبراهيم - ومحمد بن عيسى الهاماني - والعباس بن سعيد الجوهري.. إلخ والقائمة طويلة جدا) وقد يقول قائل إن بعض هؤلاء من غير العرب وردنا أنهم جميعا كتبوا وأبدعوا أو اخترعوا باللغة العربية وفي حضن الإسلام الحنيف، ومع كل ذلك فنحن لسنا من أنصار الجلوس والتغنى بأمجاد الماضي فقط وإنما من المطالبين بالانفتاح على كل الحضارات والأمم والنهل من كل الثقافات والإجادة في كل الصناعات ومعايشة روح العصر والتصميم على حرية وكرامة الإنسان في التمتع بالديمقراطية الحقيقية في عالم أصبح قرية صغيرة ترى وتسمع نبضات قلوب سكانها وتشهد تحركاتهم وسكناتهم، إنه عالم القرن الواحد والعشرين، عالم كل العلوم وكل الناس.

الفصل السابع

وجهتا نظر الطائفتين القبرصيتين اليونانية والتركية

ولا استقامت فذا أمنا وذا رعبا
عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

لن تستقيم أمور الناس في عصر
ولا يقوم على حق بنو زمن من

لا بد لنا وقد استعرضنا أحداث التاريخ المتصلة بجزيرة قبرص وأسبابها
وصانعيها منذ زمن بعيد بعيد في التاريخ حتى استقلال قبرص الذي تقرر بموجب
قرار مجلس الأمن الدولي الصادر سنة ١٩٥٩م، ثم الأحداث التي طرأت بعد وخلال
فترة الاستقلال وأدت إلى التقاتل بين القبارصة أنفسهم (الأتراك واليونانيين) ونكوص
أولئك الذين وقّعوا على اتفاقيتي زيورخ ولندن، ولا بد لنا أيضا أن نستعرض وجهات
النظر من أجل تصور مستقبل هذه الجزيرة وتكوين فكرة عن حل محتمل فإننا يجب
أن نعرف مواقف زعماء ومفكري وساسة الطائفتين من خلال كتاباتهم وتفسيراتهم
للاتفاقيات والقرارات التي صدرت بشأن قضيتهم والأسباب التي تحكم أو تفرض تلك
المواقف بحيث تجعلها غير ثابتة وتدفع الأمور غالبا إلى التفجر، والواقع أنها وجهات
نظر وأفكار متناقضة مختلفة من ينظر إليها دون أن يعرف دوافعها سوف يمتقد أن
هذه القضية لن تحل على الإطلاق، وهذه بعض التصورات والأقوال:

يقول مؤلف كتاب «تاريخ قبرص» السيد (كوستاس كيريس) بعد أن يستعرض
تاريخ قبرص في لقطات متتابعة تشبه المقالات الصحفية القصيرة مبدئيا من
العصر الحجري ثم العصر البرونزي فالبرونزي الوسيط فالأخير ثم عهد الاستعمار
الإغريقي (الذي أطل فيه محاولا أن يثبت أن القبارصة هم في الحقيقة يونانيون
كما كان قد أنكر فيما لحق أن يكون هنالك عرب في قبرص قبل الاحتلال التركي)
ثم استعرض العصر الحديدي ثم الاستعمار الفينيقي فالآشوري والفينيقي ثم العهد
القبرصي القديم فالحكم المصري إلى الفارسي إلى الإسكندر الأكبر (تحت اسم
الفترة الهيلينية) فالتدخل الروماني ثم الاحتلال الروماني فالعصر البيزنطي الأول
فالغزوات العربية الأولى والثانية والثالث لا يرى فيهما إلا الخراب والدمار وعندما

يصل إلى العهد التركي يخلص إلى الموضوع الذي يمثل وجهة النظر القبرصية اليونانية بعنوان (النموذج الحقيقي والغرض من الاستعمار التركي لقبرص) وهنا يقول: لتحقيق ذلك الغرض ومعالجة موضوع النمو المستمر في انخفاض عدد السكان (١٨٧ ألف نسمة وقت الاحتلال) بين تاريخ ٩ / ٤ / ١٥٧١ و ٢٢ / ٧ / ١٥٧٧ م أصدر السلطان ستة فرمانات تأمر بالهجرة إلى قبرص بما يمثل العشر من أي جنس في عدد من قطاعات الأناضول، ونظرا لعدم الرغبة في الهجرة إلى قبرص فإن العملية أخذت شكل الإبعاد كعقاب في جرائم مألوفة لكل من المسيحية والإسلام أو هي متصلة بواحدة منها، وبحلول سنة ١٥٨١ م كان عدة آلاف من الفتيين قد نقلوا (غالباً مسيحيين) من طبقات الفلاحين والصناع الذين دمجوا في المجتمع القبرصي، وكانت نواة إقامة المسلمين تمثل نسبة ٨ إلى ١٢ ألفاً من شعب آسيا الصغرى أما البقية فهم مسيحيون كانوا قد أبعادوا إلى قبرص بموجب فرمانات السلطان بتاريخ ٩ / ٤ / ١٥٧١ و ٢٢ / ٧ / ١٥٧٧ م و فرمانات أخرى حتى تاريخ ٥ / ١ / ١٥٨١ وهي لغرض معالجة نقص السكان وإعادة تحريك الاقتصاد القبرصي إضافة إلى توطين بين ٣ إلى ٤ آلاف آخرين خلال سبتمبر ١٥٧١ كحامية عسكرية، وعلي الرغم من أن المسلمين تمتعوا بأفضلية على المسيحيين إلا أن الاثني عوملوا كرعايا (المقصود الفتيان المسلمة والمسيحية) وقد استفاد اليونانيون من فرمان أكتوبر سنة ١٥٧١ م في استعادة الكنائس وامتلاك الأرض والبيوت ونجحت الكنيسة الأرثوذكسية سنة ١٥٨٥ م أيضاً في استعادة أغلب الكنائس، وبالنسبة للعدد الحقيقي المهاجر من آسيا الصغرى ونسبة المسلمين أو الأتراك من بين هؤلاء فإنه يمكن أن يذكر بارتياح أن العدد الحقيقي طبقاً للفرمانات الستة هو (٢٢٦٢) ويجب مع ذلك أن يضاف إليهم (ب) الآخرون الذين لم يذكر في فرمانات أي رجال الوقف أو أولئك الذين جاءوا فيما بعد نتيجة للتهجير الإجباري وكذلك (ج) زوجات وأطفال على الأقل البعض من أولئك المهجرين وأيضاً (د) عائلات بعض أولئك الأربعة آلاف مرابط (حامية) والأرقام في هذه الفقرات الأربعة لا يمكن تقديرها ذلك أن أي تقدير سيعتمد على الاحتمال ما لم تظهر وثائق أخرى بأرقام

حقيقية على أنه يجب أن يذكر أن عدداً من العسكريين قد تزوجوا من سيدات محليات وخصوصاً من العائلات اللاتينية الموسرة، ونظراً إلى أن هؤلاء قد جاءوا عنوة فإنه من المنطقي أن نعتقد أنهم جاءوا بدون أسرهم... إلخ. وفي هذه الفترة يخلص المؤلف إلى القول (كان أنجيليو كاليبسيو وهو شاهد عيان على الحملة العثمانية قد أبغى الكاتب القبرصي (ستيفانو لوسينيانو) أن الأتراك عندما أكملوا الاحتلال في سبتمبر ١٥٧١ م ذكروا أنهم بنوون ترك ألفي فارس وهو ما فعلوه، وكذلك عشرين ألف جندي كسكان طالما أن الجزيرة قد أصبحت مهجورة، وكانت هذه المعلومات قد ترجمت خطأ من جانب المؤرخ القبرصي (كبريانو) وقيلت دون نقد من طرف جورج هيل^(١) وهو ما يعني أن الأتراك حقيقة قد تركوا في الجزيرة المحتلة ٢٠ ألف جندي كسكان، وفي طبعة كتاب (لوسينيانو) الفرنسية سنة ١٥٨٠ م ذكر ربما اعتماداً على أخبار حقيقية حصل عليها من قبرص أن الأتراك في الواقع قد تركوا فقط ألفي فارس (سبابيس) وألفي جندي سكاناً، ... انتهى).

هذه فقرة من كتاب قبرص للسيد كوستاس كيريس ونحن نعتقد أنه يحاول أن يؤكد أن السكان المسلمين كانوا قلة وأنهم طارئون على الجزيرة وبعد الاحتلال التركي فقط، وهذا في الواقع لا يهمننا كثيراً لأننا نرى أنهم الآن قبارصة جميعهم سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين إذ لو كانت فكرة هذا المؤلف مطبقة في بلدان العالم لما وجدنا شعباً واحداً يسمى (أمة) فقد حدث ويحدث النزوح عادة من مكان إلى آخر ومن بلد إلى بلد ويحدث الاستقرار والانتماء وربما أقرب دليل تاريخي على ذلك وضع الولايات المتحدة الأمريكية (وطبعا غيرها من بلدان العالم).

وفيما يتصل بمنظمة (أيوكا) يقول نفس المؤلف:

وصل العقيد جورج قريفاث إلى قبرص ١٠ / ١١ / ١٩٥٤ وقد وقّع على

(١) جورج هيل هو مؤلف كتاب تاريخ قبرص الذي يقع في أربعة أجزاء وهو إنجليزي، ولا يختلف كثيراً في وجهات نظره بالنسبة للعرب عن السيد كوستاس كيريس القبرصي الذي ربما كان قد اعتمد على معلوماته تلك، وكلاهما منحاز فيما ذهب إليه، ونحن نعرف أن الملك الذي باع قبرص هو ملك إنجليزي.

القَسَم الذي يسمى قَسَم (أثينا) أي أدي اليمين، وبعد مناقشات طويلة وشكوك من جانب (مكارئوس والملك باول وأمشير باباقوس) كان قد اختير قائدا عسكريا للمنظمة السرية بواسطة (لجنة التحرير) وأن هؤلاء كموقعين قد ألزموا أنفسهم، وفي ١١ / ١ / ١٩٥٥ م تسمت المنظمة السرية باسم (أيوكا) حسب اختيار مكارئوس وقريناس في اجتماع سري بقبرص، وفي صباح يوم ١ أبريل ١٩٥٥ م باشرت أيوكا عملياتها التضاللية وكانت تلك العمليات مبدئيا في شكل هجمات تخريبية وقد رد الحزب الشيوعي (أكيل) على ذلك قائلا إنها عمليات غير مسئولة، كان ذلك في يوم ٢ أبريل ١٩٥٥ وبسبب تكثيف العمليات التي قامت بها أيوكا مصحوبة ببيانات ثورية استبدل الحاكم (أرميتاج) في أكتوبر ١٩٥٥ م بالمارشال السير (جون هاردينج) الذي أعلن حالة الطوارئ في ٢٦ / ١١ / ١٩٥٥ مع إجراءات عقابية جماعية شديدة وكانت عمليات تلك القلّة من الناس (حوالي ٣٠٠ مقاتل، مزودين بأسلحة جزء منها استورد من اليونان والجزء الآخر مصنوع محليا) مثيرة، إضافة إلى الجهود الدولية بشأن مطالب القبارصة التي قام بها مكارئوس حيث شارك في مؤتمر عدم الانحياز الأفروآسيوي الذي عقد في (بندونج) من ١٨ إلى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٥ م (الواقع أن المؤتمر ليس كما ذكر المؤلف أفروآسيويا وإنما هو مؤتمر عدم الانحياز لكل الدول المتحررة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية) وكان مناسبة لإحداث اتصال بين القبارصة والعالم الثالث وقد جذب المزيد من المساندة للأعمال التي يقوم بها القبارصة اليونانيون وأضاف ضغطا وصعوبات على بريطانيا، وهذه الأخيرة وكرد على ذلك دعت إلى مؤتمر ثلاثي في ٣٠ يونيو ١٩٥٥ يضم اليونان وتركيا إليها في لندن لبحث الأمور السياسية والدفاعية المتصلة بشرق البحر الأبيض المتوسط بما فيه قبرص، وكانت هذه هي الدعوة الرسمية من بريطانيا لتركيا لكي تدخل الساحة كطرف في مشكلة قبرص، وقد عارض مكارئوس بشدة على اعتبار أن ذلك يخالف مبادئ وشروط الحكم الذاتي وهو مناورة خطيرة ضاغطة على الحكومة اليونانية لعدم حضور المؤتمر، وقد تزايد اهتمام وتدخل تركيا بسبب انفجار قبيلة في القسم التركي بنيقوسيا يوم ٢١ / ٦ / ١٩٥٥ م نتج عنه ١٤ قتيلا تركيا، وعلى الرغم من أن

المسؤولين لم يعرفوا الفاعل أو الفاعلين بعد فإن منشورات تركية قد وزعت في ليماسول بين ٣٠ يونيو و ٦ يوليو ضد أيوكا وهى تطالب كذلك بإبعاد المدرسين اليونانيين من المدارس الثانوية واستعادة الحكم البريطاني، وكانت المنشورات قد وزعت بواسطة منظمة تركية سرية، ولم ينتج شيء عن لقاء مكارئوس مع وزير المستعمرات البريطاني السيد (لينوكس بويد) ذلك الذي عقد في نيقوسيا يوم ٩ / ٧ / ١٩٥٥ م وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة من طرف الأتراك فإن وزير خارجية اليونان وقتئذ السيد (إليكس كيروس) لم يعط أي أهمية لدور تركي في قبرص، وقد انتهى المؤتمر الثلاثي في لندن الذي عقد من يوم ٩ أغسطس إلى ٧ سبتمبر ١٩٥٥ م بلا نتيجة ليس فقط بسبب الخلاف المبدئي حول المقترحات البريطانية الداعية إلى حكم ثلاثي (يوناني تركي بريطاني) وإنما أيضا بسبب المظاهرات الصاخبة في أسطنبول المضادة لليونان التي حدثت في ٦ سبتمبر والتي نظمت سرا من طرف الحكومة التركية كرد على الانفجار الذي حدث يوم ٩ / ٣ / ١٩٥٥ م بالانفصالية التركية في تاسانوليك وهو الذي عرف فيما بعد من دوائر رسمية تركية أنه من فعل منظمة تركية تدعى وترفع شعار (قبرص تركية) وهى التي زرعت تلك القبلة.

وفكرة الحكم الثلاثي التي جاءت على أساس أن ذلك قد حدث أيام البيزنطيين والعرب بين سنوات (٦٤٦ - ٦٥٣ - ٩٦٤ م) وهى فكرة نتجت من خلال بحث أجراه أستاذ إنجليزي يدعى (روميللي جينيكنز) وكانت تعتمد عليها المشروعات البريطانية في قبرص مستقبلا، كذلك فإن مشروع التقسيم كان قد قدم من طرف عالم السياسة التركي (ف. ارماقولو) في ١٥ / ٧ / ١٩٥٥ م وحصل فيما بعد على تأييد آخرين، وكان فشل المناقشات التي جرت بين مكارئوس وهاردينج بعد فشل مؤتمر لندن سببه الموقف الأمريكي المناصر لبريطانيا، ثم فشلت المحادثات الأخرى بسبب رفض بريطانيا الكثير من المقترحات كالانتخابات الحرة وتفاصيل نظام الحكم الذاتي والعضو العام وإلغاء حالة الطوارئ، ورغم ذلك وبسبب ضغط رئيس وزراء اليونان ومجموعة كايبرنيا المتشددة على مكارئوس فقد ترك هذا الباب مفتوحا لمفاوضات أخرى، ولكن أحدا منهم لم يدرك نتائج ما يحدث بسبب تجنيد

القبارصة الأتراك كشرطة مساعدة لسلطات الاحتلال البريطاني وكان ذلك لغرضين، الأول إجهاد الانتفاضات القبرصية اليونانية والثاني إنماء المشاعر المعادية بين الطائفتين (القبرصية التركية والقبرصية اليونانية).

ويستمر المؤلف في سرد الأحداث والعمليات التي قامت بها منظمة أيوكا ويقول إنه بعد أن ناقش مجلس الأمن الدولي مقترحا تقدم به مندوب الهند السيد (كريشنا مينون) يوم ٢٢ / ٢ / ١٩٥٧ م طالبا إيجاد حل سلمي لقضية قبرص طبقا لميثاق الأمم المتحدة ولقد حاول مكاريوس إقناع قريفاً بإيقاف العمليات العسكرية قائلاً إنها لن تكون مفيدة ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية أذرت إنها ستؤيد التقسيم إذا ما استمرت تلك العمليات، لكن عمليات القتل والتدمير استمرت من جانب أيوكا والمنظمة التركية الأخرى التي تسمى (ت.إ.م.ت) ويخلص المؤلف إلى أن تركيا بسبب مشاكلها الداخلية لم تكن ترغب في وضع حد للإرهاب التركي في قبرص الذي تقوم به المنظمات التابعة لها وللطائفة التركية، وهو لا يقدم أي مقترح لكيفية حل القضية أو موقف قد يساعد الطرفين على التوصل إلى أي اتفاق كذلك فهو في الوقت الذي يقر فيه أن مكاريوس كان قد طلب من الجنرال قريفاً إيقاف العمليات العسكرية إلا أن هذا الأخير قد رفض بمعنى أن العمليات التي سماها المؤلف إرهاباً يقوم به الأتراك هو في نفس الوقت تقوم به منظمة أيوكا والجنرال المذكور، وكان عليه أن يدين الجانبين إذا ما كان فعلاً هو أو غيره يريد حلاً سلمياً كما أراد مكاريوس، ومن السهل على أي إنسان أن يرمي الآخرين بالتهم، على أننا هنا لا ندين أو ندافع عن أي الطرفين وإنما نسرد أحداثاً وتاريخاً.

ما أوردناه يمثل وجهة نظر الطائفة القبرصية اليونانية، وقد تختلف وجهة النظر هذه بين كاتب وآخر أو مفكر وسياسي وآخرين ولكن ليس هناك من هو قادر على أن يتحلل من فكرة الوحدة وينظر من خلال منظار واقعي يقول إن قبرص للقبارصة فقط (يونانيين وأتراكاً) وربما سبب ذلك كما ذكرنا هو فقدان الثقة والخوف على المستقبل ذلك أن الكل يرى أن إطلاق رصاص واحدة يعيد الوضع إلى ما كان عليه من تصادم وتقاتل، فهل يكون التقسيم حلاً ممكناً في المستقبل ؟

هكذا يعتقد الساسة الإنجليز وهم في الحقيقة أساس المشكلة، وربما هذا ما يؤكد الواقع الحالي خصوصاً أن البلد قد تقسم فعلاً، ولكن ما الذي سيحدث لو خرجت قوات حفظ السلام الدولية وهي التي تحافظ على النقاط والحدود وحتى تقسيم الشوارع في العاصمة (نيقوسيا) بين الطرفين ؟

ونصل الآن إلى التساؤل الذي يقول: ماذا عن وجهة نظر الطرف الآخر (القبارصة الأتراك) فيما يتعلق بقرارات الأمم المتحدة وعمليات منظمة أيوكا ومواقف مكاريوس والقبارصة اليونانيين؟ وكرد أو توضيح لأبد لنا أن نستعرض وجهة نظرهم من خلال ما يكتبون أو يذيعون.

في الكتاب الصادر عن مكتب المعلومات القبرصي التركي الممنون (وجهة النظر التركية بشأن قبرص الصادر بتاريخ ١٩٥٠م) ما يلي:

١ - أن قبرص صارت جزءاً من تركيا سنة ١٥٧١ م وبقيت كذلك لأكثر من ٣٠٠ سنة وفي سنة ١٩٣٢ م تركت تركيا بموجب اتفاقية لوزان سيادتها على قبرص لبريطانيا العظمى التي كانت لها إدارة فاعلة في الجزيرة منذ سنة ١٨٧٨ م على اتفاق خاص وافقت بموجبه بريطانيا العظمى مقابل هذا التغيير في الإدارة أن تساعد تركيا ضد العدوان الروسي ومن أجل أن تراقب تقدم الروس في اتجاه البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، وليس هناك أمة قبرصية، وقبرص هي جزيرة تعيش عليها طائفتان متميزتان (تركية ويونانية).

وهاتان الطائفتان لهما خلفية ثقافية وعرقية ودينية ولغوية ووطنية مختلفة تماماً، كذلك تقاليد وآمال، وأن الأتراك واليونانيين الذين يعيشون في قبرص هم أجزاء من امتين مراكزهما الجاذبة تقع خارج الجزيرة، وفي سنة ١٩٢٣ م كان القبارصة الأتراك يكونون ٣٣ ٪ من عدد سكان الجزيرة وقد حدثت هجرة ملحوظة بعد أن نقلت السيادة والإدارة في الجزيرة إلى بريطانيا العظمى، والآن فإن ٨٠ ٪ من السكان يونانيون و ٢٠ ٪ أتراك بينما يصل عدد السكان ٥٧٧ ألف نسمة.

٢ - ولقد حاول السكان اليونانيون بين وقت وآخر إلحاق قبرص باليونان

ولكن حتى الآن فإن هذه المطالب والأفعال التي تؤيد لا تزال محدودة في جوهرها ومع ذلك فإن هذه المحاولات قد اكتسبت قوة الدفع بفعل العمليات الدبلوماسية التي قامت بها الحكومات اليونانية من جانب ومن خلال الأعمال السرية التي قامت بها أيوكا (المنظمة الإرهابية في قبرص ضد الإدارة البريطانية) من جانب آخر، وكانت المحاولات التي يقوم بها القبارصة اليونانيون منذ البداية موضع معارضة من طرف الطائفة التركية في الجزيرة ومن طرف الحكومة التركية، والغرض الأساسي لتلك المعارضة يمكن أن يلخص فيما يلي (نلاحظ أن الكتاب صادر في سنة ١٩٥٠ م على أن الموقف التركي مازال كما هو).

١ - أن المنظمة الإرهابية أيوكا والمجموعات المتعصبة الأخرى قد أعلنت وقامت بالكثير من التحرش والكراهية تجاه الطائفة التركية في قبرص ولذلك فإن الأتراك في قبرص لديهم كل الحق في أن يخافوا على وجودهم ولذلك فقد كانوا معارضين بشدة في أن يتركوا تحت رحمة الجالية اليونانية أو أن يوضعوا تحت السيطرة اليونانية منذ وصول المتطرفين من اليونان لينظموا الإرهاب ويخيفوا اليونانيين الذين يعارضون الوحدة ولذلك فإن البقاء والتعاون بين الطائفتين صار مستحيلا استحالة كاملة، وأن المنظمة الإرهابية أيوكا كانت مسئولة ليس فقط عن ضياع الأبرياء الذين يعيشون بين القبارصة الأتراك ولكن أيضا على إرغام القبارصة اليونانيين ليقطعوا كل اتصال لهم مع الأتراك.

٢ - أن الجزيرة لا تبعد أكثر من ٤٠ ميلا عن الشواطئ الجنوبية التركية وبذلك فهي تمثل موقعا قياديا استراتيجيا يراقب الملاحة بين الموانئ التركية مثل الإسكندرون وميرسين، ولهذا فإنه وبسبب هذا القرب الجغرافي والموقع الهام للجزيرة في البحر الأبيض المتوسط فإن أمن ودفاع تركيا متصل مباشرة بموقع قبرص.

٣ - تركيا لها اهتمام كبير في المحافظة على الأمن والاستقرار في شرق البحر الأبيض المتوسط إذ إنه كلما تأثر سلام شرق البحر الأبيض المتوسط والسلام في هذا الجزء الهام فإن تركيا تضحي لأنها تكون طرفا في الصراع ولذلك فإن

تركيا لديها اهتمام خاص بوضع قبرص بحيث يسمح للجاليين أن تعيشا في سلام، والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي منع أي احتمال لأن تضطهد أي منهما الأخرى وتبعاً لذلك وهذا فإن تركيا قد شعرت منذ البداية أن الحل الأمثل والأبقى لمشكلة قبرص هو واحد فقط، هو توفير ضمان مناسب للجالية القبرصية التركية.

٤ - في سنة ١٩٢٠ م كانت تركيا واليونان في مواجهة خطيرة، وكانت اليونان ترغب في الاستفادة من هزيمة تركيا بعد الحرب العالمية الأولى لذلك حاولت أن تحتل غرب الأناضول كجزء من توجهها لتحقيق (فكرة اليونان الكبرى) وهي نموذج من الإمبريالية اليونانية، وبعد الهزيمة التي لحقت باليونان في الأناضول فإن اتفاقية لوزان كانت قد وقعت وإن كل المشاكل بين تركيا واليونان قد سويت، وكان الغرض من الاتفاقية إحداث توازن سياسي وعسكري بين البلدين وفتح الطريق من أجل الصداقة والتعاون بينهما وفي هذه التسوية فإن السيادة على قبرص كانت قد تركت لبريطانيا، ولذلك فإن أي تغيير في وضع الجزيرة لصالح اليونان كان سيؤثر على التوازن الذي أحدثته اتفاقية لوزان ويهدد العلاقات التي كانت قد نشأت بين البلدين.

٥ - وعلي الرغم من المعارضة التركية فإن اليونان والجالية اليونانية استمرت بعد الخمسينيات في الضغط من أجل ضم قبرص إلى اليونان، كذلك فإن منظمة أيوكا بعملياتها الإرهابية قد ارتكبت الكثير من الجرم ليس فقط ضد الإنجليز والأتراك وإنما ضد القبارصة اليونانيين الذين كانوا يتمتعون عن تغيير وجهة نظرهم، وفي نفس الوقت فإن الحكومة اليونانية أشركت نفسها بشكل متزايد في أعمال منظمة أيوكا بينما أجمت المشاعر في اليونان من خلال الخطط الإمبريالية الإغريقية، والأسقف مكاريوس الذي صار فيما بعد رئيسا للجمهورية سخر جهوده كرئيس للكنيسة الأرثوذكسية في قبرص لمساندة السياسة الإمبريالية اليونانية، لذلك فإن الكنيسة الأرثوذكسية صارت جزءا من المنظمة الإرهابية (أيوكا .. إلخ).

هذه وجهة النظر في الجانب الآخر (القبرصي التركي) في الجزيرة، أي أن كلا من الجاليتين تتهم الأخرى بالإرهاب والتخبط لإلحاق الجزيرة بأحد الطرفين

(تركيا أو اليونان) ونحن عندما ننقل هذا الكلام لا نؤيد أو نعاطف أو نتعاز إلى أي من الجانبين وإنما مقصدنا أن نقدم للقارئ العربي (وربما القبرصي نفسه تركيا كان أو يونانيا) صورة عما جري ويجري في الجزيرة وأسباب مشاكلها على أمل أن تتغير وجهات النظر وأن يدرك هؤلاء وأولئك أن مصيرهم واحد وبلادهم واحدة هي (قبرص الجزيرة التي يجب أن يحل بها السلام والاستقرار الذي تستحقه) وعلي هذا الأساس والرغبة نستزيد مما جاء في كتاب الجانب القبرصي التركي حول الأحداث التي وقعت بين سنتي (١٩٥٤ - ١٩٥٨م) وهو كما يلي:

(أخيرا جاءت الحكومة اليونانية بالمشكلة إلى الأمم المتحدة في سنة ١٩٥٤م وطلبت ضم قبرص إلى اليونان بدعوى الحكم الذاتي ولكن خاب أمل الحكومة اليونانية بحل المشكلة القبرصي بشكل (الفرض) دون أن تأخذ في حساباتها مصالح تركيا الدفاعية والتاريخية والجغرافية في قبرص وكذلك الحق الشرعي للجالية القبرصية التركية، ولكن الموضوع وقد نوقش في الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة مرات بعد سنة ١٩٥٤م وفي كل مرة كانت الجمعية العامة ترفض قبول الطلب اليوناني وتطلب أن تحل المشكلة من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية وكان آخر قرار من الجمعية العامة في سنة ١٩٥٨م ونصه : كما يلي: (الجمعية العامة، بعد أن نظرت في مشكلة قبرص علي ضوء القرار رقم ١١ / ١٠١٣ الصادر بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٧م تعرب عن ثقتها أن المحاولات ستبذل من كل الأطراف للوصول إلى حل سلمي ديمقراطي وعادل طبقا لميثاق الأمم المتحدة).

ثم يتحدث هؤلاء بتفصيل عن اتفاقيتي زيورخ ولندن مشيرين إلى التوتر السائد والوضع المتفجر بين الطائفتين بسبب (كما يقولون) الأعمال الارهابية التي ترتكبتها منظمة أيوكا والتي تهدد السلام والأمن، يصلون إلى الكيفية التي يتحقق بها الاستقلال والظروف التي مرت بها البلاد وأسباب الخلاف بعد الاستقلال).

وتلك بالطبع وجهة نظر الجانب القبرصي التركي الذي يختلف تماما مع الجانب القبرصي اليوناني، ومنها محاولة تغيير الدستور ومخالفة نصوص هاتين

الاتفاقيتين، ثم ما يسمونه (مذبحة سنة ١٩٦٣م) ضد الأتراك القبارصة ومحاولات إعادة الوضع إلى ما كان عليه وإحلال السلام في الجزيرة في مؤتمر لندن الذي عقد في ١٥ يناير ١٩٦٤م، والمقترح الأمريكي البريطاني بشأن قوة حفظ السلام في قبرص الذي عرض في ٣١ يناير ١٩٦٤م والتسابق بين الجاليتين بحثا عن السلاح للدفاع عن النفس والحصار الاقتصادي الذي فرض عليهم، وفي نهاية السرد يصل معدو الكتاب إلى قرارات مجلس الأمن الدولي التي لم تُجد فتيلًا (يجد القارئ الكريم نموذجًا منها ضمن وثائق الكتاب).

وخلاصة الأمر أن كل طرف من الأطراف (تركيا واليونان وبريطانيا والجالية القبرصية اليونانية والجالية القبرصية التركية) لم يستطع أن يتخلص من خوف وعقد الماضي على الرغم من أن البلاد في ذلك الوقت أي من سنة ١٩٥٣ م إلى سنة ١٩٦٣م لم تصل إلى التقسيم الكامل كما هو الحال الآن (سنة ١٩٩٦م) فقد أصبحت قبرص مقسمة بالكامل وبها جمهوريتان واحدة في الجنوب والغرب والأخرى في الشمال والشرق وصار هنالك رؤساء وأحزاب ووزراء ومؤسسات كثيرة، مثل الصحف والنقابات والاتحادات ... إلخ. جمهوريتان واحدة معترف بها دوليا وهى التي تمثل الشعب القبرصي في الهيئات الدولية، والأخرى لم تعترف بها إلا دولة واحدة هي (تركيا) ولكنها مع ذلك تمثل الأمر الواقع الذي لا بد من التعامل معه اليوم أو غدا أو حتى بعد عقد أو قرن من الزمان، وعلى الرغم من المساعي الخيرة الكثيرة إلا أن الحل لا يمكن أن يحدث إلا في شكل من أشكال الكونفدرالية، وحتى في هذا مازال هناك خلاف شديد بين كل هذه الأطراف ولا أحد يعرف ما الذي سيحدث في المستقبل، على أن هناك جهودا تبذل وخططا توضع ونموا اقتصاديا ملحوظا بقدر في الجانبين.

الفصل الثامن

الخلاف بين مكاريوس وقريظاس .. أسبابه ودوافعه

تقول العرب : « لا يجمع سيفان في غمد » .

وقال الشاعر العربي :

إذا ما هو ماشاه	يقاس المرء بالمرء
مقاييس وأشباه	وللناس على الناس

لم يكن الأسقف مكاريوس الثالث على أى درجة من الوفاق مع العقيد قريفاًس (أحياناً يذكر على أنه جنرال) ذلك أن مكاريوس كان سياسياً وهو بالأساس رجل دين وكان يعتقد أن قضية قبرص يمكن أن تحل بالمفاوضات أو عن طريق الهيئات الدولية كالأمم المتحدة مثلاً، بل إنه في إحدى المراحل من تاريخ قبرص كان قد طلب من قريفاًس مغادرة الجزيرة وعدم العودة إليها إلا إذا طلب منه هو شخصياً العودة، وكان مكاريوس يرفض العنف وعندما ضغط عليه من مختلف الأطراف الداخلية والخارجية (كانت هناك عناصر كثيرة قبرصية تميل إلى العنف بما فيها بعض رجال الدين، أي الكنيسة إضافة إلى قريفاًس والعسكريين اليونانيين) وبعد فترة من ممارسة الضغط عليه وافق على عمليات محدودة جداً وقد حصرها في (عمليات التخريب) فقط بمعنى أنها ستكون ضد بعض القواعد العسكرية، أي أنها تحذير مما يمكن أن يحدث إذا لم يُجَبَّ إلى طلبه، وكان العقيد قريفاًس يحصل على المساعدة والتأييد من أسقف (كايرنيا) وهو موقف من ذلك الأسقف له معناه إذ إنه منافس لمكاريوس وهو أحد المنادين بالوحدة مع اليونان بشدة ولذلك فقد كان العقيد قريفاًس يحاول تجاوز مكاريوس حيث أجرى العديد من الاتصالات عن طريق ذلك الأسقف في كايرنيا وعن طريق شقيقه الذي كان يعمل طبيباً في نيقوسيا (شقيق قريفاًس) وقريفاًس كما ذكرنا من أصل قبرصي وقد ولد في قرية (تريكومو) التي تقع في الجانب الشرقي من (ميسوريا) والتحق بمدرسة قبرصية في قريته تلك ولقد تأثر بالقومية الهيلينية التي أضافها إلى المنهج التعليمي المدرسون اليونانيون في تلك المدرسة، وعندما بلغ السابعة عشرة من العمر غادر قبرص حيث حصل على الجنسية اليونانية والتحق هناك بالكلية العسكرية، وكانت طموحاته وهو شاب أن

يشارك في حملة اليونان الكبرى التي آمن بها أثناء مشاركة وحدته العسكرية في حملة آسيا الصغرى سنة ١٩٢١ م ولكن وحدته تلك تتهافتت من مواقعها عندما كانت على بعد ستين ميلا من أنقرة وكان من المقرر لكتيته أن تهاجم القسطنطينية إلا أن الجيش اليوناني أصيب بنكسة كبرى حيث هزم في تلك الحرب، ومنذئذ اهتم بفكرة حرب العصابات على الرغم من أن الكارثة التي حلت بالجيش اليوناني قد تركت آثارها على إحساس هذا الضابط الصغير الذي كان أكثر يونانية من اليونانيين أنفسهم، وعن تلك المرحلة تتحدث مؤلفة كتاب (ثورة قبرص) السيدة نانسي كراوشاو بما يلي:

(قريفاث عندما كان في السادسة والعشرين من عمره كان برتبة كابتن (نقيب) وقد عمل في فترة ما بين الحربين العالميتين في مختلف الوحدات العسكرية وحاضر في كلية الأركان اليونانية عن التكتيك العسكري كما شارك في دورات متقدمة بالمؤسسات العسكرية الفرنسية بما في ذلك كلية (الحرب) وعندما قامت إيطاليا بغزو اليونان سنة ١٩٤٠م كان قريفاث برتبة مقدم وقد عين في منطقة (بيندوس) في منصب أركان حرب وحدة الجيش الثاني، وعندما هزمت اليونان من طرف قوات المحور عاد إلى أثينا وبقي إلى فترة انتهاء الحرب، في سنة ١٩٤١م أسس نواة الجناح اليميني للمنظمة الإرهابية (أكس) وكانت فلسفة المجندين الأوائل فيها (غالبا كانوا من الضباط الملكيين، وهم بلا شك من الفئات المتمردة) تقول: (شعارنا كان وسيكون دائما اليونان الكبرى) ثم أضافوا إلى هذا الشعار القول: (ونحن نعلم باليونان الكبرى) منذ اللحظة الأولى التي استولى فيها المحور ووجهت بنادق الثمانية ملايين مجند موسوليني إلينا، وحلمنا بها عندما كان جيش ملايس الحديد الهونز يهاجم جيشنا من الخلف بينما كان مشغولا في ألبانيا، ونحن نعلم باليونان الكبرى عندما كانت حليفنا العملاقة بريطانيا العظمى تقاتل منفردة ضد قوى الظلام، قوات المحور، ونحن نعلم بها عندما تهرق آخر قطرة من دم المناضلين بسبب جراح المحتلين^(١)).

(١) كان هذا النص قد وجد في وثيقة وقعت في أيدي القوات البريطانية حسيما ذكرت المؤلفة.

وفي نهاية فترة الاحتلال لم يكن هناك شيء معروف عن قريفاث ولكن بعض التصور لتصرفه كان يمكن أن يلاحظ من خلال نشاط منظمة (أكس) التي يقودها، وكانت هذه المنظمة قد ظهرت لأول مرة في فترة جلاء الألمان، والواقع أن بدايتها كانت مشبوهة إذ إن بعض أعضائها كانوا مدموغين بوصمة التعاون وكانت تحصل على أسلحتها من العدو ولهذا الغرض رفض البريطانيون عرضها للمساعدة في مقاتلة الشيوعيين سنة ١٩٤٤م. وتحت عنوان: أنشطة قريفاث التخريبية سنوات ١٩٤٨ - ١٩٥٤ تقول المؤلفة: «عندما تقدمت عمليات الحكومة ضد الشيوعيين فإن أغلب قطاع الطرق من جناح اليمين قد ضموا إلى القوات النظامية، وبعودة النظام الملكي علي أسس راسخة وقرب هزيمة الشيوعيين قلت قدرات الفصائل المتطرفة مثل (منظمة أكس) وفي سنة ١٩٤٨ م حول قريفاث اهتمامه إلى موضوع الوحدة على أساس أن القبارصة لا يمكن أن يحققوا حريتهم إلا بالعنف، ولقد أدرك من الخارج أن قبرص غير صالحة لحرب فدائية ذلك أنها تفتقر إلى سلسلة جبلية تكون مكانا للاختفاء ولقواعد العمليات كذلك فهي بعيدة عن اليونان الساحة الرئيسية وكذلك بعيدة عن جزر الأيونيان الشيء الذي يكون عقبة في طريق استيراد الأسلحة كما أن سلوك القبارصة كان محتملا أن يسبب بعض المشاكل ذلك أنه شعب ليست لديه تقاليد حرب وهم غريباء عن فكرة استعمال القوة كسلاح سياسي، ولكن العقيد قريفاث قرر في النهاية أن هذه المشاكل يمكن التغلب عليها، ونظرا إلى أنه ليست هناك هوية لعالم السياسة اليونانية (بمعنى موقف محدد تجاه ما يريد) فإن قريفاث كان مضطرا إلى أن يبحث عن الاتصالات التي يريدها على مستوى عال عن طريق طرف ثالث، وفي سنة ١٩٤٨م قام بأول اتصال برئيس تحرير الجريدة ذات التأثير المدعو (أخيليوس كيرو) عن طريق (كريستودولوس بابادوبولوس) شقيق مساعده السابق في منظمة (أكس) ولكن (كيرو) رد قائلا إن المباحثات الدبلوماسية يجب أن تعطى فرصة.

وفي الانتخابات البرلمانية اليونانية سنة ١٩٥٠م كان العقيد قريفاً قد قام بمحاولة ثانية ليدخل عالم السياسة وهذه المرة كزعيم للحزب الوطني الزراعي الذي حصل على أقل من ١ ٪ من مجموع الناخبين ولم يحصل على عضوية في البرلمان، ثم تشجّع العقيد قريفاً بالاستفتاء القبرصي في بداية السنة ليأبى مع (كيرو وبابادوبولوس) مباحثات أخرى من أجل احتمالات مباشرة العمل الثوري في الجزيرة وبناء على طلبه سافر (بابادوبولوس) إلى قبرص في أغسطس لفهم رد الفعل الشعبي طاماً أن القبارصة اليونانيين يمكن توقع مساعدتهم للقضية القومية شرط ألا يطلب منهم خطوات عملية، ولم يكن مفاجئاً أن يعود بابادوبولوس بفهم مشجع عن حماس الشعب للوحدة ولكن وفاة (كيرو) المفاجئة في سبتمبر عطلت خطط العقيد، وكان من اللازم البدء بخطوات جديدة، وهكذا أرسل بابادوبولوس للاتصال بالجنرال (كوكاس) الذي وعد بالمساعدة خلال شهر مايو في السنة القادمة ولذلك تقرر أن يتزعّم قريفاً الثورة وكان عليه أن يحصل على تأشيرة دخول إلى قبرص من أجل اتخاذ الترتيبات ودراسة الوضع على الطبيعة، وبالرغم من الوضع السياسي المضطرب في الجزيرة وأن قريفاً نفسه كان قد وضع على القائمة السوداء من طرف واحدة على الأقل من البعثات البريطانية في أثينا كإرهابي خطير ومرتد، فقد حصل على تأشيرة من القنصلية البريطانية العامة دون صعوبة، وعندما وصل قبرص في يوليو قابل على الفور الأسقف مكاريوس ولكن موقف الأسقف كان غير مشجع ومنذ البداية كان على خلاف مع قريفاً بشأن النضال المسلح والطرق التي يستخدم بها، ذلك أن قريفاً كان يفضل حملة تشمل في وقت واحد حرب عصابات وأعمال تخريب إلا أن الأسقف كان يريد عمليات محدودة في شكل تخريب على مستوى صغير وقد عارض بشدة تشكيل مجموعات عصابات وكذلك وقت العمليات ولكن قريفاً كان يخشى أن أي تأخير سيسبب مشاكل لسرية العمل ذلك أن عمليات الإعداد قد بدأت والظروف ستكون غير مناسبة إذا ما تأخرت إذ إن انسحاب بريطانيا من الشرق الأوسط يتقدم ولذلك فإنه من المتوقع أن بريطانيا هذه ستعمل على استخدام قبرص آخر موقع لها في المنطقة وقد ظهر عدم حماس

الأسقف لذلك العمل في موقف القبارصة ككل إذ كانوا محافظين في نظرتهم ومشدودين بذكريات الانتفاضة التي حدثت سنة ١٩٢١م وهى المحاولة التي كان فشلها حسب رأي قريفاً بسبب عدم التخطيط الجيد ومع ذلك فقد وجد قريفاً الحماس المطلوب لدى الأسقف المنافس لمكاريوس وهو أسقف كايونيا الذي يكرس جهده ويشر بالعنف من خلال منبره، وأثناء زيارة قريفاً لقبرص أقام لدي شقيقه الطبيب الذي يعمل في نيقوسيا ولقد تجول في منطقة الجبال عدة مرات، وعندما التقى مكاريوس للمرة الثانية غادر قبرص وكان في غاية القلق بسبب شكوك مكاريوس وعدم إقدامه، إلا أن الوضع بالنسبة للعقيد قريفاً كان في نقطة اللامعة لأنه كلما قرر شيئاً يكون نفسياً وعقلياً غير قادر على إعادة النظر فيه ومع ذلك فإن الكثير من الأسباب ربما تفرض تغيير الاتجاه مع الأخذ في الاعتبار أن القيادة المطلوبة والتي كان يرى أنه يمثلها تقول إنه لا شيء يمكن أن يكون دون الغرض، وبعد عودته إلى أثينا بدأ قريفاً العمل فوراً من أجل تشكيل اللجنة الثورية جاعلاً مكاريوس في الرئاسة ثم بعد ذلك عقدت اللجنة أول اجتماع لها هناك في شهر يوليو ١٩٥٢ م وهنا كرر مكاريوس في هذا الاجتماع تقديراته للموقف وهى مخالفة لرأي قريفاً وانتهى إلى القول (إنك لن تجد خمسين رجلاً يتبعونك) وبعدئذ تشكلت لجنتان خاصتان برئاسة (ستراتوس) وهو وزير حرب سابق، وفي الاجتماع الثاني الذي عقد تالياً لم يكن ما دار فيه مقنعاً لقريفاً وهو الذي طلب فيه مكاريوس من قريفاً عدم العودة إلى قبرص إلا إذا طلب منه شخصياً ذلك وعلى الرغم من انتظار ذلك الطلب فإن مكاريوس لم يطلب إلا أن قريفاً تحول إلى (سبيريدوس) رئيس وزراء اليونان والثاني في سلم الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بعد مكاريوس فأذن لقريفاً بالعودة إلى قبرص وكان هذا التحول امتيازاً في أول محاولة لقريفاً في تجاوز صلاحيات مكاريوس، ولقد حصل قريفاً للمرة الثانية على تأشيرة دخول لقبرص من القنصلية البريطانية العامة في أثينا ووصل إلى الجزيرة خلال شهر أكتوبر وكان مكاريوس في ذلك الوقت يستعد للمغادرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك حوّل قريفاً إلى

أسقف (كيتيو) وأثناء فترة غياب مكاريوس قضى قريphas خمسة أشهر في الجزيرة كان خلالها يقوم باستكشاف منطقتي (بينتادكتينوس وأولبوس) ويجري اتصالات محلية هامة وقدم له القس (اباستافروس) مساعدات هامة كما جاء (أزيناس) إلى بيت (ميشيل قريphas) شقيق العقيد قريphas متلوفا لتقديم خدماته، وبعد عودته إلى أثينا في فبراير ١٩٥٣ م أعد قريphas خطة عامة وأرسل نسخا إلى ستراتوس ومكاريوس وهو بذلك يخالف تقديرات مكاريوس الذي قال إن النضال سوف يستمر مدة خمسة أو ستة أشهر بينما وضع قريphas ترتيباته لحملة أطول، وفي ظل غياب مساعدة الحكومة اليونانية كان مجبرا على أن يعتمد على شحنات صغيرة من الأسلحة وعلى تلك التي كانت لديه منذ فترة منظمة (أكس) وكان الفرض العام أن يتأكد للعالم أن القبارصة سوف لن يهدأوا إلى أن يتحقق مطلبهم وأن يتأكد البريطانيون أن البلاد ليست تحت سيطرتهم، على أن قريphas كان يدرك استحالة هزيمة بريطانيا نهائيا، وكان الفرض الثاني من الحملة حشد الرأي العام العالمي إلى جانب القبارصة والاعتراف النهائي بمطلبهم والضغط الدبلوماسي من خلال الأمم المتحدة، وقد كلف لجنة أثينا بالإعداد لمظاهرات في كل أنحاء اليونان من أجل فضح بريطانيا وإظهار تأييد الشعب اليوناني وتضامنه مع قضية قبرص، وبسبب الصعوبات التي تواجه القيام بحملة كاملة من حرب العصابات فقد كان التخريب هو السلاح الأساسي، وكانت مجموعات التخريب تنتقل من المدن والقرى التي يقيم بها أفرادها ويطلب منهم عدم التوجه إلى مناطق الاختفاء للالتحاق بعصابات الجبل إلا في حالات الخطر المحقق، وكان قرار قريphas بتشكيل خمس مجموعات من العصابات فقط تحكمه مسألة الأسلحة المتوفرة حينئذ كما أن العدد الأكبر يجعل الهروب والاختفاء أصعب، على أن احتمالات زيادة المجموعات وأردت مع توفر الأسلحة وكانت المهمة الأولى لهذه المجموعات هي مهاجمة الأهداف العسكرية فقط (وهذا ربما كان أخذاً برأي مكاريوس) واستهدفت الخطة جانباً آخر إضافة إلى التموين والطوارئ وهو تشكيل مجموعات تصفية لقتل القبارصة الذين يمثلون خطراً على القضية كذلك مركز لجمع المعلومات، ولقد التقى مكاريوس بالعقيد قريphas

في أثينا خلال شهر مارس عندما كان في طريق عودته إلى قبرص وفي هذا اللقاء وافق على مبدأ استعمال القوة ولكن مع ضرورة أن تحصر في عمليات التخريب فقط .. انتهى.

نلاحظ هنا في كل المراحل منذ بداية التفكير في العمليات الفدائية أن مكاريوس لم يكن على اتفاق مع العقيد قريphas الذي يخطط ويقود تلك العمليات بل إن مكاريوس في البداية رفض استعمال القوة حتى أنه قال لقريphas: إنك لن تجد خمسين رجلاً يتبعونك، وكان يعتقد أن العمل الدبلوماسي أجدر وأنفع على رغم إصرار قريphas، وكان مكاريوس يحاول إبعاد هذا العقيد المتحمس عن العمل في قبرص عندما طلب منه عدم العودة إلى الجزيرة إلا إذا طلب منه هو شخصياً المجرى، وحتى بعد أن تجاوز قريphas مكاريوس لم يتمكن من العمل دون الحصول على موافقة مكاريوس، ومن المؤكد أن هذا الأخير كان لا يريد عمل قريphas العسكري وفي نفس الوقت لا يريد إغضاب المسؤولين في أثينا لأنه لابد أن يحتاج إليهم في العمل الدبلوماسي ونعلم أنه في الأمم المتحدة لم يحصل على تأييد للقضية القبرصية وربما كان ذلك هو سبب موافقته على استعمال القوة عند عودته من هناك على أن تكون في حدود ضيقة جداً وفي أعمال تخريب حيث إنه لا يريد سفك الدماء، بمعنى أن تلك الأعمال العسكرية يجب أن توجه ضد المنشآت العسكرية البريطانية في قبرص وباستعمال كلمة تخريب لابد أن مكاريوس كان يعتقد أن التخريب سوف لن يؤدي إلى قتل الناس، وعلي الرغم من أنه وافق على استعمال القوة عندما كان في أثينا إلا أنه تراجع عن ذلك الموقف عندما عاد إلى بلاده وهذا دليل آخر على فهم مكاريوس للظروف الدولية، ولأنه رجل دين فقد كان يتجه في الغالب إلى العمل السلمي ومحاولة التفاهم والاتفاق من خلال البحث والمناقشة والتفاوض، وتذكر مؤلف كتاب ثورة قبرص موقف مكاريوس ذلك فتقول :

كان مكاريوس قد وافق على استعمال القوة كشرط إذا ما فشلت الجهود الأخرى وعلى أن تكون في حدود ضيقة جداً ولا بد أن تكون محصورة في أعمال

التخريب الذي يستهدف المواقع العسكرية، وسرعان ما أعاد ترديد تعليماته تلك بواسطة (أزيناس) الذي كان يمثل هذه المرة قائلًا إن أحدًا لا يجب أن يبعث إلى قبرص. وهكذا يكون قد أنقذ الموافقة على استخدام القوة، وعند هذا الحد فإن عددا من أعضاء اللجنة الثورية اقترحوا أنه يجب تجاوز وتجاهل مكاريوس، وهذا يعني انعدام فهم الواقع وعدم فهم القوة الفريدة التي يتمتع بها مكاريوس في قبرص، ولقد كان مكاريوس الأسقف رجل دين في حين أن قريفاً كان رجلاً علمانياً وغير معروف لدى القبارصة وليس له أن يأمل في الإطاحة بخصمه رجل الدين هذا أو أن يبدأ ثورة دون تعاون الكمال، على أن مكاريوس قد أظهر علامات استجابة للضغط ولقد كتب الدكتور (ميشيل قريفاً) قائلاً: إن مكاريوس قد وافق أن يقوم العقيد قريفاً بإرسال رجل أو اثنين من اليونان وربما أكثر فيما بعد، وذكر (سافاس ليونيدس) في نفس الوقت لقريفاً أن الأسقف أذن بجمع وتخصيص بعض المال لشراء كميات من الأسلحة إلا أن قريفاً عندما أبلغ الأسقف في أثينا أن الأسلحة موجودة أحس ببعض التردد ومع ذلك فإنه يظهر أن قريفاً والأدميرال (ساكيلاريوس) قد اقنعاه بتنفيذ الخطة، وقد رتب الأدميرال الأسلحة حيث شحنت إلى قبرص بمساعدة (أزيناس) وقرغت الشحنة قرب (كلوراكاس) يوم ٢ مارس وصار من الآن اهتمام قريفاً الأساسي ينحصر في الحصول على كميات أوفر من السلاح على أنه رغم الإلحاح لم يحصل على المساعدة اللازمة والمساندة من الحكومة اليونانية عدا الجنرال (كوسماس) ولأن مكاريوس قد عاش فترة الاحتلال الألماني والإيطالي في اليونان فقد كان يعلم تماماً أن المصالح الوطنية في العمل السياسي تأتي في المرتبة الأولى وهو بالتأكيد على بيئة من موقف اليونان في مؤتمر باريس سنة ١٩٤٦م وكيف أن قضية قبرص قد تم تجاهلها بالكامل ذلك لأن الحكومة اليونانية كانت تتفادى إحراج بريطانيا في ذلك المؤتمر وكان المطلب اليوناني القديم ضد ألبانيا وبلغاريا مطروحاً وقد حصلت اليونان على الموافقة بضم جزر (الدوديكانيز) وتورد المؤلف موقف مكاريوس وتصوره لمستقبل قبرص من خلال التدخل الخارجي والعمل المسلح على الوجه التالي:

ربما كان مكاريوس مقتنعاً بأن حملة دبلوماسية مكثفة يدعمها حدوث انفجار وشغب بشكل محدود سيكون كافياً لتحقيق هدف القبارصة اليونانيين في مدة شهر إضافة إلى أن الأسقف الذي عاش فترة الحرب في اليونان لا بد أنه كان قلقاً من خطورة حدوث حرب من نوع حرب العصابات في قبرص ومن صعوبة نزع سلاح العصابات عندما تنتهي مهمتها، ومن كون أن أولئك سيكونون من اليونان فإنهم سوف ينقسمون إلى فئات متنافسة تتقاتل على أرض الجزيرة وفوق كل شيء كان يخشى احتمالات استخدام السلاح ضد الذين كانوا في موقع المسؤولية منهم.. انتهى.

وهذا يعني أن مكاريوس كان يعرف أن الخلاف لا بد أن يدب بين الوطنيين والذين يأتون من الخارج، ولقد تأكد قلق مكاريوس ذلك في أحداث سنة ١٩٧٤ حيث انقلب عليه الضباط اليونانيون الذين كانوا يقودون حرسه الوطني (الحرس القبرصي) وقد تقاتل الناس فعلاً في بداية الانقلاب كما يتوقع بالتحديد (كونهم يونانيين في مواجهة قبارصة) وهكذا فإن نبوءة مكاريوس في أوائل الستينيات قد حدثت في منتصف السبعينيات وفي النهاية فإن قريفاً الذي نسي أو تناسى أنه قبرصي وصار يونانياً أكثر من اليونانيين أنفسهم قد خسر أمام القبرصي الذي أمسك بالدولة والكنيسة ورغبة الحلول السلمية وإن كليوما قد دخل التاريخ وسطرت أعماله في عدة صفحات يذكر ويتذكرها أهل البلاد، على أن أهل هؤلاء مازالوا مختلفين حول دور كل منهما (مثل خلافهم حول قضية الوحدة) وربما كان كلاهما يعمل من أجل الوحدة وإن كان كل منهما مختلفاً في أسلوب العمل (الوحدة التي لم ولن تتحقق بأي من تلك الطرق) ولعله من المفيد أن نبهت في جذور الوحدة التي تعرف في مصطلحهم باسم (أونيبسيس) والتي جاء من أجلها قريفاً كما كان يقول وناضل مكاريوس أيضاً من أجلها، الأول كان يعتقد في السلاح بينما كان الثاني يعتقد في السياسة والدبلوماسية (وهما طريقان مختلفان تماماً) الأول في الميدان الحربي على جبال ترودوس يرتدي البزة العسكرية المنوّهة ويحمل رشاشاً ومعه حقنة من الرجال، بينما كان الثاني ينتقل بين عواصم العالم مرتدياً جلباباً أسود تتدلى الصلبان على صدره باعتباره الرجل الأول في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية

وهو يحلم بمستقبل لبلاده يختلف تماما عن ماضيها، مستقبل بلد بلا حرب وبلا ملوك، ولذلك قصة أخرى.

ونجد في كتابات وأحاديث السيد قلافكوس كليريدس الكثير عن ذلك الخلاف الذي قال إنه بين القيادتين الدينية والعسكرية أي (بين مكاريوس وقريفاس) ففي جزء من مذكراته عندما كان يتحدث عن جذور الشعب القبرصي اليوناني، يقول:

(لنعرف لماذا كان هناك تضارب واضح ومدمر في السلوك الذي اعتمدته قيادة القبارصة اليونانيين فإننا يجب أن ندرس بعمق الشخصيات السياسية القبرصية اليونانية في ذلك الوقت، وإنه لمن السهل ادعاء عدم الخبرة أو الصفاء السياسي أو استغلال الشعور القومي للوصول إلى السلطة أو الاحتفاظ بها، ولكن لا يمكن أن يوفر الجواب الحقيقي أي من هذه الأسباب أن الزعيمين القبرصيين اليونانيين منذ سنة ١٩٥٥ م فما بعد والذين سيطروا على الحياة السياسية في الجزيرة حتى أنهم أثروا في التطورات في اليونان، هما الأسقف مكاريوس والجنرال قريفاس، ونادرا في التاريخ أن كان زعيمان قوميان أبعد ما يمكن في تعارض دعوتهما، فقد كان واحد في خدمة الله والثاني في فتون الحرب، أثرا ووحدا شعبيهما ليقاتل ويموت بمثل تلك التضحية الوطنية من أجل قضية عامة، وحتى الآن تكرارا يفرقهما حتى بعد موتهما الانقسام بين أنصار مكاريوس المضادين لقريفاس وأنصار قريفاس المضادين لمكاريوس، وهذا الانقسام مضر بقبرص، وقلما كان يوجد بلد محظوظ له زعيمان قوميان من ذلك النوع العظيم كل منهما في مجاله، مكاريوس يوجه النضال من أجل الوحدة سياسيا وقريفاس يقود ذلك النضال عسكريا، وحالما انتهى النضال من أجل الوحدة أو وضع المطلب على الرف بسبب اتفاق الاستقلال فقد ثبت أنه نادرا ما كانت دولة حديثة ذات طائفتين في حاجة ماسة إلى رجال دولة وحاجة أقل إلى زعيمين قوميين، وفي الحقيقة فإن حياة جمهورية قبرص ذات الطائفتين اعتمدت كثيرا على قدرة الزعماء المسيطرين في ذلك الوقت، مكاريوس وقريفاس وآخرون وكان على مكاريوس وقريفاس أن يعدا

نفسيهما لقيادة مختلفة منهما خلاف كونهما زعيمين قوميين لطائفة واحدة عرقية، كانا يجب أن يعملوا كرجلى دولة يدفعان الشعب القبرصي في اتجاه المصالحة الوطنية، وهذا التغيير في القيادة كان أكثر عجلة للأسقف مكاريوس لأنه رئيس لدولة من طائفتين، دولة ظهرت بعد سفك الدماء بين عناصر من عرقين، وكان عليه أن يحوز على ثقة القبارصة الأتراك في استقلال قبرص على شكل اتفاقية زيورخ ولندن سنة ١٩٥٩م، كان يمكن أن يتجح فقط إذا أمكن بناء الثقة بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك، وكان بالتأكيد في نفس المستوى من الأهمية بالنسبة لمكاريوس أثناء محاولة كسب الثقة من جانب الأقلية التركية أن يحافظ على ثقة الأغلبية القبرصية اليونانية المحبطة، خصوصا عندما يجعل الزعيم القومي الآخر ومؤيدوه موقفهم المنتقد للتخلي عن قضية الوحدة ليس سرا أو (خدلان مطلب الوحدة كما يقولون) وعندما حدث اتفاق الاستقلال في مؤتمر لندن سنة ١٩٥٩ م قام الأسقف مكاريوس وهو الأسقف العرقي للقبارصة اليونانيين الذين يكونون ٨٢٪ من الشعب في الجزيرة كان الزعيم الوحيد الذي يمكنه أن يضع توقعه عليها ويعمل ذلك أقتع القبارصة اليونانيين أن يقبلوا أو على الأقل أن يؤمل منهم تحمل اتفاق الاستقلال مع تلك الفترات المؤلمة التي جاءت في الدستور وذلك التقليل من سيادة الجمهورية الذي فرضته اتفاقية التأسيس واتفاقية الضمان، وحتى هذا الزعيم القومي الروحي المحبوب (في ذلك الوقت) من أجل أن يحقق غرضه في القبول الشعبي باتفاقية زيورخ ولندن وبشكل خاص من أجل إقناع مقاتلي منظمة (أيوكا-ب) لكي يضعوا سلاحهم يحتاج إلى قبول اليونان المسؤولية الكاملة عن اتفاق زيورخ ورضا قريفاس الذي جاء بعد أن أوضحت الحكومة اليونانية أنها تؤيد الاتفاقية وأقنعت ذلك الجنرال العنيد بأن معارضة الاتفاقيتين سوف تؤدي إلى انقسام الأمة وتكون كارثة على قضية قبرص، وأثناء الفترة الانتقالية (١٩٥٩م - ١٩٦٠) كان واضحا أن مكاريوس سوف يكون أول رئيس للجمهورية الهشة في قبرص وكان كذلك واضحا أنه إذا كان مكاريوس مطلوبا في أن يكون أول رئيس من أجل أن يجعل القبارصة اليونانيين يقبلون بالاتفاقية وأن يستمر في تنفيذها على اعتبار أنه

بالواقع والحقيقة الزعيم القومي تقليديا وهو ينتمي إلى القبارصة اليونانيين والشخص الأكثر قدرة على بعث الثقة في القبارصة الأتراك، والمشكلة في الوضع أنه على الرغم من أن مكاريوس كان مرغوبا كأول رئيس للجمهورية من أجل أن يبقى القبارصة اليونانيون على الطريق وأن يستمر في تنفيذ الاتفاق كإسقف لقبرص طبقا لتقاليد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وكمعرق يحمي دور الحارس على الهيلينية في الجزيرة أوكلت إليه بأربعمئة سنة من التاريخ فإنه هو الوحيد الذي يمكن أن يغير القاعدة من دور الزعيم القومي إلى رجل الدولة أي رئيس دولة ثنائية الطوائف وهكذا يمكنه أن يكسب ثقة الـ ١٨ ٪ من شعب الجزيرة التركي، هذه الثمانية عشر في المائة التي كانت مطلوبة بالإحاح إذا قدر للتجربة أن يكون لها نصيب من النجاح وأي اعتقاد أو تفكير أن الأسقف لن ينتخب أول رئيس للجمهورية كان غير منطقي، ذلك أن الكنيسة التي كانت لها قوة السيطرة السياسية في الجزيرة خلال ثلاثمئة سنة من الحكم العثماني وثمانين سنة من الحكم البريطاني لم تكن مستعدة أن تسلم الحكم لرجل علماني خصوصا إذا كان مثل ذلك التصرف سيفسر على أنه تخلّ عن القضية الوطنية، ومن الجانب الآخر فإنه ليس هناك نسيبا لأي مرشح أن ينجح ضد مكاريوس كما حدث لحزب (أكيل) الحزب الشيوعي القبرصي القوي وحزب الوحدة اليميني المتشدد اللذين اكتشفا ذلك سنة ١٩٦٠م ذلك أنهما في أول انتخابات رئاسية كانا قد أقتعا والد (جون كليديس) وهو قانوني محترم وسياسي مسن أن يقف ضد مكاريوس في الانتخابات في وقت كانت فيه ثقة القبارصة اليونانيين في انتخاب مكاريوس مسألة تحصيل حاصل.. وينتهي قلافيكوس كليديس في الحديث عن تلك المرحلة إلى التأكيد أن مكاريوس وقريفاص (رجل الدين ورجل الحرب) كانا على خلاف مكين، وأن مكاريوس وإن كان حساسا تجاه أولئك الذين كانوا يتهمونه بالتخلي عن المطلب القومي (الوحدة مع اليونان) فإنه كان حذرا في تعامله وكان يأمل في تحقيق استقلال كامل لقبرص، أو هكذا يستنتج المتابع لسرد قصة تلك الفترة في مذكرات كليديس، كما أنه قد تحدث عن الأخطاء التي ارتكبت إما بسبب عدم النضوج السياسي أو الثقة المبالغ فيها. وكذلك

التقديرات المتفائلة فيقول: (توفي مكاريوس في الثالث من أغسطس سنة ١٩٧٧م نتيجة لأزمة قلبية ثانية إذ كان قد أصيب بأزمات قلبية حادة أضعفت صحته، وبين الأزمة الأخيرة في قلبه وما قبلها كان مكاريوس قد اختار مكان قبره في منطقة جبال ترودوس فوق كنيسة (كيكو) التي عمل فيها طمبندى، وتقديرى مكاريوس أنه كان زعيما قوميا ممتازا خلال فترة النضال من أجل التحرير ضد الحكم الاستعماري وكذلك كان قريفاص في الجانب العسكرى، ومكاريوس مع ذلك كرجل دولة وريث لبلد ذي طائفتين قد فشل في أن يدرك في وقت مبكر أن زعامته التقليدية العرقية للقبارصة اليونانيين لا يمكن أن تقارن كليا مع تلك الرئاسة لدولة متعددة الطوائف، والصورة التي يرسمها أقرب مؤيديه على أنه الزعيم السياسي البارز والمقتدر الذي لا يخطئ لا تتفق مع الحقيقة على الرغم من زعامته الكاريزمية وذكائه الحاد فقد اتخذ قرارات خاطئة متجاهلا النصائح ومع الأسف فإن بعض تلك الأخطاء كان لها تأثير عكسي على تطور مشكلة قبرص، ووفاء مكاريوس مع ذلك تمثل علامة في نشوء الحياة السياسية في قبرص، إنها تمثل علامة انتهاء الدور المسيطر والقيادي للكنيسة في السياسة والتحرير، وتمثل النمو في القوة للأحزاب السياسية للطائفة القبرصية اليونانية ويمكن أن يقول المرء إنها تمثل بداية الحياة السياسية القوية، والتحليل الإيجابي لسياسة مكاريوس حول مشكلة قبرص لا يمكن إلا أن يرسمها الإنسان في الملخص التالي:

(عندما صار مكاريوس أسقفا لقبرص التزاما بأصله العرقي جعل الوحدة هدفه، وفي هذا الخصوص فهو لم يجانب سياسات سلفه، والخلاف الحقيقي كان في أن سلفه في كرسى الأسقفية القبرصية قام بحملة سياسية من أجل تحقيق هدفه بينما اعتمد مكاريوس على النضال المسلح ليعطي مادة لحملته السياسية ولإجبار البريطانيين على القبول بمبدأ تقرير المصير لقبرص، وكل من مكاريوس وأسلافه تعاملوا مع مسألة الوحدة من وجهة نظر أن قبرص تاريخيا وثقافيا يونانية وبالنسبة للسكان فإن التقاليد واللغة والدين ترجع إلى الأصل اليوناني مع أقلية قبرصية تركية ولذلك فإنه من حق الأغلبية اليونانية ٨٢ ٪ من السكان أن تمارس

ذلك الحق في إدارة نفسها وأن توحد قبرص مع اليونان ولأن أسلاف مكاريوس كانوا يقومون بحملات سياسية بالكلام والخطب وكتابة المذكرات إلى الحكومة البريطانية فإنهم كانوا يمكن أن يستمروا بلا نهاية في تلك الحملة دون جدوي ولا تحقيق الوحدة فبقوا وبقيت قبرص تحت السيطرة الأجنبية البريطانية، أما مكاريوس فقد حرر قبرص بالتضال العسكري من الاستعمار ولكنه بهذا التحرر كان عليه أن يعترف لتركيا بأن لها مصالح في قبرص وكان عليه أن يقبل وجودا عسكريا تركيا في الجزيرة وكذلك الضمان التركي وحق تركيا في العمل المنفرد لمنع أي تغيير في الوضع الدستوري الذي تقرر حسب اتفاقية زيورخ وحق منع الوحدة التي كانت هدف سياسته، وقبول الاستقلال بدلا من الوحدة لم يكن التسوية الوحيدة التي قبلها مكاريوس أثناء حياته السياسية الطويلة، فقد اتخذ موقفا ضد الاتحاد قبل وبعد الغزو التركي وأخيرا فقد قبل اتحادا ذا مناطق متعددة، وينتهي كلام كليديس في تحديد الأخطاء والمواقف (وأظنه محقا في ذلك) إلى القول:

١ - كان مكاريوس حساسا فيما يتعلق بنقده على أنه خالف القسم الذي أخذه على نفسه في كنيسة (فانيروسينت) خلال فترة ما قبل الاستقلال، ونصه، أنه لن يتخلى عن النضال إلى أن تتحقق الوحدة.

٢ - وكان قد انتقد بشدة لأنه لمجرد تحقيق استقلال منقوص اعترف لتركيا بأن لها مصالح في قبرص وكلمة في مستقبلها مدعومة بوجود عسكري وحقا في التدخل، كما وافق على أن تكون للطائفة التركية حقوق سياسية أكثر مما هو معترف به دوليا للأقليات.

٣ - أنه كان قد شكل حكومة مكونة من أشخاص صغار السن ينتمون إلى منظمة أيوكا ومن مؤيدي تلك المنظمة الذين يضمرون التوجس تجاه اتفاقيتي زيورخ ولندن وهم معارضون لسياسته وإن كانوا يمتدقون أن رفض مكاريوس تنفيذ بعض فقرات دستور سنة ١٩٦٠ م وطلب تعديلهما يمثل مخرجاً، وفي رأيه أن أهداف مكاريوس من تقديم مطلب غير ناضج بشأن إجراء تعديلات في الدستور كانت

عديدة، منها أولا، أنه أراد أن يثبت لمنتقديه أن سياسته في قبول اتفاقيتي زيورخ ولندن كانت للتخلص من الحكم الأجنبي الاستعماري وأنها كانت صحيحة وأن اتفاقيتي زيورخ ولندن برغم الضمان التركي ورغم ثقلها يمكن أن تعدلا.

وثانيا، أنه رغب في أن يقلل من الحقوق السياسية المنفصلة التي ضمنها تلك الاتفاقيات للطائفة التركية إلى الحد الذي يقرره المجتمع الدولي عادة للأقليات مثل حرية الدين واللغة والثقافة ... إلخ، وليس حقوقا سياسية منفصلة.

وثالثا، كان يرغب (عندما يحين الوقت) في أن يخلص قبرص من اتفاقيتي زيورخ ولندن اللتين فرضتا قيودا على سيادة قبرص وليجعلها مستقلة فعلا.

ورابعا، أنه رغب في أن يحقق كل الأهداف المذكورة أعلاه أثناء حياته وبينما هو رئيس لقبرص، ولتحقيق الأهداف المذكورة قرر أن ينضم إلى حركة عدم الانحياز، ولقد رأي وهو على حق أن التحالف الغربي الذي يمتد تركيا عنصرا هاما فيه سوف لن يساعده على تحقيق أهدافه، وعلي أي حال فقد اعتقد أنه يمكن أن يحقق تلك الأهداف من خلال الأمم المتحدة وبمساعدة حركة عدم الانحياز، وهذا ثبت أنه خطأ، وقد خلق إبراز هذه الأهداف احتكاكا دائما بين مكاريوس وكل الحكومات اليونانية خلال سنوات (١٩٦٣ - ١٩٧٤م) وقد حاولت الحكومات الديمقراطية اللاحقة أن تمنع مكاريوس من الاستمرار في محاولة تحقيق تلك الأهداف ونصحته بأن يتفاهم ولكنها فشلت في إقناعه كما حاول الدكتاتور العقيد (بابادوبولوس) إقناع مكاريوس أن يضمن للطائفة التركية حق الإدارة الذاتية في الأمور المحلية في مقابل أن يقبل الجانب التركي البنود الثلاثة عشر التي طلبها في الدستور إلا أنه فشل في إقناعه على الرغم من حقيقة أنه قد استخدم حتى التهديد ضد مكاريوس، ولقد استمر مكاريوس في اعتقاده أنه من خلال الأمم المتحدة وبتأييد حركة عدم الانحياز يمكنه أن يكون قادرا على تحقيق أهدافه، ولم يتغير هذا الاعتقاد حتى بعد الغزو التركي، وفي فبراير سنة ١٩٧٧م وصل إلى خلاصة أن قرارات الأمم المتحدة بشأن قبرص ليس لها نصيب من التحقق وأن الوقت يعمل في

اتجاه مضاد لقبرص وأنه يجب أن يقاوض من أجل حل، وأن الحل لابد أن يكون مرضيا للجانب القبرصي التركي وهو الفيدرالية غير المركزية، واعترف أنه بلا مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية فإن الفطرسة التركية لا يمكن أن تتوقف، ومع الأسف فقد مات بعد وقت قليل من إدراكه تلك الحقيقة .. انتهى.

والواقع أننا نعتقد أن موقف مكاريوس هذا الذي أشار إليه السيد كليريدس والذي قال فيه: (إن مكاريوس مات بعد أن صار واقعيا) عندما أدرك أن قرارات الأمم المتحدة ليس لها فرصة التحقق وكذلك مساندة حركة عدم الانحياز، نحن نعتقد أن مكاريوس كان مدركا للوضع الدولي عندما غير موقفه ذلك أن حركة عدم الانحياز قد فقدت الزعماء الأقوياء إما بالموت أو العجز فلقد كان البعض منهم قد مات والبعض الآخر فقد القدرة على الفعل إما بسبب الكبر أو أنهم قد أطيح بهم، فقد مات جمال عبد الناصر ونهرو وشوانلاي وتيتو، وأطيح بغيرهم، وأن الأمم المتحدة أصبحت رهينة لدى الولايات المتحدة الأمريكية حتى قبل أن يتفكك الاتحاد السوفيتي ويظهر النظام العالمي الجديد، بمعنى أن مكاريوس لم يكن مخطئا عندما انتمى إلى حركة عدم الانحياز لأنه اعتقد أنه بإمكانه أن يعتمد على الأمم المتحدة وتلك الحركة في تنفيذ القرارات الدولية كما أنه لم يكن مخطئا عندما قال إن قرارات الأمم المتحدة ليس لها حظ من التنفيذ، أو أنه أدرك مبكرا حقيقة أن الوضع الدولي قد تغير، وهكذا يتصرف رجل الدولة، ولهذا فإن ذلك ليس عجزا منه وإنما هو موقف يحسب لصالحه وليس ضده، ومن المعلوم أنه ليس هنالك شيء دائم في السياسة.

الفصل التاسع

جنود الوحدة المستحيلة (أوينيسيس)

قال الشاعر العربي :

كيف الرجوع بها وحول قباها سمر الرماح يملن للإصغاء

وقال أيضا :

ولا يقسموم على حق بنو زمن من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

قضية الوحدة، وحدة مصير ومستقبل أي شعب قُسم لأسباب سياسية أو اقتصادية استعمارية هي في الواقع واحدة من أهم القضايا في تاريخ كل الشعوب التي وقعت تحت سيطرة أجنبية ماضيا وحاضرا، كذلك الحال بالنسبة لنفس الهدف بين شعبين أو عدة شعوب، ولقد حدث أن هناك وحدات قامت وكلها كانت قصيرة العمر ربما للأسباب نفسها التي كانت عائقا أمام الوحدة، ووحدات دامت لفترات من الزمن قسرا أو طوعا، وأخرى لم تتحقق لها ظروف التوحيد أو التوحد علي الإطلاق رغم أصلها الواحد ولفتها الواحدة ودينها وماضيها، ومنها ما كتب له البقاء حتى الآن وربما إلى الأبد، والأسباب كثيرة والأمثلة على ذلك متعددة، بين شعبين كحالة قبرص وعدة شعوب كحالة الاتحاد السوفيتي سابقا والاتحاد اليوغسلافي أيضا سابقا، وكالاتحاد السويسري والولايات المتحدة حاليا ثم كالشعب العربي في الحالة الأخيرة، وغير هذه وتلك، ولئن كنا في غير حاجة إلى الحديث عن كل هذه الشعوب لأن الموضوع يتصل ويتعلق ببلد واحد وهو غرض هذا الكتاب، ذلك هو قبرص، ومع ذلك فإنه ربما يكون من المفيد أن نعرض لبعض أسباب تحقق أو فشل أو استمرار الوحدة (أي وحدة) طويلا أو قصيرا من الزمن لأن الديمومة بطبيعة الحال غير ممكنة ولذلك أسباب أخرى.

هناك العديد من الظروف والأسباب والعوامل التي تؤدي إلى تَكُون الشعوب والأمم والمجموعات البشرية كالهجرة والاستقطاب والطرْد والتكاثر الطبيعي، إذ إن هناك عوامل جاذبة وأخرى طاردة (واحدة تجمع وأخرى تفرق) فهناك علاقة الدم والعرق والدين واللغة والعادات والتقاليد والتاريخ وحتى الجغرافيا تليها الحاجة من أجل البقاء كالتضامن للدفاع أو الغزو من أجل المصالح وسبل الحياة

وهجرة الأفراد أو المجموعات البشرية من مكان إلى آخر أو من أرض إلى أخرى سببه غالبا البحث عن المعيشة المتمثلة في فرص العمل والكسب والإنتاج فالاستقرار فالتكون كحالة أمريكا الشمالية، وتكون الصلات أو تُفقد بسبب النزوح والهجرة إذ قد تنتقل مجموعة من الناس أو الأفراد من مجتمع ما لتلتحق بآخر وتصير منه مع الزمن حيث تفقد صلتها أو انتماءها لمجتمعها الأول، وهكذا الحال بالنسبة لقبرص، فهناك طائفتان من الناس واحدة مسيحية أرثوذكسية تنتسب إلى الأصل اليوناني وإن لم تكن كذلك في الواقع وحقيقة الأمر، وطائفة مسلمة سنية تنتسب إلى الأصل التركي وإن كانت أصلا عربية تكلمت اللغة العربية واعتنقت الدين الإسلامي وجاءت من بلاد عربية ومجتمع عربي ثم تخلت عن تلك اللغة والأصل لعدد من الأسباب وصارت تركية اللسان والانتماء، ولقد مرت الطائفتان في تاريخ الجزيرة المكتوب بالعديد من المراحل وتلاحمت أو تعاملت وتعاونت مع الكثير من الأجناس كما مر بنا لكنها انتهت إلى أن تكون في الواقع المعاش قبرصية تركية وقبرصية يونانية أساسا بسبب اللغة والدين، وقد استعملت الطائفتان اللغات اليونانية والعربية والتركية والفرنسية والإنجليزية وإن غلبت على إحدهما اللغة اليونانية وعلى الأخرى اللغة التركية مع عادات متقاربة وسبل حياة وجغرافيا واحدة إلا أن إحداهما كان تأثرها أكثر بعوامل لغتها ودينها فانهضبت أكثر إلى ما تعتقده الأصل أي (اليونان) وصارت تناضل من أجل الاندماج في ذلك الأصل المعتقد في حين أن الطائفة الأخرى ترى أو تعتقد العكس ولهذا كانت قضية الوحدة ولا تزال أس الأساس في مشاكل قبرص والقبارصة اترাকা ويونانيين، وجذور الوحدة في هذا المأزق كما نعتقد ترتبط بالتاريخ لأن الذين يدعون الآن إلي وحدة مع هذا الجانب أو ذاك ويشكل خاص مع اليونان، إنما يستخدمون التاريخ إضافة إلى اللغة والدين، ولأن هناك شكوكا في الموقف التاريخي كعنصر يمكن أن يدعم ذلك المطلب فإنه لابد من البحث فيه، وفي هذا الشأن يقول السير (جورج هيل) :

(إن الصعوبة الكبيرة تكمن في حقيقة أن قبرص ليس لها تاريخ متصل من ذاتها فيما عدا وإلى درجة ما فترة (لسنيان) وما لدينا بشأنها لمحات باهتة متغيرة

من أنشطة القوى العظمى التي وجدت من عصر لعصر كان من الضروري أن تتعامل معها وهي في طريقها لأهداف أهم، ومن أجل أن يوضع تاريخها في موضعه الحقيقي فإن الواحد يحتاج إلى تاريخ كل الشعوب الذين اتصلوا بها سواء أكانوا مستعمرين أو محتلين. انتهى) وفي هذا الاتجاه كتب عالم آثار ألماني بعد الاحتلال البريطاني لقبرص سنة ١٨٧٨ م يقول :

(إن من يرد أن يبقى قوة عظمى في الشرق فيجب أن يقبض على قبرص في يده...) .

وهذا فعلا ما أكدته الأحداث التي مرت بها الجزيرة وتاريخ العالم خلال الثلاثة آلاف ونصف سنة من عهد الفرعون المصري (تحتس الثالث) إلى الملكة الإنجليزية (فيكتوريا) ولقد كان الدين في قبرص هلاميا قبل المسيحية التي دخلت سنة ٤٥ ميلادية وقبل الإسلام الذي جاء مع الفتح العربي الإسلامي الثاني سنة ٦٥٣م إذ كان أهل قبرص يعبدون آلهة الإخصاب منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ثم تحولت آلهة الإخصاب إلى الآلهة (أفرودايت) هذه الآلهة التي حكيت حولها الحكايا والأساطير وجاء بها اليونانيون في مرحلة ما بعد الاحتلال الإغريقي لقبرص، وكان لهذه الآلهة تمثال في مدينة (بافوس) الواقعة في الجنوب الغربي من الجزيرة، علما بأن القبارصة قد تكلموا اللهجة التي جاء بها المستوطنون اليونانيون وهي لهجة (الأوكادو) وكانت لهم أيجديتهم القبرصية الخاصة بهم إلا أن فكرة الوحدة لم تأت إلا متأخرة جدا عن الدين واللهجة المحكية، بل الاستيطان ثم الاحتلال اليوناني، ويقول مؤلف كتاب مختصر تاريخ قبرص السيد (بيريدوكس) فيما يتصل بالوحدة ما يلي :

(لم تكن قبرص قد شملت في الدولة اليونانية التي تكونت حديثا على الرغم من أن قضية الدمج هذه قد أثرت منذ فترة حكم (جون كابو ديسترياس) في اليونان بعد حرب الاستقلال وكانت قبرص مستحقة لذلك بالكامل ذلك أن عددا من القبارصة قاتلوا وسقطوا قتلى خلال حرب اليونان من أجل الاستقلال وبشكل خاص في معركة أثينا سنة ١٨٢٦م وفي السنوات التي تلت، وأثناء الحكم التركي استمر

القبارصة في الإعراب عن رغبتهم في تحقيق حريتهم وأن يتحدوا مع اليونان، وقد كبر هذا الأمل وتكثف في ١٨٧٨م عندما سلمت قبرص طبقا لاتفاق ثنائي إلى الإنجليز على الرغم من استمرارها نظريا تحت حكم السلطان العثماني، وقد ناضل القبارصة في ظل سيدهم الجديد من أجل هدفين، الأول: لضمان المزيد من الحقوق الوطنية، والثاني: الاتحاد مع اليونان، وكان المطلب الأول قد تعزز جزئيا بضممان مبدئي لشكل من الدستور وتشكيل مجلس تشريعي يتكون من أعضاء منتخبين وأعضاء معينين، أما الثاني فكان دائما يواجه بالرفض من جانب البريطانيين الذين كانوا يتعللون دائما بأن الجزيرة مستمرة تحت سلطة السلطان العثماني، ومع ذلك فإنه في سنة ١٩١٣م درست حكومتا اليونان وبريطانيا احتمالات استبدال الجزيرة بميناء أرتوستولون في سيفالونيا، ولكن ذلك لم يتم، وكانت فرصة أخرى للوحدة مع اليونان قد جاءت بنفسها في سنة ١٩١٥م عندما عرضت الجزيرة خلال الحرب العالمية الأولى على اليونان بشرط أن تدخل هذه الحرب إلى جانب صربيا ولكن هذا العرض كان قد رفض من طرف حكومة اليونان، وهكذا فإن فرصة قد ضاعت..

وبعد الحرب العالمية الأولى طلب ممثلو الشعب القبرصي بقيادة كنيسة الجزيرة الوحدة مع اليونان وقد زار وفد يتكون من الأسقف (كيريلوس الثالث والوزير اليوناني لشئون المجلس التشريعي) لندن سنة ١٩١٩م لنفس الغرض ولكن مع الأسف دون جدوى، وكان إعلان حقوق الأمم الذي أعلن خلال الحرب قد تم تجاهله وكتيجة لذلك كانت الهوة بين الشعب وقادته من جانب وحكومة الجزيرة وهي بريطانيا من جانب آخر قد اتسعت وكان ذلك سببا في انتفاضة سنة ١٩٢١م التي كانت قد قمعت بقوة السلاح وقد أبعد قادة الحركة (تيكوديموس أسقف كستسون ومكاربوس أسقف كايريتيا) وعدد من أعضاء المجلس التشريعي ورموز أخرى من الجزيرة، وقد سمح فقط بعد الحرب العالمية الثانية بالعودة إلى قبرص للأحياء منهم ومن بين هؤلاء أسقف كايريتيا الذي انتخب سنة ١٩٤٧م أسقفا لقبرص وهو مكاربوس الثاني، وفي نفس الوقت فإن مقاومة الشعب القبرصي وقادته للوجود الأجنبي أصبحت أكثر حدة وإن لم تعلن عن نفسها بنشاط واضح.. وفي نهاية

الحرب العالمية الثانية كان على الحكومة البريطانية أن تتعامل مع قضية قبرص إذ إن هذه القضية أبرزها الشعب وقياداته وخصوصا السيد (ليونتوس) الذي كان يقوم نيابة بمقام كرسي الأسقفية لمدة سنوات (١٩٣٢ م - ١٩٤٧م) والذي صار أسقفا لوقت قصير سنة ١٩٤٧م وقد سافر ليونتوس هذا إلى لندن سنة ١٩٤٨م ليرفع قضية قبرص وجواب الحكومة البريطانية على مطلب القبارصة بشأن الاتحاد مع اليونان القائم على مبادئ تقرير مصير الشعوب أثناء الحرب العالمية الثانية الذي كان يتمثل في عرض دستور سنة ١٩٤٧م حول الحكم الذاتي المنقوص، وهذا كان قد رفض من طرف جناح اليسار ومن الشعب كله وقادته، وبدلا من ذلك رفع ليونتوس شعار (الاتحاد، والاتحاد فقط) وقد استمرت حركة الاتحاد مع اليونان تنمو إلا أن الحكومة البريطانية ظلت غير مكترثة بهذا الوضع الجديد وإن كانت قد أظهرت رد فعل قليل سنة ١٩٤٩م عندما أعلن الأسقف مكاربوس الثاني عن استفتاء شعبي مفتوح يحدد رغبة الشعب في الاتحاد، وقد جرى ذلك الاستفتاء في ١٥ يناير ١٩٥٠م وانتهى إلى أغلبية ساحقة في صالح الاتحاد مع اليونان إذ صوت ٩٦٪ من الشعب للاتحاد بينما امتنع ٤٪ وهم غالبا من الموظفين والمدرسين الذين عينتهم الحكومة، وكان الاستفتاء قد حاز على أهمية كبيرة وإعلان واسع في العالم ورغم محاولة الحكومة البريطانية غير الناجحة للتقليل من أهميته، وهكذا استمر النضال السياسي والدبلوماسي خلال السنوات اللاحقة وقد تولت كل تلك العملية حكومة اليونان بالرغم من عدم اهتمامها المبدئي لكن الأمر أصبح ميسرا عندما تكونت حكومة قوية في اليونان برئاسة المشير (اليكساندروس باباقوس) قائد النصر في حرب اليونان مع إيطاليا (١٩٤٠م - ١٩٤١م) انتهى.

وعرضت الحكومة اليونانية قضية قبرص على الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال ١٩٥٤ - ١٩٥٥م من أجل طلب تقرير المصير لكن الطلب لم يجد القبول من طرف أعضاء المنظمة الدولية ولم يتخذ أي قرار في هذا الخصوص ومع ذلك فقد أصبحت القضية القبرصية قضية عالمية وحظيت بمطف القوى الليبرالية والبلدان المعادية للاستعمار..

ونلاحظ في عرض قضية قبرص وربطها بمسألة الوحدة مع اليونان أن هناك ثلاثة أطراف كانت تلعب أدوارا في رفع الحماس الشعبي أو خفضه بين وقت وآخر ولابد أن ذلك كان مرتبطا بظروف محلية ودولية، وأولها: الكنيسة ورجال الدين ولقد علمنا مما تقدم أن الكنيسة كانت دائما تلعب دورا بارزا في حياة القبارصة وسياسة البلاد وما زالت كذلك، وثانيها: الجماعات المتطرفة التي سارت وراء العقيد القبرصي اليوناني قريفا، وثالثها: الحكومة اليونانية التي كانت في أغلب الظروف تعمل من أجل المصلحة الوطنية اليونانية، وسنرى كيف كان دور الكنيسة بعد رفض الجمعية العامة للأمم المتحدة المطلب اليوناني بشأن قبرص، يقول مؤلف نفس المصدر: ^(١)

(قيادة النضال من أجل اتحاد قبرص مع اليونان أو من أجل تقرير المصير تحولت الآن إلى مكاريوس الثالث وهو الأسقف الجديد الذي خلف مكاريوس الثاني سنة ١٩٥٠م بالاشتراك مع المجمع المقدس والمجلس الكنسي في الجزيرة، ولكن جميع الجهود الدبلوماسية والسياسية في قبرص واليونان بقيت دون نتيجة بسبب الرفض الدائم من طرف الحكومة البريطانية، أما المقترحات الجديدة من طرف هذه الحكومة بشأن الدستور فقد رفضت وهنا تزايد النضال الشعبي لأن الفشل في الحصول على أي نتيجة أغضب الناس وهو الشيء الذي دفع قسما منهم إلى تكوين منظمة ثورية سرية عرفت باسم (أيوكا) ^(٢) ولقد قابلت الحكومة البريطانية ذلك بالمزيد من الاعتقالات والمحاكمات فقد سجنتم وأعدمت وغرمت المئات من المواطنين القبارصة بمختلف التهم ونفت الأسقف مكاريوس ورفاقه إلى جزيرة (سيشل) وإن قد قامت الحكومة البريطانية أخيرا بخطوتين هامتين، كانت الأولى هي نقل المبادرة من أجل حل المشكلة القبرصية إلى منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) هذه المنظمة التي تتمتع بعضويتها كل من بريطانيا واليونان (لم يذكر تركيا) والثانية هي

(١) المختصر في تاريخ قبرص، مبيرا داكيس .

(٢) يأتي المؤلف هنا بقصة أخرى حول منظمة أيوكا عندما يقول إن قسما من الشعب في قبرص قد كون منظمة ثورية سرية عرفت باسم أيوكا وهو بذلك ربما لا يريد أن يذكر الجنرال قريفا أو غيره بحيث يشعر القارئ أن المنظمة لم تكن بإشراف خارجي أو توجيه من حكومة أخرى، وهو كذلك تجاهل الإشارة إلى اسم قريفا عند الحديث عن إجراءات نفى مكاريوس ورفاقه، ونرى أن ذلك يخالف الحقيقة التاريخية.

إطلاق سراح الأسقف مكاريوس ورفاقه من جزيرة (سيشل في ٢٩ مارس ١٩٥٧م) وإن لم تسمح لهم بالعودة إلى قبرص، كذلك خففت بعض الإجراءات الخاصة بالطوارئ، وأخيرا عرضت القضية على الأمم المتحدة وكان الشعب القبرصي قد رفض تدخل حلف الناتو، ولقد كان دور مكاريوس الثالث فاعلا في تخفيف المعارضة لمطلب الاستقلال القبرصي في الأمم المتحدة لعدة أسباب، منها أنه كان معتدلا ويتجه في معالجة القضية إلى الجانب السياسي بدلا من العسكري، ومنها أنه (ربما) كان قد أوعز إلى جهات موثوق بها أنه يرغب في أن يرى قبرص مستقلة ومحيدة، وهذا يعني أنه ليس من أنصار الوحدة مع اليونان، كذلك فإن هذا الموقف بطبيعة الحال يخفف من التشدد التركي ويطمئن إلى حد ما الشريك الثاني في الجزيرة (الأتراك القبارصة) وعلى هذا الأساس بات الطريق مفتوحا إلى الاستقلال خصوصا أن دور بريطانيا في السياسة الدولية قد انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهذه كان لها موقف مختلف طبقا لخطة (أتشيسون) في عهد إدارة الرئيس (جونسون) وكانت الحكومة البريطانية منذ ما يقرب من مائة عام قد عبرت عن رأيها في مسألة الوحدة مع اليونان ووضع الجزيرة بطاقتها وجاء ذلك على لسان السيد (ونستون تشرشل) وكيل وزارة المستعمرات في ذلك الوقت أثناء زيارة قام بها لقبرص سنة ١٩٠٧ م وقد ذكرها مؤلف كتاب (قبرص تحت الحكم البريطاني) في موضوع (فكرة الهيلينية) فقال ^(١) :

(هناك عبارة يونانية تظهر دائما وتستغل بشكل غريب في كثير من المقالات الرئيسية التي تكتب في الصحف اليونانية الصادرة في قبرص وهي عادة ما تتطرق من الخطب السياسية والتي يجب القبارصة أن يذكروها في كل مناسبة، وهي تسمع في الكنائس الأرثوذكسية اليونانية وفي الاحتفالات الخاصة والعامة وفي كل عيد وطني، وتستخدمها النوادي لزيادة أعضائها وتستخدمها الجرائد والمجلات من أجل زيادة المشتركين فيها وهي توجد في كل مكان يزوره الناس، وهي كذلك تطلق من

(١) كتاب (قبرص تحت الاحتلال البريطاني) تأليف السير تشارلز، صادر في لندن ١٩٧٤ م .

أفواه السياسيين وقادة الرأي العام سواء في التعامل مع المواطنين أو في مخاطبة حكومة الإمبراطورية، والكلمة أو العبارة التي نتحدث عنها هي (أوينسيس) أي الاتحاد وهي تستعمل للتعبير عن الأمل السياسي في وحدة قبرص مع المملكة اليونانية وهي التي يبشر بها عدد كبير من الشعب المسيحي في قبرص، وهذا الأمل السياسي يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال البريطاني وإن كانت قد حازت على دفعة قوية أثناء فترة الحكم العثماني وبداية انتهائه من الجزيرة، وعندما نزل السير (قارنيت ووزلي) في لارنكا سنة ١٨٧٨م وكان في انتظاره ممثلو الشعب القبرصي اليوناني برئاسة الأسقف وهو الذي خطب مرحباً به في الجزيرة استخدم هذه الكلمات (إننا نقبل بتغيير الحكومة طالما أننا نثق أن بريطانيا العظمى سوف تساعد قبرص كما فعلت في جزر الأيونيان للتوحيد مع اليونان الأم التي نرتبط معها قومياً) وفي مناسبة زيارة السيد ونستون تشرشل واستقباله هناك أعلن أعضاء المجلس التشريعي أملهم الوطني في العبارات التالية: (إن الشعب القبرصي أعلن بكل احترام أمله الوطني للأمة الإنجليزية الشريفة منذ اليوم الأول للاحتلال البريطاني من خلال كلمات رئيس أعلى منبر كهنوتي، ومنذئذ لم يبخل بالإعلان في كل مناسبة إلى الحكومة البريطانية ومن خلال ممثليه في المجلس التشريعي عن ذلك، وفي الإعراب عن هذه الرغبة اليوم بسعادة كبيرة وحماس شديد، ولآخر مرة فإننا وفوق كل شيء لابد أن نعلن أن الشعب القبرصي وبلا تردد يمتد أن أهم ما يحقق سعادته واستقراره هو تحقيق هدفه النهائي الذي لا يمكن أن تحول دونه قوة مادية أو معنوية، وإننا نأمل ونثق في الاعتراف بأسرع وقت ممكن من طرف الأمة الإنجليزية العظيمة التي تلتزم بتقاليدها الليبرالية وكما فعلت في الجزر الإيونانية بحيث تضيف صفحة أخرى رائعة إلى أمجادها التاريخية في تحقيق الوحدة وتحظى ليس فقط بتقدير الشعب القبرصي وإنما الهيلينيين في جميع أنحاء العالم حيث تعيد هذه الجزيرة إلى المكان الذي تنتمي إليه، إلى الأم المحبوبة، اليونان، إلى المصدر الحنون حيث تتمتع بالليبرالية التي يطمحها كل شعب، وخصوصاً الشعب الذي يريطه.

الانتماء واللغة والدين والحضارة والذي يكون جزءاً من الشعب اليوناني الخالد الذي خلق وطور الحضارة والإنسانية... (الخ) ويتساءل المؤلف هنا قائلاً :

على أي أساس أقيم هذا الربط في المجتمع؟ لا على التاريخ ولا الجغرافيا سيظهر أن هناك ارتباطاً بين قبرص والبلد الأم، اليونان، وتعبير عودة قبرص إلى اليونان الذي استعملته ذات مرة صحيفة إنجليزية تعاملت مع أحداث قبرص سنة ١٩١٢م إنما هو تعبير غير صحيح كلياً، وما يؤكد ذلك جاء في أحداث التاريخ التي ذكرناها في الفصل الثاني من الكتاب^(١) ولقد كانت قبرص في الماضي لمصر وفارس والآشوريين والروم والبنادقة والجنوبيين والإمبراطورية العثمانية، لكنها لم تكن للإغريق ولا يمكن أن تكون بأوسع معنى للتصور، ناهيك عن القول إنها واحدة من الجزر اليونانية^(٢) وعلى المستوى الوطني فإن القضية قوية ذلك أن الناس الذين يسكنون الجزيرة عندما غزاها واحتلها المصريون وعندما استعمرها الفينيقيون بكل الاحتمالات كانوا من أصل إيتونيائي أو جافاني، والهجرة المتكررة من اليونان حدثت قبل العصر المسيحي، ولذلك فإن الذين يتحدثون اللغة اليونانية الآن هم من دماء مختلطة وفي عروقهم دماء من كل الأمم التي استعمرت أو احتلت بلادهم بين وقت وآخر، ولكن المنصر الإغريقي بلا شك أثبت أنه الأقوي والأبقي ذلك أن اللسان اليوناني هو الذي عاش وحده ويسببه بقيت التقاليد الإغريقية وقد انتهى كل ما عداها وتعلم السكان الذين يتكلمون اللسان اليوناني من خلال لغتهم توقيير ذكريات اليونان القدامى وأمجاد عصر الإغريق، واعتبروا أنفسهم منحدرين من عرق الأبطال والفلاسفة والنحاتين الذين تعرف الحضارة الحديثة في العالم كله بوفرة إسهاماتهم.

ويستمر المؤلف في سرد الأسباب التي جعلت القبارصة اليونانيين يصرون على كونهم جزءاً من اليونان دون أن يكون هنالك سند تاريخي أو جغرافي كما يقول غير اللغة والتقاليد اليونانية التي تقلبت على غيرها من لغات وتقاليد الأمم التي

(١) كتاب (قبرص تحت الحكم البريطاني)، تأليف السير تشارلز أور، صادر في بريطانيا، لغة إنجليزية.

(٢) نص برقية أرسلت من طرف القبارصة الأتراك إلى اللندون السامي البريطاني سنة ١٨٨٢م.

سبقتها، وتلك ربما هي الحقيقة، إلا أننا نرى أنه من حق اليوناني القبرصي أو بالأحرى (القبرصي اليوناني) أن يفخر بالانتماء إلى أمة عظيمة قدمت الكثير للعالم في مجالات التاريخ والأدب والفلسفة والعلوم والحضارة بكل مقوماتها، ذلك صحيح وسبقي كذلك، إلا أن الواقع السياسي والجغرافي والتاريخي والأمني يفرض شيئا يختلف عن المطامح والرغبات أو الآمال واليول النفسية التي تتجاهل حقوق ومصالح الآخرين في عالم اليوم، نعتقد أن ذلك التجاهل غير ممكن خصوصا إذا كان هؤلاء الآخرون يشاركون في نفس البلد ويملكون جزءا منه، وقد يحدث أن تتغير الظروف السياسية وتبعاً لذلك تظهر دوافع جديدة تحقق مصالح دولة أو دول ما وعلى هذا الأساس يتغير الموقف أو المواقف كما حدث في حالة قبرص أثناء الحرب العالمية الأولى مباشرة والتي يذكرها المؤلف على النحو التالي :

(ضم الجزيرة من طرف بريطانيا العظمى عند انفجار الحرب مع تركيا سنة ١٩١٤م أحدث تغييرا هاما في الوضع مما جعل بريطانيا حرة في أن تصرف في قبرص كيفما أرادت، وخلال السنة التالية عرضت بريطانيا قبرص على اليونان ضمن شروط لكن العرض رفض وسقط، ولكن هذا التطور أظهر أن بريطانيا كانت مستعدة لتعترف بالأساس القومي الذي طالب بموجبه القبارصة المتكلمون باللغة اليونانية بالوحدة مع اليونان علي أنه لم يكن غير عادل (كما كانت تتعلل) ومع ذلك فإنه ما زال هناك واقع وحقيقة أن ربع سكان الجزيرة هم من الأتراك الذين استقروا هناك منذ قرون والذين امتلكوا واستغلوا جزءا كبيرا من الأرض والذين كانوا دائما موالين للحكم البريطاني، ومنذ الاحتلال سنة ١٨٧٨م وهم معادون بشدة لفكرة الوحدة مع اليونان أو أن تكون قبرص تحت سيطرة اليونان، ولقد احتج الأتراك مرارا ضد فكرة تسليم الجزيرة لليونان وأعلنوا أن تحقيق تلك الفكرة يعني القضاء عليهم ولقد قاوموا من خلال المجلس التشريعي ومواقع أخرى أية إجراءات قد تؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر إلى تسليم الجزيرة أو تبديلها لليونان ولم تنكر الطائفة القبرصية اليونانية وجود طائفة قبرصية تركية لكنهم ينكرون أنه طالما.

أن الطائفة القبرصية التركية المسلمة تمثل أقلية نسبية من عدد السكان فإنه لا يحق لها أن تتدخل في الطموحات السياسية للأغلبية... انتهى) .

هذا ما ذكره المؤلف السير تشارلز أور، وهو وإن كان حقيقة إلا أنه يتضمن تناقضا غريبا، فإذا كان القبارصة الأتراك وهم الشركاء في البلاد يرون أن استلام الجزيرة بواسطة اليونان يعني نهايتهم فكيف ينكر عليهم حقهم في الاعتراض حتى وهم أقلية ؟ كذلك فإن بريطانيا في تناقض مواقفها فهي لا تلتزم بمسؤولية الدولة الحاكمة، ذلك أنها أحيانا ترفض الطلب القبرصي اليوناني على اعتبار أنه غير منطقي في تجاهله لوجود الطائفة القبرصية التركية وفي أحيان أخرى هي نفسها تتجاهل وجود تلك الطائفة وتعرض تسليم قبرص لليونان مقابل مكاسب خاصة !! كذلك فإن اليونان البلد (الأم) ترفض قبول ذلك الطلب وهي التي يفهم من أغلب مواقفها وفي مختلف مراحل حكمها أنها تعمل على توحيد تلك الجزيرة معها !! ليس ضباطها هم الذين انقلبوا على الحكم الشرعي الدستوري في عهد الرئيس مكاريوس ؟ وإذا كانت بريطانيا بفعلها ذلك إنما هي تصعد المشاعر في أحيان وتهبطها في أحيان أخرى خوفا أو رغبة أو طمأنينة فإنما هي توجع الخلاف والعداء بين الطائفتين وكذلك بين الدولتين الراعيتين (تركيا واليونان) وكان على الساسة وقادة الفكر في قبرص أتركا ويونانيين أن يدركوا تلك الحقيقة مبكرا ومنذ بداية العرض البريطاني وأن يعملوا على إصلاح بلادهم وأن يعرفوا من خلال التاريخ والواقع والجغرافيا أن خدمة بلادهم لا تتم عبر بريطانيا وخزعاتها ولا من خلال اليونان أو تركيا، ذلك أن الواقع يقول إنه لا يمكن تجزئة الجزيرة، والتاريخ يؤكد أن الطائفتين قبرصيتان، كلتاهما تعيش في نفس البلاد، والجغرافيا توضح أن قبرص جزيرة واحدة ليست جزءا من اليونان ولا من تركيا، هذه هي الحقيقة التي لا يجب أن يتجاهلها القبارصة اليونانيون وقد تجاهلوها مع الأسف خلال فترة الاستقلال وما قبله وإلى أن حدث الانقلاب العسكري اليوناني على الرئيس الشرعي، وهي الحقيقة التي يتجاهلها الآن القبارصة الأتراك مع الأسف أيضا بعد الانقلاب والتدخل العسكري التركي الذي جعل موقفهم قويا، ونكرر القول إنه ربما تكون

الظروف المستحدثة وتطور الأحداث ونتائج المغامرة العسكرية المتمثلة في الانقلاب العسكري القبرصي اليوناني والغزو العسكري التركي ستجعلهم يدركون ويلتزمون بالواقع والحقيقة، إنني أقول هذا إدراكا مني لما يعتلج في صدر الرئيس الحالي (قلافكوس كليريدس) وهو السياسي القدير والمحامي البارع والذي عاش وعاش (قلافكوس) في أغلب مراحلها ولقد جأته الفرصة ليدخل تاريخ قبرص وقد حقق الوثام بين طائفتيها وقضى على كل الدسائس والأحقاد داخلية وخارجية، ربما هي أمنية وفي الأماني بعض الأمل.. ولو قرأنا رسائل القنصلية البريطانية آنشد والتي أوردها السير (هاري لوك) في كتابه (قبرص تحت الحكم التركي من سنة ١٥٧١ - ١٨٧٨) لأدركنا بما لا يقبل الشك أن الإدارة البريطانية هي التي غرست وعمقت العداء والتناقض بين الطائفتين القبرصيتين (التركية واليونانية) رغم أن القبارصة الأتراك كما يذكر نفس المؤلف كانوا دائما مخلصين للحكم البريطاني، ورغم أن القبارصة اليونانيين قد رحبوا بذلك الحكم عندما استلمت بريطانيا الجزيرة سنة ١٨٧٨م لتديرها نيابة عن السلطان العثماني (هكذا ذكر في الاتفاق بين السلطان العثماني عبد الحميد وجمالة الملكة فيكتوريا في أول يوليو سنة ١٨٧٨م) على أن الحقيقة غير ذلك، وإن كانت التفاصيل ليست محل اهتمامنا الآن، تبدأ وثائق الأرشيف من سنة ١٧١٠ إلى ١٨٧٨م أي إلى آخر فترة الحكم العثماني، والواقع أن بريطانيا العظمى قبضت ثمن مساعدتها للسلطان في حربه مع روسيا وكان ذلك الثمن هو استلام جزيرة قبرص، ويذكرنا مؤلف كتاب (تاريخ قبرص) السيد (كوستاس كيريس) بما أحدثته بريطانيا في الجزيرة بين الطائفتين فيقول :

(أن النظام الإداري الذي اختير لقبرص في سبتمبر سنة ١٨٧٨ م بواسطة الإنجليز كان من النوع المركزي جدا والذي كان استتبع بإصلاح سنة ١٨٨٢ م بحيث يتكون المجلس التشريعي من ثمانية عشر عضوا يعين منهم ستة بقرار من المندوب السامي، والاثنا عشر الآخرون ينتخبون مدة خمس سنوات بواسطة القبارصة، تسعة منهم ينتخبهم القبارصة اليونانيون وستة منهم ينتخبهم القبارصة الأتراك (أورد العدد خطأ إذ إن $٩ + ٦ = ١٥$) بينما العدد المقرر هو (١٢ عضوا) وتقرر أن

تصوت كل طائفة على انفراد في الانتخابات وكانت هذه أول بذرة في انقسام البناء السياسي في الجزيرة.. انتهى).

وتلك كانت بداية السياسة البريطانية في جزيرة قبرص، وعلينا على أي حال أن نتذكر أن الإنجليز هم أصحاب مبدأ (فرق تسد) على أننا أيضا ومن الإنصاف أن نعترف لهؤلاء الإنجليز بديمقراطيتهم الراسخة واشتراكياتهم الأوروبية الرائعة اللتين طبقتا في بلادهم فقط، فسيادة القانون في بريطانيا تصل إلى مستوى التقديس والاشتراكية الإنجليزية تكاد تكون مثالية ولكنهم مع الأسف لم يفعلوا إلا عكس ذلك تماما في البلاد التي سيطروا عليها، وحتى بعد أن خرجوا أو أخرجوا منها تركوا فيها قتال موقوتة تنفجر الواحدة بعد الأخرى دون أن يكون لها زمن محدود، وإذا كنا نبدي إعجابنا بتلك الديمقراطية والنظام الاجتماعي البديع في بريطانيا فإننا نأسف لما غرسوه في بلدان أخرى من مشاكل وعقد وأزمات عانت وتعاني منها شعوب تلك البلدان حتي الآن، وربما إلى أمد طويل وبعيد !!

الفصل العاشر

الخاتمة : معاوية في الميزان

قال الإمام الشافعي :

أمطري لؤلؤا جبال سرنديب	ونبضي آبار تكرر تبرأ
أنا إن عشت لست أعدم قوتنا	وإذا مت لست أعدم قبرأ
همتي همّة ملوك ونفسي نفس	حر ترى المذلة كفرا

لا شك علي الإطلاق أن معاوية بن أبي سفيان كان نوعاً فريداً بارزاً عبقرياً بين أعظم قادة الإسلام في ذلك الوقت وربما في كل التاريخ العربي، ولا بد أنه يقف في صف مقارب لعمر بن الخطاب من حيث الحكمة ووزن الأمور علي حقيقتها. ومن حيث الإقدام والشجاعة بعد الدراسة والتفكير في العواقب والنتائج، وما أكثر العياقرة والنوايغ في تلك المرحلة من تاريخ العرب، ولقد أجمع علي مكانة معاوية تلك سابقوه ومعاصروه ولاحقوه من القادة والمفكرين وأهل القلم والسياسة، وهو رجل حرب وسياسة ودولة، فقد أسس دولة العرب عزيزة الجانب قوية الأركان وقال عن نفسه ذات مرة: (إني لأدفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عقوى، وجعل أكثر من حلمى، أو عورة لا أوارئها بسترى، أو إساءة أكثر من إحسانى) ولعمري إنها منتهى البلاغة ودقة التعبير..

هذا الرجل الذي عدّ من دهاة العرب الخمسة^(١) وجميعهم كانوا تحت قيادته وإمرته، ولد معاوية سنة ٦٠٨م وتولي قيادة جيش الشام سنة ٦٣٣م وفتح قبرص في المرة الأولى والتي كانت أول مرة يركب فيها جنود العرب والمسلمين البحر سنة ٦٤٨م ومن حكمته أنه صالح أهلها علي الجزية وحياد جزيرتهم، ثم عاد فغزاها مرة ثانية ليبقى فيها حامية عربية استقرت في مدينة (بافوس) سنة ٦٥٢م وتلك كانت بداية وجود العرب في هذه البلاد (ولقد ذكرنا السبب في الغزوة الثانية فيما سبق) ووافاه الأجل المحتوم بعد أربعين سنة وهو في الحكم (عشرون سنة في إمارة الشام وعشرون سنة في إمارة المسلمين) وكانت وفاته سنة ٦٧٩م في حين كانت سنوات

(١) دهاة العرب كانوا خمسة حسب الروايات التاريخية وهم: (عمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وغيد الله بن بديل الخزامي ومعاوية بن أبي سفيان).

حكمه مليئة بالأحداث والحروب والفتوح، ولا يذكر التاريخ أنه فشل في عمل أقدم عليه، أسلم سنة ٦٢٩ ميلادية أي عندما بلغ من العمر إحدى وعشرين سنة وكان بعد إسلامه واحدا من كتّاب الوحي^(١) ولقد كتب مائة وثلاثة وستين حديثا وكان قريبا من النبي محمد ﷺ، وقال عنه النبي: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب». والد معاوية هو أبو سفيان صخر بن حرب ووالدته هند بنت عتبة، ويذكر أن والده خلال لحظة تفكير وتأمل قال: (إن هذا الطفل الكبير الرأس خليف به أن يسود قومه) وكانت والدته تستمع فقالت: (ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة) وكانا كأنهما يتبنا بمستقبل طفلهما، ومن المعروف عن والد معاوية أنها كانت ذات شخصية قوية ورأي ثابت وبديهة سريعة وقد تحدث عنها المؤرخون بكثير صفاتها ومزاياها، وكان والده كبير قومه ومن أشد أعداء النبي والدعوة المحمدية وهو من كبار تجار قريش، وقد حرّض القرشيين علي رسول الله ﷺ إلا أنه فشل في محاولاته الكثيرة مع أنصاره من قريش لقتل النبي محمد أو الإضرار به وكسر شوكة المسلمين في مواقع مثل (بدر وأحد والخندق وغيرها) ثم أسلم واعتذر للرسول وشارك في غزوة حنين وغيرها تحت راية الإسلام، وعندما توفي كان عمره ثمانية وثمانين عامًا، تولى ابنه معاوية إمارة الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب واستمر في ولايته تلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان، اشترك في معركة اليرموك وفي معركة فتح دمشق التي كان يقودها أخوه (يزيد) وفي أول أمر تسلمه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بشأن توليته (قيصرية) وكان نص الأمر كما يلي :

(أما بعد، فإني قد وليتك قيسرية فسر إليها، واستصبر بالله عليهم، وأكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولي ونعم النصير) ويذكر (الطبري) أن بلاد الشام كلها قد توحدت تحت قيادة معاوية (فلسطين وسوريا والأردن) وأوردها الطبري هكذا (فلسطين ودمشق والأردن) وأصبح على معاوية مجابهة التحديات المستمرة على حدوده الشمالية فقد بقيت

(١) كتاب الوحي كانوا: (على بن أبي طالب وعثمان بن عفان وخالد بن سعيد والعلاء الحضرمي ومعاوية ابن أبي سفيان...).

الإمبراطورية البيزنطية (الروم) مصدر تهديد لدولة المسلمين فقام معاوية بقيادة (الصائفة)^(١) ودخل بلاد الروم بعشرة آلاف من جند المسلمين الذين كان قد جهزهم لتلك الحملة على الدولة القوية التي كان يخشى تهديدها أي (بيزنطة) التي تجاوز إمارته من جانب حدودها الشمالية والتي يتوقع منها المناوشة أو الهجوم وكان معاوية أول من أدرك أهمية الأساطيل البحرية في حروب بيزنطة التي تهدد شواطئ الشام، ويذكر (البلادري) أن معاوية قد أسرع لاستنفار العمال ممن لهم خبرات في صناعة السفن وحشدتهم في (عكا) ورمم الحصون والمرفأ وجعله دارا لصناعة السفن وتجهيز الأسطول العربي الإسلامي وإعداده كما زعم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة، وقد كانت الصناعة بساحل الأردن علي عهد معاوية في مدينة عكا كما كانت السفن تنبئ في أيام معاوية في سواحل الشام (صور وعكا وطرابلس)^(٢).

ولقد كان معاوية دقيقا في اختيار الناس الذين يصحبهم أو يكلفهم بأعمال ما، وفي ذلك يقول (عبد الرحمن بن خلدون): لما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم تقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته واستخدموا بصراء بها، فتاقت نفوسهم إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني^(٣) وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطروها العساكر المقاتلة من وراء البحر من أمم الكفر.. انتهى^(٤).

وعندما قرر معاوية غزو قبرص (بموافقة الخليفة عثمان كما ذكرنا سابقا) صاحب معه أبا ذر الغفاري والمقداد وشداد بن أوس وأبا الدرداء وعبادة بن الصامت، وهؤلاء من كبار الصحابة وأهل الرأي، وكان ذلك في سنة ٢٨ هجرية، ويعرف معاوية إضافة إلي كل صفاته الأخرى (بأبي البحرية العربية) وكان قائد تلك الحملة البحرية هو (عبد الله بن قيس الجاسي) وهو من أبرز الرجال الذين خبروا البحر جيدا وقد اشتهر في هذا الميدان وقاد العشرات من الحملات البحرية بعد تلك الغزوة.

(١) الصائفة تعبير يقصد به العمليات العسكرية التي كان يقوم بها العرب المسلمون .

(٢) فتوح البلدان للبلادري .

(٣) الشواني هي حاملات الجند إلى البر .

(٤) المقدمة في تاريخ عبد الرحمن بن خلدون .

ومعاوية له مقولة تؤكد فهمه لاستراتيجية دولته في ذلك الوقت وعدوها الأساسي (بيزنطة) فقد قال: (شدوا خنقا الروم فيها تضبطوا بقية الأمم) وكان الصراع المرير بين العرب المسلمين من جانب والروم والفرس من جانب آخر سنة ٦٢٨م قد انتهى بانتصارات عربية كبيرة وقد سيطر العرب على الشام والعراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولكن مع ذلك فإن هجمات الروم على تلك الأراضي التي سيطر عليها العرب لم تتوقف، وهو الشيء الذي جعل معاوية يفكر في الإعداد للغزو عبر البحر بحيث يبعد قواعد وتجهيزات وتجمعات العدو، وكانت الغزوات البحرية في عهده عديدة وأهمها الغزوات التالية :

- ١ - غزوة قبرص سنة ٦٤٨م وتمت بنجاح وعلى إثرها وقّعت معاهدة حياذ قبرص.
- ٢ - غزوة صقلية سنة ٦٥٢م ولم يتم احتلال الجزيرة وقد اعتبرت العملية استباقية أو تجريبية.
- ٣ - حملة ذات الصواري سنة ٦٥٤م وحدثت فيها الهزيمة الكاملة للروم وجرح فيها إمبراطورهم (قسطنطين) وقد هرب في قارب صغير من ميدان المعركة، وتحول بحر الروم من بحر للروم إلى بحر للعرب، وكانت قيادة مشاة بحرية العرب تحت إمرة (يسر بن أبي أرطاة) ولقد أمر هذا القائد بربط السفن إلى بعضها والالتحام في القتال المباشر يدا بيد وكتفا بكتف وبذلك أيدت قوات الروم.
- ٤ - غزوة رودس سنة ٦٥٤م وهي عملية شبه استطلاعية.
- ٥ - حملة صقلية مرة ثانية سنة ٦٧٢م وبسبب الدروس المستفادة من الغزوة الأولى لهذه الجزيرة تم هذه المرة احتلالها.
- ٦ - غزوة كريت سنة ٦٧٤م وتمت بنجاح واحتلت الجزيرة.
- ٧ - حملة جزر بحر (إيجا) وهي الواقعة غرب الدرييل وتتحكم في مداخل القسطنطينية سنة ٦٧٦م وقد تم احتلال الجزر الخمس في تلك المنطقة وبذلك حدث حصار القسطنطينية.

ولئن سمي معاوية بملك العرب أو كسرى العرب فإنه كان بالإضافة إلى حنكته ومرونته ديمقراطيا يعمل بمبدأ الشورى، وكان كثير الصبر والتأني شديد الحذر في اتخاذ القرار أو الإجراء مهما كان صغيرا أو كبيرا صعبا أو سهلا، وتدل على ذلك نورد أحداث (فتنة الكوفة) وكيف استطاع معاوية أن يعالجها، كما ذكرها (الطبري) في كتاب (تاريخ الأمم والملوك، الجزء الخامس..) قال:

(كتب الخليفة عثمان بن عفان بعد أن ضج أهل الكوفة من الذين يطعنون بأمر المؤمنين، كتب إلي معاوية يقول: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فراعهم وقم عليهم، فإن أنست منهم رشدا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم).

وتقدم هؤلاء إلي معاوية فرحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى (كنيسة مريم) وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق وجعل لا يزال يتدنى ويتعشى معهم فقال لهم يوما: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدرتكم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريتهم وقد بلغني أنكم نقضتم قريشا، وإن قريشا لو لم تكن عدمت أذنة كما كنتم، إن أئمتكم لكم إلى اليوم جنة فلا تشدوا عن جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المثونة، والله لتنتهن أو ليلبتليكنم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتهم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا اخترقت خلصت إلينا.

فقال معاوية: عرفتمكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا، أعظم عليك الإسلام وأذكرك به، وتذكرني بالجاهلية، وقد وعظتكم وتزعم لما يحنك أنه يخرق ولا ينسب ما يخرق إلى الجنة، أخزى الله أقواما أعظموا أمركم وزفّعوا أمركم إلى خليفتم، افقوها ولا أظنكم تفقهون أن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل، لم تكن باكثر

العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفيع، فبواهم حرما آمنا يتخلف الناس من حولهم، هل تعرفون عربيا أو عجميا أو سودا أو حمرا إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة إلا ما كان من قريش فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله كيدَه الأسفل حتي أراد الله أن يتنقذ من أكرم وأتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا، ثم بني هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم ولا يصلح ذلك إلا عليهم فكان الله يحوهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله، أفتراه لا يحوهم وهم على دينه ؟ وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم، إفاً لك ولأصحابك ولو أن متكلمًا غيرك تكلم ولكنك ابتدأت فأما أنت يا صمصمة فإن قريتك شرّ قري عربية، أنتها نبتا وأعقمها واديا وأعرفها بالشر والأما جيرانا، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سب بها وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقابا وألأمة أسهارا، نزاع غرياء الأمم، وأنتم جيران الخط وفعلة فارس، حتي أصابتكم دعوة النبي ﷺ ونكبتكم دعوته وأنت نزيح غريب في عمان، لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي ﷺ فأنت شرّ قومك حتي إذا أبرزك الإسلام وخطك بالناس وحملك على الأمم التي كانت عليك أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتتزعج إلى اللأمة والذلة ولا يضيع ذلك قريشا ولن يضرهم ولن يمنهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم غير غافل قد فرقكم بالشر من بين أمتكم فأغرى بكم الناس وهو صارعكم، لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاءه الله، ولا أمرا أراده الله، ولا تدركون بالشر أمرا أبدا إلا فتح الله عليكم شرا منه وأخرى.. ثم عاد معاوية لمناظرة هؤلاء، وقال لهم: إني معيد عليكم، أن رسول الله ﷺ كان معصوما فولاني وأدخلني في أمره، ثم استخلف أبا بكر رضي الله عنه فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني فلم آل لأحد منهم ولم يولني إلا وهو راض عني، وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والفناء، ولم يطلب أهل الاجتهاد

والجهل بها والضعف عنها، وإن الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتي يختبركم ويبيد للناس سرائركم وقد قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (الملكوت: ٢٠١).

ورجع معاوية في ليلة ثالثة ليحاوهم ويقول لهم: أيها القوم ردوا على خيرا أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوا وتعيشوا وتعيش بكم.

فقال صمصمة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال معاوية: أو ليس ما ابتدأتمكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه ﷺ وأن تمتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا ؟

قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي.

قال: فإنني أمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وأمركم بتقواه وطاعة نبيه ﷺ ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة، وأن توقروا أئمتكم وتحلوهم علي حسن ما قدرتم، وتعطوهم في لين ولطف في أي شيء إن كان منهم.

فقال صمصمة: فإننا نأمرك أن تعتزل عملك فإن في المسلمين من هو أحق به منك.

قال معاوية: من هو ؟ قال: من كان أبوه أحسن قدما من أبيك وهو بنفسه أحسن قدما منك في الإسلام.

فقال معاوية: والله إن لي في الإسلام قدما ولغيري كان أحسن قدما مني ولكنه ليس في زمانني أحد أقوى علي ما أنا فيه مني ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هودة ولا لغيري، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إلي بخط يده فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت ألا أعزم له على ذلك إلا وهو خير، فمهلا فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم

وأمانكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوما ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره فعادوا الخير وقولوه.

فقالوا: لست لذلك أهلا.

فقال، أما والله إن لله سطوات ونقمات وإنني لخائف عليكم أن تتباعوا في مطاوعة الشيطان حتى تحلكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نعم الله في عاجل الأمور والخزي الدائم في الآجل، فوثبوا عليه وأخذوا برأسه ولحيته، فقال: مه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أناهم عنكم حتى يقتلوكم، فلمعري إن ضيعكم ليشبه بعضه بعضا، ثم قام من عندهم وقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت، ثم كتب إلى عثمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عثمان أمير المؤمنين، من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد.

يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إلي أقواما يتكلمون بالسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس، زعموا، من قبل القرآن فيتشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يردون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يفروهم بسحرهم وفجورهم فأردهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم، والسلام.. انتهى.

هكذا كان معاوية في حواراته ولعمري إنها ديمقراطية الإسلام الحق، أناس يمسكون بخناق الأمير وهو يرجوهم ألا يفعلوا لأنه يخاف عليهم من القتل، وكان يحاورهم لعدة أيام وفي حوارات طويلة ولما لم يقتنعوا لم يفعل شيئا غير الطلب بإعادتهم إلى أرضهم !

وكان أمير المؤمنين عثمان قد فعل ذلك إذ رد على معاوية يأمره بردهم إلى والي الكوفة (سعيد بن العاص) وتنفيذا لأمر أمير المؤمنين قال لهم معاوية :

(إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا والله لا ينفع الله بكم أحدا ولا يضره، ولا أنتم رجال منقعة ولا مضرة ولكنكم رجال نكير، ثم ينصحبهم فيقول: فإن أردتم النجدة فالزموا جماعتكم وليسعكم ما وسع الدهماء، ولا يبطركم الإنعام، فإن البطر لا يعترى الخيار.. انتهى).

ولقد حدثت الكثير من الخلافات والثورات التي عالجها معاوية بحكمة ودراية، وكانت جميعها قد جاءت بعد الحملات البحرية والفتوح التي قام بها معاوية بمعنى أنه كان قويا وقادرا ويمكنه أن يبطش لو لم يكن عادلا وحكيما، ولقد كان معاوية بن أبي سفيان حريصا ودقيقا في اختيار رجاله الذين يعاونونه في إدارة الحكم كالولاية وقادة الجيوش والشرطة ولذلك فقد كان قادرا على إحكام سيطرة الدولة وفرض النظام والقانون حتى أنه يذكر أن (الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتية صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها باب بيتها) ومن ضمن وصاياه إلى من يكل إليهم أمور الحكم أنه في وصيته لعمرو بن العاص عندما سير جيشا لفتح مصر بقيادته قال له (أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فإنه يمن، وبالمهل والتؤدة فإن العجلة من الشيطان، وبأن تقبل ممن أقبل، وأن تعفو عمن أدبر، فإن قبل فبها ونعمت، وإن أبي فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة، وأحسن في العاقبة، وادع الناس إلى الصلح فإذا أنت ظهرت ليكن أنصارك آثر الناس عندك).

ولقد كان معاوية (ربما) أول من عرف وأدرك طباع أهل الشام فساسهم بحكمة وقادهم في كل حروبه ومعاركه كما شاء ولذلك فإنه في تولية ابنه زياد أوصاه قائلا: (انظر أهل الشام فليكونوا بطانتك، فإن نابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فأرد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم).

ذلك هو معاوية بن أبي سفيان أمير الشام وأمير المؤمنين مثير الجدل وشاغل الناس وباني الدولة، ولقد كان بارعا وخلوقا وذكيا وعالما وصبوراً متأنياً وعظيماً، رحمه الله رحمة واسعة.

الملاحق

معاهدة إقامة الجمهورية القبرصية :

نظرا إلى أن الفرقاء (المملكة المتحدة البريطانية العظمى ومملكة اليونان والجمهورية التركية كقريق أول والجمهورية القبرصية كقريق ثان) يغريان في وضع نصوص لتنفيذ الإعلان الذي أصدرته حكومة المملكة المتحدة في ١٧ فبراير ١٩٥٩م في مؤتمر لندن وحسب الإعلانات المتعاقبة التي صدرت خلال المؤتمر من قبل وزراء خارجية اليونان وتركيا وممثلين عن الجاليتين القبرصية اليونانية والقبرصية التركية وبعد الاطلاع على شروط معاهدة الضمان الموقعة اليوم من قبل الفرقاء المعنيين قد تم الاتفاق على الآتي :

١ - أن أراضى الجمهورية القبرصية تشمل جزيرة قبرص والجزر التي تقع على جوانب شاطئها ما عدا المناطق المنصوص عليها في الملحق (أ) في هذه المعاهدة والتي تبقى تحت سيادة المملكة المتحدة، أن هذه المناطق يشار إليها في هذه المعاهدة وملحقاتها بقاعدة (أكروتيري) ذات السيادة وقاعدة (ديخيلى) ذات السيادة.

٢ - (أ) ستمنح الجمهورية القبرصية للمملكة المتحدة الحقوق المنصوص عليها في الملحق بهذه المعاهدة.. (ب) ستتعاون الجمهورية القبرصية بالكامل مع المملكة المتحدة لتأمين سلامة وعمل القواعد العسكرية في أكروتيري ذات السيادة وديخيلى ذات السيادة وممارسة المملكة المتحدة لحقوقها الممنوحة لها حسب هذه المعاهدة.

٣ - تتعهد جمهورية قبرص واليونان وتركيا والمملكة المتحدة بالتشاور والتعاون في الدفاع المشترك عن قبرص.

٤ - أن الترتيبات الخاصة بوضع القواعد فى جزيرة قبرص ستكون حسب ما هو منصوص عليه فى ملحق (س) لهذه المعاهدة.

٥ - على جمهورية قبرص أن تؤمن لكل فرد وضمن نطاق صلاحياتها أسوة بما جاء فى فرع (١) من الإعلان الأوروبي لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية الموقع عليها فى روما يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠م والبروتوكول التابع لذلك الإعلان الموقع فى باريس فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢م..

٦ - أن الترتيبات الخاصة بجنسية الأفراد التى تأثرت بعد تأسيس الجمهورية القبرصية ستكون بحسب ما جاء فى الملحق (د) لهذه المعاهدة..

٧ - أن جمهورية قبرص والمملكة المتحدة تقيان وتعمدان بعمل الترتيبات المالية والإدارية الضرورية لحل المشاكل الناجمة عن انتهاء الإدارة البريطانية على أراضي جمهورية قبرص وهذه الترتيبات منصوص عليها فى الملحق (ج) لهذه المعاهدة.

٨ - (أ) جميع التزامات ومسئوليات المملكة المتحدة الممكن تطبيقها على الجمهورية القبرصية ستتسلمها من الآن فصاعداً جمهورية قبرص..

(ب) جميع الحقوق والمنافع التى تتمتع بها المملكة المتحدة والتى يمكن تطبيقها على الجمهورية القبرصية ستتمتع بها من الآن فصاعداً الجمهورية القبرصية.

٩ - تقبل الأطراف المعنية فى هذه المعاهدة أن تتعهد بالقيام بالترتيبات الخاصة بالتجارة والأمور الأخرى الواردة فى الملحق (ف) لهذه المعاهدة..

١٠ - سيكون الجواب على أى سؤال حول هذه المعاهدة أو أية صعوبة فى تفسير نصوصها كما يلى :

(أ) أى سؤال أو صعوبة يمكن أن تنجم عن العمليات العسكرية اللازمة للمملكة المتحدة أو بشأن نصوص هذه المعاهدة المتعلقة بحقوق والتزامات

قوات المملكة المتحدة أو أى قوات أخرى ملحقة بها بحسب نصوص هذه المعاهدة أو بشأن القوات اليونانية والتركية والقبرصية ستسوى عن طريق المفاوضات بين أعضاء القيادة الثلاثية لجمهورية قبرص وتركيا واليونان وسلطات القوات المسلحة للمملكة المتحدة.

(ب) أى سؤال أو صعوبة فى تفسير هذه المعاهدة لا يمكن الاتفاق عليهما عن طريق المفاوضات مع السلطات العسكرية كما هو مبين أعلاه أو فى حالات أخرى عن طريق المفاوضات بين الأطراف المعنية بالطرق الدبلوماسية ستحال من أجل أخذ القرار النهائى عليها إلى محكمة تشكل لهذه الغاية وتتكون من أربعة ممثلين عن حكومات المملكة المتحدة واليونان وتركيا وقبرص ورئيس محكمة مستقل يعينه رئيس محكمة العدل الدولية فإذا كان رئيس المحكمة المعين هو من مواطنى المملكة المتحدة أو المستعمرات أو جمهورية قبرص أو تركيا أو اليونان فسيطلب من نائب الرئيس أن يحكم وإذا كان نائب الرئيس هو أيضاً مثل الرئيس فسيطلب من القاضى الذى يليه درجة فى المحكمة أن يحكم.

١١ - أن ملحقات هذه المعاهدة ستكون لها نفس القوة والتأثير وجزءاً لا يتجزأ من هذه المعاهدة.

١٢ - ستكون هذه المعاهدة نافذة المفعول بعد توقيعها..

ملاحق المعاهدة :

ملحق (أ)

ملاحظة :

الخرائط الكبيرة والصور التى التقطت من الجو والوصف المذكور فى هذا الملحق لم تطبق بعد وستوضع نسخ منها فى مكاتب مجلسى البرلمان وستوضع أيضاً مجموعة نسخ فى مكتب علاقات الكومنولث بعد موافقة البرلمان عليها ومع ذلك

فتوجد نسخ إيضاحية مصغرة لخارطة (ب) وخريطة (ف) المشار إليهما في الفرع واحد من هذا الملحق وفي الملحق خمسة من هذه الورقة لخارطة رقم واحد وخارطة رقم اثنين.

فرع واحد:

١ - إن منطقتي قاعدة أكروتيرى وقاعدة ديخيليا ستكونان كما هو مبين بالخرائط والصور الجوية والإيضاح المذكور في الفصل (ف) من هذا الملحق.

٢ - (أ) حدود منطقة أكروتيرى ذات السيادة ستكون كما هو مبين بالخرائط والصور الجوية والإيضاح المذكور في الفصل (ف) من هذا الملحق.

(ب) حدود منطقة ديخيليا ذات السيادة ستكون كما هو مبين بالخرائط والصور الجوية والإيضاح المذكور في الفصل (ب) من هذا الملحق.

٣ - إيضاح الخرائط والصور الجوية والأوصاف المذكورة في الفصل (ف) والفصل (ب) من هذا الملحق سيكون بحسب مقدمات أولئك الفصلين.

فرع اثنين :

١ - حدود منطقة أكروتيرى ذات السيادة ومنطقة ديخيليا ذات السيادة المذكورتين في فرع (واحد) من هذا الملحق ستخطط بوضوح وبشكل فعال على الأرض من قبل لجنة حدود تتألف من ممثلين عن المملكة المتحدة وجمهورية قبرص.

٢ - ستعين اللجنة وستبدأ عملها في حال دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ وسينتهى عملها بأسرع ما يمكن وفي أى حال سيكون ذلك خلال تسعة أشهر.

٣ - وبحسب الفقرة خمسة من هذا الفرع ستقيد اللجنة تقيدا تاما بالحدود المنصوص عليها في فرع (واحد) من هذا الملحق.

٤ - أى سؤال حول التفسير التكنيكي للخرائط والصور الجوية أو الشرح الذى لا توافق عليه اللجنة يمكن إحالته إما من قبل المملكة المتحدة أو جمهورية قبرص إلى اختصاصى محايد ينتخب بالموافقة من المملكة المتحدة وجمهورية قبرص لاتخاذ القرار بشأنه وسيكون قراره نهائيا وملزما.

٥ - يمكن للجنة بعد موافقة أعضاء المملكة المتحدة والجمهورية القبرصية أن تجرى بعض التغيير في الحدود المشار إليها في فرع واحد من هذا الملحق وذلك من أجل معالجة بعض الأوضاع المحلية ويمكنها تخطيط الحدود بحسب تلك الأوضاع وإذا لم يتمكن الأعضاء من الاتفاق فإن الحدود المنصوص عليها في فرع (واحد) من هذا الملحق ستخطط كحدود ثابتة. وتستمر ملاحق المعاهدة وهى طويلة لتبين الحدود الجوية والأرضية وغير ذلك وترى أن ذكرها قد لا يهم القارئ وليس لنا من تعليق غير القول إنها كانت مجحفة جدا في حق قبرص لكن ذلك في الواقع الدور الذى يقوم به المستعمر دائما بحيث يفرض شروطه ويحقق رغباته ومصالحه.

ملحق رقم (٢)

مسودة معاهدة التحالف :

حيث إن جمهورية قبرص واليونان وتركيا يرغبون في السلام والأمن لكل منهم ويعتبرون جهودهم في حفظ السلام والأمن هي متفقة مع مبادئ وأغراض الأمم المتحدة، فقد اتفقوا على ما يلي :

مادة (١) أن الأطراف المتعاقدة الكبار تتعهد بأن تتعاون من أجل دفاعهم المشترك وأن تتشاور في المشاكل التي تنشأ بخصوص هذا الدفاع.

مادة (٢) أن الأطراف المتعاقدة الكبار تتعهد بمقاومة أى هجوم أو اعتداء مباشر أو غير مباشر على استقلال ووحدة أراضي الجمهورية القبرصية.

مادة (٣) ومن أجل هذا التحالف والوصول إلى الأغراض المذكورة أعلاه ستألف قيادة ثلاثية مشتركة على أراضي قبرص.

مادة (٤) أن اليونان وتركيا ستشتركان في القيادة الثلاثية التي تتألف من الفرقة العسكرية المنصوص عليها في البروتوكول الإضافي رقم (١) الملحق لهذه المعاهدة وأن هذه الفرقة العسكرية ستتولى تدريب الجيش القبرصى.

مادة (٥) مدة رئاسة القيادة الثلاثية المشتركة ستكون سنة بالتناوب من قبل

ضابط قبرصى يونانى وتركى يعينون من قبل حكومات اليونان وتركيا ورئيس ونائب رئيس الجمهورية القبرصية.

مادة (٦) ستكون هذه المعاهدة نافذة المفعول من وقت توقيعها، وأن الأطراف المتعاقدة الكبار سيعقدون اتفاقيات إضافية إذا كان ذلك ضروريا لتطبيق هذه المعاهدة، وأن الأطراف المتعاقدة الكبار سيسجلون هذه المعاهدة فى الأمم المتحدة بأسرع ما يمكن بحسب نص المادة (١٠٢) من ميثاق الأمم المتحدة.. انتهى.

ملحق رقم (٣)

قرار مجلس الأمن الدولى بشأن قوات حفظ السلام فى قبرص :

كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة كما هى العادة، ومنذ تأسيس هذه المنظمة الدولية ملجأ المظلومين والمعتدى عليهم والضعفاء، وهى كذلك ميدان صراع السياسات والأفكار والقرارات، ويأتى بعدها وأحيانا قبلها مجلس الأمن الدولى الذى يتخذ القرارات فيما يعرض على الجمعية العامة، ونظريا فإن قرارات هذا المجلس (طبقا لميثاق الأمم المتحدة) ملزمة للدول الأعضاء فى المنظمة الدولية، أما عمليا فإن الوضع مختلف تماما، ذلك أن الكثير من القرارات لا تعدو كونها حبرا على ورق لأن جميع الدول تفكر فى مصالحها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وهكذا الحال بالنسبة لقبرص، فقد اتخذ مجلس الأمن الكثير من القرارات فى فترات مختلفة من تاريخ الصراع فى هذه الجزيرة قبل الاستقلال وبعده ولم ينفذ منها إلا القليل، وربما يكون مقيدا ونحن بصدد الحديث عن أوضاع قبرص أن نوضح فعوى بعض القرارات ومواقف بعض الدول.

ويمكن القول إن أهم قرار من قرارات مجلس الأمن ذلك القرار الذى صدر بتاريخ (٤ مارس ١٩٦٤م) وكانت بريطانيا بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية قد اقترحت إرسال قوة تابعة لحلف شمال الأطلسى ووسيط دولى يكون من دول شمال الأطلسى من غير الأعضاء فى الحلف، ولكن الأسقف مكاريوس الذى كان يرغب فى إقحام الأمم المتحدة تمشيا مع سياسة اليونان رفض ذلك الاقتراح وبعد أن تزايد

القتال فى منطقة ليماسول وهددت تركيا مرة أخرى بالتدخل العسكرى عادت بريطانيا قدّمت اقتراحا يقضى بإرسال قوة سلام دولي، وبناء على مشروع أعدته الدول الأعضاء غير الدائمين فى مجلس الأمن وافق المجلس بالإجماع على إرسال قوة دولية تسمى قوة حفظ السلام فى قبرص، وقرر كذلك تعيين وسيط دولى يمثل الأمين العام فى قبرص، وكان ذلك فى ٤ مارس ١٩٦٤م وتقرر أن تكون قوة السلام لمدة ثلاثة أشهر لكن المجلس اضطر فيما بعد لأن يمدد لهذه القوة كلما انتهت المدة الأولى، والوسيط الدولى كان من فنلندة وهو السيد (ساكارى تومويجا) وكان القرار كما يلى :

(مجلس الأمن، يرى أن الحالة الراهنة بالنسبة لقبرص تهدد السلام العالمى والأمن ويمكن أن تمتد وتزداد سوءا ما لم تتخذ إجراءات سريعة للحفاظ على السلام والبحث عن حل، ويأخذ فى الاعتبار موقف الأطراف فيما يتعلق بالاتفاقية الموقعة فى نيقوسيا بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٦٠م مراعىا الفقرات المتعلقة بذلك فى الميثاق وماداتها الثانية فى الفقرة الرابعة التى تقول (إن جميع الأعضاء سوف يتمتعون فى علاقاتهم الدولية عن التهديد أو استعمال القوة ضد أراضي الدول واستقلالها السياسى أو الإتيان بأى تصرف لا يتفق مع أغراض الأمم المتحدة) فإنه يطلب :

١ - من كل الدول الأعضاء التزاما بمسئولياتهم طبقا لميثاق الأمم المتحدة الامتناع عن أى عمل أو التهديد بعمل يسئ للوضع فى الجمهورية القبرصية المستقلة أو يهدد السلام العالمى.

٢ - يطلب من الحكومة القبرصية التى تتحمل مسئولية الحفاظ على النظام والقانون أن تتخذ كل الإجراءات اللازمة لإيقاف الشغب وسفك الدماء فى قبرص.

٣ - يطلب من الطوائف وزعمائها أن تتصرف بالانضباط اللازم.

٤ - يأمر بتكوين قوة سلام للأمم المتحدة بموافقة الحكومة القبرصية يتم تحديد مسئولياتها وعددها من طرف الأمين العام للأمم المتحدة وسوف يقوم الأمين العام بإعلام الحكومات المشاركة فى هذه القوة بكل المعلومات وأن يقدم إلى مجلس الأمن تقريراً دورياً عن عملياتها.

٥ - يأمر بأن يكون عمل القوة من أجل المحافظة على السلام العالمى والأمن وعليها أن تقوم بكل ما يمكن أن يمنع تكرار القتال وأن تساهم حسب الإمكان فى المحافظة على القانون لإعادة الوضع إلى حالته الطبيعية.

٦ - يأمر بأن تكون إقامة تلك القوة لمدة ثلاثة أشهر على أن كل التكاليف فى الخصوص سوف يتفق عليها من طرف الدول المشاركة فى القوة والحكومة القبرصية ويمكن للأمين العام أن يقبل المساهمات التطوعية لهذا الغرض.

٧ - يأمر إضافة إلى ذلك أن يعين الأمين العام للأمم المتحدة وسيطا دوليا يقوم بالتنسيق مع زعماء الطوائف والحكومات الأربع المذكورة بالبحث عن حل مناسب للمشكلة التى تواجه الحكومة القبرصية طبقا لميثاق الأمم المتحدة آخذا فى الاعتبار ما يخدم الشعب القبرصى ككل والمحافظة على السلام والأمن الدوليين ويقوم هذا الوسيط بتقديم تقرير دورى عن جهوده إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

٨ - يطلب من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقدم من رصيد الأمم المتحدة ما يغطى مصروفات الوسيط وموظفيه.

انتهى القرار :

كان هذا القرار الأهم الذى صدر من مجلس الأمن ونفذ، وما زالت قوة حفظ السلام حتى الآن تقوم بعملها فى قبرص بينما تبدل الوسطاء الدوليون عدة مرات دون أن يتمكن أى منهم من الوصول إلى أى حل لمشكلة قبرص أو حتى الأمل فى حل قريب لهذه المشكلة رغم الجهود الكبيرة التى بذلت، وقيل هذا القرار الذى كان رقمه (٥٥٧١) كانت هناك قرارات وبعده أيضا جاءت قرارات أخرى عديدة.

كانت هناك قرارات قبل الاستقلال وأخرى بعده، وقرارات قبل التقاتل وأخريات بعد الحرب فى سنة ١٩٦٣م، ثم قرارات بعد الانقلاب العسكرى اليونانى والتدخل العسكرى التركى، ولكن جميع القرارات كانت تصطدم بتدخلات ومصالح

الدول الكبيرة والصغيرة على حد سواء، وربما كان التقرير الوحيد لأحد الوسطاء الدوليين الذى أشار إلى ذلك الوضع الشاذ هو تقرير الوسيط الدولى الفنلندى السيد (ساكارى تويجا) الذى قال فيه إنه يرى أن الحل الوحيد لمشكلة قبرص يتمثل فى إقناع كل الدول بعدم التدخل فى شئون قبرص الداخلية وأن يبحث القبارصة أنفسهم عن حل لتلك المشكلة التى تخصهم، (ولابد أنه يعنى بكل الدول تلك التى لها مصالح فى قبرص والتى دأبت على ممارسة الضغوط والقيام بالتدخل دون أن يسميها) ولكن أحدا لم يأخذ بما جاء فى ذلك التقرير المهم ولا امتنع عن التدخل سواء كان من الغرب أو من الشرق، وهكذا مع الزمن زادت القضية تعقيدا خصوصا أن القبارصة الأتراك كانوا قد أقدموا على تأسيس جمهورية فى شمال الجزيرة وأقاموا المؤسسات والصحف والأحزاب، وعلى الرغم من أن العالم لم يعترف بتلك الدولة إلا أنها قائمة ويفصل بينها وبين جمهورية القبارصة اليونانيين خط عرف باسم الخط الأخضر ونقاط حراسة وتفتيش ترعاها قوات الأمم المتحدة، أو كما سميت قوات حفظ السلام الدولى.

وكانت هناك معاهدة تأسيس دولة قبرص وكذا معاهدة أو اتفاق ضمان والذى بموجبه تدخلت تركيا عسكريا فى قبرص مباشرة بعد حدوث الانقلاب العسكرى اليونانى فى سنة ١٩٧٤م.. والحال أن لا الأمم المتحدة أوجدت حلا ولا القبارصة اتفقوا على أى شئ وكان الخاسر الوحيد هو الشعب القبرصى بطائفتيه (القبرصية اليونانية والقبرصية التركية).

ملحق رقم (٤)

قرار مجلس الأمن رقم (٣٥٩) ١٩٧٤م :

اعتمد القرار بواسطة مجلس الأمن الدولى فى ٥ أغسطس ١٩٧٤م ونصه كما يلى :

مجلس الأمن الدولى علم باهتمام من تقرير الأمين العام حول التطورات القبرصية وخصوصا الوثيقة س / ١١٣٥٣ يذكر أن الإصابات فى تزايد بين أفراد قوات حفظ السلام الدولى فى قبرص كنتيجة مباشرة للعمليات العسكرية التى

لا تزال مستمرة في قبرص، ويذكر أن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام قد استقرت في قبرص طبقا للموافقة الكاملة من حكومات قبرص وتركيا واليونان.

أخذا في الاعتبار أن الأمين العام قد كلف من قبل مجلس الأمن الدولي بموجب القرار ١٩٧٤/٣٥٥م في ١١ أغسطس ١٩٧٤م ليتخذ الإجراء المناسب على ضوء بيانه في جلسة مجلس الأمن رقم ١٧٨٨ بشأن قوة حفظ السلام والتعامل مع التطورات السياسية في قبرص.

١ - بأسف عميق يبدى حزنه البالغ عن حقيقة أن أعضاء قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام في قبرص كانوا قد قتلوا وجرحوا.

٢ - وطلب من جميع الأطراف المعنية أن تحترم بالكامل وضع قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام والامتناع عن أى عمل قد يعرض حياة وسلامة أعضائها للخطر.

٣ - يحث الأطراف المعنية أن تظهر بثبات ووضوح وإخلاص رغبتها في إنجاز التزاماتها في هذا الخصوص.

٤ - ويطلب بشكل أكثر من كل الأطراف أن تتعاون مع قوات الأمم المتحدة لأداء واجباتها بما في ذلك الجوانب الإنسانية في كل المناطق القبرصية ولكل فئات الشعب القبرصي.

٥ - يؤكد على المبادئ الأساسية المتعلقة بوضع وسلامة أعضاء قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام ويجب أن تحترم بواسطة كل الأطراف في جميع الحالات..

اعتمد القرار في اجتماع ١٧٩٣ من طرف ١٤ مقابل لا شيء في حين لم تشارك الصين في التصويت.

ملحق رقم (٥) :

قرار مجلس الأمن رقم ١٩٧٤/٣٦٠، اعتمد مجلس الأمن القرار في ١٦ أغسطس ١٩٧٤.

مجلس الأمن، يشير إلى قراره رقم ١٩٧٤/٣٥٣ في ٢٠ يوليو ١٩٧٤ ورقم

١٩٧٤/٣٥٤ و ١٩٧٤/٣٥٥ في ١ أغسطس وقراره ١٩٧٤/٣٥٦ و ١٩٧٤/٣٥٧ في ١٥ أغسطس ١٩٧٤، يلاحظ أن جميع الدول أعلنت احترامها لسيادة واستقلال ووحدة أراضي الجمهورية القبرصية ويهتم بشدة بشأن التدهور في وضع قبرص الناتج عن العمليات العسكرية والتي كونت تهديدا للسلام والأمن في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

١ - يسجل عدم موافقته على العمليات العسكرية من جانب واحد التي اتخذت ضد جمهورية قبرص.

٢ - يدعو الأطراف إلى التجاوب مع نصوص القرارات الماضية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي والتي تتعلق بانسحاب دون تأخير من جمهورية قبرص لكل القوات العسكرية الأجنبية.

٣ - يدعو الأطراف أن تباشر دون تأخير في جو من التعاون البناء المباحثات التي دعا إليها قرار مجلس الأمن ١٩٧٤/٣٥٣ والتي لا يجب أن تمرقل نتائجها بأى مزايا تحققت من خلال العمل العسكري.

٤ - يطلب من الأمين العام أن يتقدم إليه بالتقرير اللازم الذي يبين وجهة نظره لإصدار قرارات أخرى من أجل تحقيق استعادة الوضع إلى ما كان عليه، الوضع السلمى.

٥ - يقرر أن يبقى الطلب الدائم للاجتماع في أى وقت لدراسة الإجراءات التي يتطلبها الحال في ضوء تطور الوضع.

اعتمد في جلسة ١٦٩٤ من طرف ١١ صوتا مقابل لا شيء وامتناع ٣ أصوات.

ملحق رقم (٦) :

قبل الانقلاب العسكري اليونانى في قبرص مباشرة وعندما توفرت المعلومات المخبرائية لدى الرئيس مكاريوس وجه رسالة مهمة جدا إلى رئيس الحكم العسكري في اليونان الجنرال (جيزيكس) نصها كما يلي :

نيقوسيا في ٢ يوليو ١٩٧٤م.

السيد الرئيس، إنه من عميق الأسف أن اضطر لإبلاغكم عن أسباب وحقائق غير مقبولة والتي أرى أن الحكومة اليونانية مسئولة عنها ذلك أنه منذ وصول الجنرال (قريفاس) السرى إلى قبرص خلال شهر سبتمبر ١٩٧١م تواترت شائعات وهناك عدة مؤشرات تؤكد أن مجيئه إلى قبرص بتشجيع من بعض الدوائر في أثينا، ومع ذلك فإن قريفاس منذ الأيام الأولى لمجيئه إلى قبرص كان على اتصال مع ضباط يونانيين يعملون في الحرس الوطنى القبرصى وهم الذين يقدمون له المساعدة والمساندة فى محاولاته من أجل تكوين منظمة غير شرعية وليناضل (بإدعاء) من أجل الوحدة، ولقد خلق مؤسسة إجرامية (أيوكا - ب) وهى التى كانت سببا ومصدرا فى العديد من الأمراض لقبرص، وأن نشاطات هذه المنظمة التى جاءت تحت ادعاءات الوطنية وشعارات الوحدة قد ارتكبت اغتيالات سياسية والكثير من الجرائم الأخرى المعروفة جيدا، ولقد كان الحرس الوطنى الذى يقوده ويشرف عليه ضباط يونانيون منذ البداية المزود الأساسى بالرجال والمعدات لمنظمة (أيوكا - ب) هذه المنظمة التى يستخدم أعضاؤها تعبيراً سيئاً عن شيء بغیض ويسمون أنفسهم وحدويين وجنود للوحدة، وفى كثير من المناسبات كنت أفكر فى سؤال يقول، ما فائدة منظمة وطنية غير شرعية مخفية تحدث الانقسام والتوتر الداخلى وتجعل الجبهة الداخلية تختلف وتدفع القبارصة اليونانيين إلى الحرب الأهلية فى قبرص وهذا مؤيد من طرف الضباط اليونانيين، وتساءلت فى كثير من الحالات كما فكرت فيما إذا كان هذا العمل موافقاً عليه من جانب الحكومة اليونانية ويجول فى ذهنى أفكار ووقائع ومؤشرات تدفعنى إلى الاقتناع بوجود جواب منطقى لشكوكى وتساؤلاتى، ومن الطبيعى أنه لا يمكن أن يقوم أى جواب على أسس منطقية ولكن تأييد ومساندة الضباط اليونانيين لمنظمة أيوكا يكون فى الواقع حقيقة لا يمكن إنكارها، كذلك فإن معسكرات الحرس الوطنى القبرصى والمناطق القريبة منها تزيينها شعارات مؤيدة لقريفاس ومنظمة أيوكا وهى ضد الحكومة القبرصية وبشكل خاص ضد شخصى فى حين أن الضباط اليونانيين يقومون بالدعاية داخل معسكرات الحرس الوطنى وبشكل علنى كذلك فإنه من المعروف والمعلن والذي لا

يمكن إنكاره أن الصحافة المعارضة التى تؤيد أيوكا ونشاطاتها تمول من طرف أثينا وهى توجه وتحصل على معلوماتها من أشخاص مسئولين فى مكتب هيئة الأركان ومكتب المعلومات اليونانى الرئيسى فى قبرص.

ولقد كان خطاب الرئيس مكاريوس إلى الجنرال اليونانى طويلا ومدعوما بالوثائق وفى آخره طلب سحب الضباط اليونانيين العاملين فى الحرس الوطنى القبرصى لأنه كما قال يريد أن يجعل هذا الحرس فى خدمة الدولة القبرصية لا أن يتأمر عليها، وكان ينتظر الرد (ربما) بالموافقة على سحب الضباط إلا أن الرد جاء بعد عدة أيام وكان فى شكل انقلاب عسكري مدمر أعطى الفرصة لتركيا كى تتدخل فى قبرص عسكريا مدعومة باتفاقية ضمان استقلال قبرص باعتبارها أحد الثلاثة الذين ضمنوا استقلال قبرص، فقد حدث الانقلاب وخرج الرئيس مكاريوس سالما بمعجزة (ربما) ثم خرج من القاعدة البريطانية فى أكريتيرى عبر لندن إلى نيويورك حيث تحدث إلى أعضاء مجلس الأمن حديثا يعبر عن الألم مما حدث والأمل فى المنظمة الدولية أن تحقق العدل.

ملحق رقم (٧) :

عندما خرج الرئيس مكاريوس من قصر الرئاسة فى نيقوسيا بما يشبه المعجزة وصل مدينة بافوس موقع رأسه ومقر أنصاره إلا أن ضباط الانقلاب وجهوا إلى هناك بعض الجنود والعربات العسكرية لقتله أو القبض عليه وذلك عندما عرفوا بوجوده وقد أذاع بيانا إلى شعبه عبر محطة إذاعة محلية وأذكر أن أحد أكبر أعماله قد اتصل به من نيقوسيا من خلال أجهزة السفارة الليبية فى نيقوسيا والتى كانت ملاذا لحماية العديد من رجالات مكاريوس الذين لجأوا إليها عند حدوث الانقلاب، وذلك المسئول مازال على قيد الحياة حتى الآن، ولما عرف مكاريوس أن الانقلابيين وجهوا قوات إلى بافوس للقبض عليه طلب من السلطات البريطانية اللجوء إليها فاستجابت السلطات البريطانية فى قاعدة أكروتيرى العسكرية وبعثت طائرة مروحية لنقله إلى القاعدة ومنها إلى لندن ثم إلى نيويورك من أجل أن

يخاطب العالم موضعاً مأساة شعبه في ظل انقلاب عسكري قاده ضباط، كان يعتقد أنهم يمثلون بلداً صديقاً وتوقع منهم العون لكنهم انقلبوا عليه وأرادوا قتله بإيعاز من نظام بلادهم العسكري الدكتاتوري.

وتحدث الرئيس مكاريوس أمام أعضاء مجلس الأمن وروى قصة خروجه المثيرة، وأظنني لا أذيع سرا إذا ما قلت إنه كان لبلادي شرف إنجاح تلك المهمة من بافوس ونيقوسيا إلى لندن ونيويورك وحتى العودة إلى الحكم وعودة الشرعية لقبرص متمثلة في حكم الرئيس مكاريوس، ولقد كنت شاهد عيان على تلك الأحداث وتطوراتها قبل الانقلاب وأثناءه وبعده حيث كنت سفيراً لبلادي آنئذ، واحتراماً لذكرى هذا الرجل العظيم الذي تشرفت بأن أكون قريباً منه لعدة سنوات أريد أن أسجل في كتاب قبرص هذا ترجمة لجزء من خطابه أمام مجلس الأمن الدولي لأنني أعتبره (ربما) أهم وثيقة في تاريخ قبرص الحديث.

خطاب الرئيس مكاريوس :

أود في البداية أن أعرب عن بالغ وأحر شكري لأعضاء مجلس الأمن الدولي لما أبوه من اهتمام بالغ وأظهره حول الحالة المزعجة التي حدثت في قبرص نتيجة للانقلاب الذي كان قد هندسه النظام العسكري الحاكم في أثينا ونفذ بواسطته ضباطه اليونانيين والذين يعملون ويقودون الحرس الوطني القبرصي، وأنا ممنون بشكل خاص حيث إن مجلس الأمن وافق على تأجيل اجتماعه ريثما أصل إلى هنا وذلك من أجل أن يتيح لي فرصة التحدث إليه حول الأحداث المدوية في قبرص.

إن ما يحدث في قبرص منذ صباح يوم الإثنين الماضي يمثل تراجيدياً حقيقية، فقد انتهك النظام العسكري اليوناني بشكل فاضح استقلال قبرص دون أثر من الاحترام لحقوق الشعب القبرصي الديمقراطية ودون أقل أثر من الاحترام لاستقلال وسيادة جمهورية قبرص، دون احترام لكل ذلك سعى الحكم العسكري اليوناني إلى نقل دكتاتوريته إلى قبرص، وفي الواقع أن نواياهم قد ظهرت بوضوح وكان الشعب القبرصي منذ زمن طويل يحس بأن انقلاباً بواسطة عصابة أثينا كان

يختصر وصار ذلك الشعور يزداد خلال الأسابيع القليلة عندما جددت منظمة الإرهاب (يوكا) المسيئة من جانب أثينا موجات شغبها، وعلمت أن هذه المنظمة غير الشرعية لها جذورها ومصادرها في أثينا وكنت قلقاً بسبب أن الضباط اليونانيين الذين كانوا يديرون ويقودون أفراد الحرس الوطني القبرصي كانوا يجنّدون أعضاء جدد لهذه المنظمة وكانوا يساعدونها بمختلف الطرق بما في ذلك إتاحة الفرص لها في الحصول على الذخائر من مخازن الحرس الوطني الخاصة، وفي معسكرات الحرس الوطني كان هؤلاء الضباط يقومون بالدعاية العينية لهذه المنظمة غير الشرعية وقد حولوا الحرس الوطني من أداة للدولة إلى عنصر للتمرد، وكنت بين وقت وآخر كلما اشتكت لأثينا حول أعمال وتصرفات الضباط اليونانيين في الحرس الوطني يكون الرد أنه إذا كان لدى قرائن مؤكدة وبراهين فإن أولئك الذين يثبت عليهم الذنب سوف يستدعون ومن خلال الفترة تلك أدركت بما لا يقبل الشك أن ردهم الدائم هو ادعاء البراءة، وخلال الأيام القلائل الماضية وقعت وثائق في أيدي رجال البوليس القبرصي تؤكد بجلاء أن أيوكا هي ذيل لنظام أثينا وهكذا فإن أموالاً كانت تحول لأعمال هذه المنظمة من أثينا مع تعليمات تتعلق بأنشطتها، ومن هنا وجدت أنه من الضروري لي أن أوجه رسالة إلى رئيس النظام اليوناني الجنرال (جيزيكس) طالباً منه أن يعطى تعليماته لإيقاف الشغب وسفك الدماء الذي تقوم به منظمة أيوكا وضرورة تفكيكها، كذلك طلبت منه أن يستدعى الضباط اليونانيين العاملين مع الحرس الوطني القبرصي مضيماً أنني أنوى تخفيض عدد وتجهيزات هذه القوة لأجعلها إحدى أدوات دولة قبرص.

وكنت أنتظر منه الرد، وكان تصوري أن نظام أثينا لا يفضل التخفيض في هذه القوة وكذا سحب الضباط اليونانيين، ولقد طلب السفير اليوناني في قبرص مقابلتي بناء على توجيهات من حكومته ومن أجل أن يشرح لي أن تخفيض عدد أفراد الحرس الوطني وسحب الضباط اليونانيين يضعف دفاعات قبرص في حالة حدوث عدوان تركي، وهذا الجدل على الرغم من أنه يظهر كما لو أنه منطقي لم يكن مقنعاً لأنني كنت أعرف أن وراء هذا الجدل مصالح خفية ورددت عليه قائلاً إنه

من خلال التطورات الجارية فأنا أرى أن الخطر من تركيا أقل درجة من الخطر الآتى منهم، وقد ثبت أن مخاوفي كانت حقيقة، وفي يوم ٣ يوليو عقد اجتماع برئاسة الجنرال جيزيكس في أثينا استمر لعدة ساعات وقد حضره رئيس هيئة الأركان اليونانية وسفير اليونان في قبرص وقائد الحرس الوطنى القبرصى ومسؤولون آخرون وهذا الاجتماع كان الغرض منه مناقشة فحوى رسالتى وأعلن أن هناك اجتماعاً آخر يوم ١٥ يوليو للرد على رسالتى ولقد جاء الرد لكنه كان انقلاباً ! هذا جزء من حديث مكاريوس أمام أعضاء مجلس الأمن، وكان حديثاً مؤثراً فى ظروف غاية فى الصعوبة،، ونكتفى بهذا الجزء منه.

الفهرس

الموضوع	صفحة
الفصل الأول: الوضع العام في الدولة الإسلامية	١١
الفصل الثانى: الوضع العام في قبرص قبل خلافة معاوية	٣٩
الفصل الثالث: الوضع العام في الدولة العربية	٥٥
العرب وقبرص والبحر	٥٧
قبرص والعرب والروم	٥٩
قبرص وبيزنطة	٧٣
قبرص وعهد قومنين القصير	٧٤
قبرص وأسرة لوسينيانى	٧٧
قبرص وحكم الجنويين والبنادقة	٧٨
قبرص والأتراك	٨٢
قبرص وبريطانيا والمحطات الثلاث	٩٦
الفصل الرابع: الاستقلال وما بعده أو اللعب بالبيضة والحجر	١١٧
الفصل الخامس: قبرص بعد مكاريوس	١٩٥
الفصل السادس: صود على بدء	٢١٥
الفصل السابع: وجهتا نظر الطائفتين القبرصيتين (اليونانية والتركية)	٢٣٧
الفصل الثامن: الخلاف بين مكاريوس وقريظاس (أسبابه ودوافعه)	٢٥١
الفصل التاسع: جذور الوحدة (الأوينسيس متى وكيف؟)	٢٦٩
الفصل العاشر: خاتمة: معاوية فى الميزان	٢٨٥
اللاحق	٢٩٧

المراجع

المراجع العربية:

- ١ - تاريخ العرب تأليف ، فيليب حتى .
- ٢ - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
- ٣ - تاريخ الحروب الصليبية، أربعة أجزاء ، تأليف ستيفن رنسيमान .
- ٤ - الفتوحات العربية الكبرى، تأليف جون باقوت جلوب.
- ٥ - تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط، تأليف محمد رفعت .
- ٦ - تاريخ الشعوب الإسلامية، تأليف كارل بروكلمان .

المراجع الانجليزية:

- ١ - قبرص تحت حكم الأتراك، تأليف السير هارى لوك .
- ٢ - قبرص تحت الحكم البريطاني، تأليف الكابتن س.و.ج. أور .
- ٣ - تاريخ قبرص ، تأليف السير جورج هيل الأجزاء الأول والثاني والثالث .
- ٤ - المختصر في تاريخ قبرص، تأليف فيليب نيومان .
- ٥ - الصراعات الدولية، قضايا تاريخية ، (١٩٤٥ - ١٩٧٠ م) م د دوميان .
- ٦ - ثورة قبرص ، تأليف نانسي كراوشو .
- ٧ - ركوب العاصفة ، تأليف هارولد ماكميلان .
- ٨ - وجهة نظر تركية عن قبرص، مكتب المعلومات القبرصي .

كتب صدرت للمؤلف

- ١- المسطرة الحاسبية سنة ١٩٦٦ م
- ٢- هندسة الراديو والتليفزيون سنة ١٩٦٧ م
- ٣- مستقبل التليفزيون الملون سنة ١٩٦٨ م
- ٤- مذكرات جندي في سيناء، ترجمة، سنة ١٩٦٨ م
- ٥- ثورة الأدغال في أفريقيا، ترجمة، سنة ١٩٧٨ م
- ٦- نقط الشرق الأوسط وأزمة الطاقة في العالم، ترجمة، سنة ١٩٨١ م
- ٧- تاريخ المخابرات الإسرائيلية، ترجمة، سنة ١٩٩٠ م
- ٨- مولد دولة أفريقية في الكونغو، ترجمة، سنة ١٩٨١ م
- ٩- عدوى نفسي، ترجمة، سنة ١٩٩٠ م
- ١٠- مذكرات ذو الفقار على بوتو، ترجمة، سنة ١٩٩٣ م
- ١١- تدمير العراق بعد ١٣٩ يوما من المبادرات الدولية، ترجمة، سنة ١٩٩٣ م
- ١٢- الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، ترجمة، سنة ١٩٩٩ م
- ١٣- حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي، تأليف، سنة ١٩٩٣ م
- ١٤- قائد معركة القادة ومعارك القبلة، سالم بن عبد النبي، تأليف ١٩٩٣ م
- ١٥- تاريخ المسلمين في البوسنة والهرسك، ترجمة سنة ٢٠٠٠ م
- ١٦- الجهاد الوطني أدب وتاريخ، تأليف سنة ١٩٩٩ م
- ١٧- قبرص من معاوية إلى أجاويد، تأليف سنة ٢٠٠٠ م
- ١٨- السودان بين ديمقراطية الشعب ودكتاتورية المسكر، تأليف، سنة ٢٠٠٠ م
- ١٩- الفقهي مصباح مؤذن الفجر، رواية تأليف سنة ٢٠٠٠ م
- ٢٠- مسافر يبحث عن الموت، رواية الجزء الأول تأليف سنة ٢٠٠٠ م
- ٢١- حرب الشرق الأوسط بين الحقيقة والخيال، تأليف ١٩٦٧ م
- ٢٢- وثائق الوحدة لا وثائق أكتوبر، تأليف سنة ١٩٧٩ م

- ٢٣- خرافة الستار الحديدي حول بلاد السوفييت، تأليف، ١٩٨٠ م
- ٢٤- الاتحاد السوفيتي نظرة من الداخل، تأليف ١٩٨٥ م
- ٢٥- ليلة الحلم الطويل، رواية تحت الطبع، تأليف سنة ٢٠٠١ م
- ٢٦- شهداء الكردون العشرة وروايات عن الجهاد، تأليف ٢٠٠١ م
- ٢٧- مسافر يبحث عن الموت، الجزء الثاني، رواية تأليف ٢٠٠٢ م
- ٢٨- الليبيون والثورة الجزائرية، مخطوط ٢٠٠٢ م
- ٢٩- حجارة من سجل، الانتفاضتان دروس ونتائج، تحت الإعداد ٢٠٠٢ م
- ٣٠- رحلة في الصحافة خلال ثلاثة عقود، (١٩٦٠ - ١٩٩٠ م) مخطوط

المؤلف في سطور

كاتب وصحفي ليبي

ولد في بلدته (الزنتان) سنة ١٩٣٦ م

درس في ليبيا ثم بريطانيا فالولايات المتحدة الأمريكية فالإتحاد السوفيتي - ألف وترجم العديد من الكتب في العلوم والسياسة والأدب والتاريخ، عمل بالإدارة الليبية ودرس علوم اللاسلكي والكهرياء ثم شغل مناصب تنفيذية وسياسية ودبلوماسية، وعمل سفيراً لبلاده في عدد من دول أوروبا وآسيا وأفريقيا .

شغل منصب نائب رئيس منظمة الأحزاب الاشتراكية في البحر الأبيض ومنصب نائب رئيس التضامن الأفروآسيوي .

مارس ويمارس العمل الصحفي من سنة ١٩٦٠م حتى الآن
حاصل على جائزة ابن سينا في الأدب من أجل السلام وجائزة الكلية الملكية في التأليف العلمي وشهادة كميردج في البحث والتطوير

متفرغ الآن للترجمة والتأليف ويقيم في بلدته التي ولد بها (الزنتان).

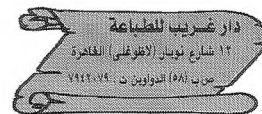
تنبيه

لا يجوز لأي جهة إعادة طبع أو نشر أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه إلى أي لغة قبل الحصول على الموافقة الكتابية من جانب المؤلف الذي يحتفظ بكامل حقوق النشر، ويمكن الاتصال على العنوان التالي :

ليبيا، منطقة الجبل الغربي

بلدة الزنتان (ص.ب/ ٦٦٤٢٠)

(هاتف وفاكس - ٦٢٨٨٤ - ٠٤٥١)



دار غريب الأدبية

١٢ شارع نوبار (القلعة) القاهرة

ص ٧٩١٢٠٧٥